

المصفاة

تمرد حامل الروحين

رواية

أيهم سليمان



الفصل الأول

«لقد هرب» انطلقت همسة قطعت أجواء الأثير كالسيف البارد.

«بعد كل ما فعلته لإبقائه محاصراً... وما زلت تخذلني» قال المشرف بصوت مليء بالتهديد.... تجمد الهواء لحظة، بينما انتشرت أنفاس مخنوقة في جميع الأركان.

«لا يمكنه امتلاك وعاءه الخاص، سيدي»

«تظن أن هذا سيوقفه؟ أنت تعرف العواقب جيداً»

«ماذا نفعل الآن؟» سأل صوت ثالث، متردداً.

«الأمر واضح»

«على الفور، سيدي» رد الصوت الثالث بحزم.

الصوت تلاشى كما لو سُحب من رأسها قسراً...

فجأة، فتحت إيف عينيها، والكلمات تهمس في رأسها، تتردد كصدى بعيد، بينما نبض قلبها بعنف، عاجزاً عن تهدئتها. لم يكن حلماً عادياً؛ كان شعوراً بالفرار، بالخطر، بشيء أكبر من العالم من حولها.

نهضت بسرعة،

مدّت يدها إلى دفتريها على الطاولة، قلبها لا يزال يعلو من أثر الحلم. أمسكت بالقلم وبدأت تكتب في سرها:

«لقد هرب... لم أستطع رؤيته بوضوح، لكن كل شيء بدا حقيقياً... أشخاص، أصوات، ضوء وظلال...»

كل كلمة أضحت محاولة لفهم ما يحدث، لتوثيق الحلم قبل أن يختفي من ذهنها. تتبع أحلامها أصبح هوسها الأكبر خلال الشهر الماضي، الذي كان واحداً من خطوات تعلم أن تكون واعية في أحلامها.

«إيف... سنتأخر هيا» انطلق صوت والدها.

راحت تبديل ملابسها وأخذت دفتريها وحقيبتها بين يديها، عند الباب كانت تمشي كل خطوة نحو السيارة وهي تشعر بها كأنها تقترب من حافة شيء غير مرئي، شيء يلاحقها منذ الحلم. حتى الهواء حولها تشبع بالغموض، وكأن الواقع نفسه يتمايل بين الحقيقة والخيال.

بينما كان والدها يمازح والدتها، قبل الذهاب في رحلة صيد السمك، لم تستطع إيف التخلص من الإحساس: شيء ما على وشك الحدوث. ترددت الكلمات من حلمها في رأسها: «لقد هرب...»، وكأنها تحذير.

على بعد أميال قليلة، نظر إيثان إلى هاتفه المحمول. الساعة 10:55، فقفز من سريره، وأضلاعه تختلج في صدره.

«متأخراً مرة أخرى! ما الذي يحدث؟»

كان من الصعب العثور على ملابسه بين أكوام الملابس جانب سريره، ودون أن يختار أيّاً منها ارتدى ما وصلت إليه يده بسرعة كبيرة، حتى إنه لم يلاحظ أنه وضع قميصه الداخلي بالمقلوب. نظر حوله الى الفوضى الذي تركها البارحة، لم يكن لديه وقت حتى لوضع ملابسه في الخزانة، كان يقضي ساعات طويلة في العمل، ليرجع أخيراً بشكل يومي عند منتصف الليل. العطلة أمست محض أسطورة في قاموسه، لم يكن إيثان يملك الكثير. كان يعيش حياة متواضعة، تكفيه بالكاد، ويحسب نفقاته قبل أن ينفقها. لم يكن الفقر غريباً عنه، لكنه مقتنه بكل جزء من روحه... كره فكرة أن يقضي حياته يعمل من أجل الفتات، كان لديه أحلام وفضول ولكن لم يملك الوقت أو المال حتى يلاحق ما يريد.

انطلق بدراجته الكهربائية مسرعاً، آخر ما تبقى له من والديه الراحلين، وأعزّ ما يملك.

وبعد شارعين من شقته المستأجرة وصل إلى محل الوجبات السريعة،

فتسللت روائح البطاطس المقلية واللحم المشوي إلى أنفه، وكأنه لم يعتد بعد على رائحة الزيت القديم.

«لقد تأخرت مجدداً يا إيثان...» قال جون بقلق.

«أعرف... آسف، إنها المرة الأخيرة.»

أشار جون إلى الداخل: «إنها المرة الأخيرة لك بالفعل، المدير يريد التحدث إليك.»

كانت هناك حشرة عالقة تنازع لتخرج من بقعة كاتشاب على الرصيف الرطب، فأخذ إيثان يتأملها بشفقة.

«حسناً، أظنني أعرف ما الذي يريد قوله»، قال بهدوء ليخفي توتره.

«لا أستطيع أن أعطي عليك للأبد يا إيثان.»

«أعلم هذا، شكراً لك.»

ظلّ واقفاً أمام المحل، يشاهد الناس يدخلون ويخرجون وكأن شيئاً لم يحدث. الجميع يستمرون بالعيش

بينما يشعر هو أن شيئاً داخله ينهار.

أحنى إيثان رأسه وركب دراجته، ويداه ترتعشان، غضبه الهائل دفعه للتساؤل عن سبب حدوث ذلك رغم

معرفته بأن هذا سيحدث.

«توصيل الوجبات السريعة ليس بالضبط مهنة أحلامي» فكر، في محاولة ليهدي نفسه حتى يتوازن على

دراجته.

أمام باب شقته المستأجرة انجرف الغضب في عروقه، أراد تحطيم الباب متخيلاً كل الطرق الممكنة للكم وإيلام المدير...وفي محاولته لفتح الباب بخشونة أسقط المفتاح، حينها سمع صوت عميقاً يضحك التفت بسرعة لينظر خلفه ولكن لم يكن هناك أحد... هز رأسه ودخل شقته:

«أظن أنني سوف أودع هذه الحياة المترفة».

مشى يقترب ناحية أريكته مريحاً علبة بيتزا قديمة، تبقت فيها شريحتان كانتا على وشك التعفن. توقفت عيناه لبرهة عند صورة قديمة موضوعة على الرف، التقطها منذ سنوات مع والديه. مد يده نحوها، لكنه تراجع قبل أن يلمسها. لم يكن لديه وقت لاستعادة ذكريات لا يستطيع تغييرها. انكبّ على أريكته المغبرة، غارقاً في أفكاره، وحوله تناثرت أوراق من مجلات متنوعة على الأرضية. انتزع إحداها:

تُعد هذه التجربة واحدة من أكثر التجارب إرباكاً في الفيزياء الحديثة. يُوجّه شعاع من الضوء أو جسيمات دقيقة نحو حاجز يحتوي على شقين متوازيين، وخلفه شاشة لرصد النتائج...

تحولت عينا إيثان بتململ إلى مروحة السقف القديمة... عند غياب أي وسيلة للرصد، لا تظهر الجسيمات على الشاشة كنقاط منفصلة، بل كنمط تداخل مميز، يشبه ما تخلفه الموجات في الماء. يشير هذا إلى أن الجسيم الواحد لا يمر عبر شق واحد فقط، بل يتصرف وكأنه يعبر الاثنين في الوقت نفسه. غير أن هذا السلوك يتغير فور محاولة تحديد مسار الجسيم. فبمجرد إدخال... لم يكمل القراءة، طوى الورقة بعنف، وقذف بها إلى الأرضية مجدداً.

انطلقت سيارة الفولكس فاغن الزمردية تعبر الطريق، وصوت الموسيقى يتردد بخفوت... كانت إيف تجلس بجانب النافذة، تحديق بغير تركيز، وشعرها الناعم يتمايل مع الهواء الدافئ. همهم جيمس باستمتاع مع الموسيقى بجانب ليلي، التي تضع القليل من واقي الشمس على وجهها. جيمس: «أنا جائع يا فتيات.» ليلي: «أنت دائماً جائع يا جيمس...» زفر جيمس. إيف: «متى سوف نصل؟»

ليلي: «بقي القليل فقط...» أغلقت علبة واقي الشمس، ووضعتة في درج السيارة.
أخرجت إيف هاتفها المحمول...
ثلاث مكالمات لم يتم الرد عليها.
ضغطت شاشة هاتفها بقوة أكثر من المعتاد.
نظرت ليلي بطرف عيناها عبر المرأة لترى إيف تكشف وجهها قليلاً لوهلة.
ليلي: «ما أخبار فينس؟»
إيف: «لم نعد نتكلم يا أمي، قلت لك.»
وبينما استمع جيمس بصمت لحديثهما، أخذ يطرق أصابعه بخفة على مقود السيارة، وما زال يهتمهم...
ليلي: «إذاً لماذا يحاول الاتصال بك؟»
توسعت عينا إيف للحظة، وأدركت أن أمها كانت تنتظر لها عبر المرأة.
إيف: «لا أريد التحدث في الأمر.»
مرّت بقية الرحلة وهم يستمعون لجيمس يتكلم عن الفيديوهات التي شاهدها على الانترنت عن صيد السمك.
أخيراً توقفت السيارة بجانب مرسى للقوارب. حينها استنشقت إيف الهواء المختلط برائحة الملح.
إلا أن عينيها ضاقت عندما نظرت إلى البحر الشاسع، وقشعريرة باردة بدأت تسري في عروقها رغم دفئ الجو...
صوت الأمواج المتلاطمة طغى على صوت نقاش والديها حول أي من القوارب سيأخذون.
حاولت مجاراتهما بخطوات سريعة ولكنها تعثرت عند الدرجة الأخيرة من المرسى،
ولحسن الحظ منعها والدها من السقوط وهو يبتسم.
جيمس: «لم لا أخذ حقيبتك؟ اذهبا وانتظراني داخل القارب»
تبعث إيف والدتها إلى آخر قارب في المرسى، وهي تحك رأسها... لم تفهم هذا الإحساس الغريب الذي راودها فجأة.
على الممر الخشبي راقبت القارب يتأرجح بسلاسة على سطح الماء، عندما كانت تقترب لتصعد عليه،
فاهتزت يدها وهي تتشبث بالحافة الرطبة.
ليلي: «هل أنت بخير؟»
كذبت إيف: «أنا متعبة قليلاً»
ليلي: «اجلسي في حجرة القيادة»

قررت إيف العمل بنصيحة والدتها، فدخلت الحجرة. كانت صغيرة وقديمة بمقاعد جلدية خمرية، بهت لونها تحت وطأة السنين، وتشقق جلدها من أثر الزمن. بدأت تחדش سطح مقعدها في محاولة لإشغال نفسها.

دقة القيادة أثارت فضولها، فاقتربت ووضعت أصابعها عليها، وهي تستمع لوالديها يتحدثان في مؤخرة القارب... كان ملمسها مألوفاً بشكل غريب لم تستطع تفسيره.

«هل أنا أحلم؟» ترددت في ذهنها.

كان ترديد عبارة «هل أنا أحلم» في عقلها خلال اليوم أحد خطوات تدريبها في التحكم بالأحلام... أخيراً هدأت وهزت رأسها: «يجب أن أبدل ملابس».

انتهت من تبديل ملابسها سريعاً، وخرجت من حجرة القيادة.

حيث كان جيمس وليلي يتجادلان في مؤخرة القارب، يبحثان عن شيء ما في كومة الحقائق المرمية على الأرضية.

قال جيمس بسخرية: «هل أنت متأكدة أنك جلبته؟»

ليلي بعناد: «أنا متأكدة.»

ابتسمت إيف وجلست على حافة القارب تراقب والديها يتبادلان بعضاً من الكلمات النابية ذات الطابع اللطيف، التقطت منها:

«حبيبتي السفينة، زوجي المخبول...»

أحضر جيمس صنارته متحمساً لتجريبها، فقد كان يتكلم عنها لأسابيع.

استهزأت ليلى به: «إذاً عشاؤنا الليلة رهينة لخبرتك المعدومة في الصيد»

ابتسم جيمس: «سوف نرى، لم لا تفعلين شيئاً مفيداً؟»

وبتكلف واضح لوت ليلى شفاهها وذهبت لتتصفح الحقائق في حجرة القيادة.

راقبت إيف محاولات والدها العقيمة في استخدام الصنارة بالشكل الصحيح. نسمة خفيفة لفحت وجهها الناعم. كانت بعيدة عن ضجيج المدينة في عرض البحر، تتأمل الأمواج تتراقص وهي تبتلع الشمس.

ضمت ركبتيها وأغمضت عينيها.

سمعت والدها يزعم: «لقد أمسكت واحدة!»

رفعت رأسها لتدرك أن الليل قد حلّ، استغرقت في أفكارها مثل ما تفعل دائماً.

اقتربت إيف من والديها، ورائحة الشواء تملأ الأجواء.

تناولوا عشاءهم بنهم وصوت موسيقى الجاز الصادر عن المذياع يتسلل الى مسامعهم، عندها ضم جيمس ليلى إلى جانبه وقبّل خدها.

شعرت إيف أن هذا هو الوقت المناسب لتترك والديها وحدهما قليلاً... حافة القارب كانت أبعد ما يمكن أن تصل إليه، لإعطائهما بعض الخصوصية فاقتربت منها، وتذكرت أنها كانت ترتدي لباس السباحة الخاص بها. وفي طرفة عين ارتعدت مرة أخرى بلا أي سبب منطقي، وهي تنظر إلى المياه السوداء التي بدت أعمق الآن... لم تفهم سبب قلقها، راودها شعور مفاجئ بالرغبة في القفز إلى الماء، هزت رأسها: «هذا حمق... ما الذي يحدث لي؟»

نظرت إلى الماء مرة أخرى. لم يكن هناك شيء مختلف فيه؛ مجرد أمواج سوداء تتحرك تحت ضوء القمر. ومع ذلك، شعرت إيف وكأن شيئاً في الأعماق يناديها، لا بصوت مسموع، بل بإحساس قديم لا تعرف مصدره.

دوار خفيف أصابها مما أدى إلى اختلال توازنها فأخذت تتراجع خطوة للوراء، ولكنها لم تكن كافية. وبدون وعي مالت نحو الأمواج المظلمة.

في لحظة ابتلعها الماء... سافرت الصدمة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها وتسقلت البرودة إلى صدرها ثم داهم التتميل كامل جسدها... حينها اختفى الدوار لثانية فأدركت أنها لم تعد مستندة على جانب القارب، بل تحته.

في محاولة يائسة حركت إيف يديها بدون فائدة. فتحت فمها تصرخ... لا أحد يسمعها. لا أحد يراها.

لقطات خاطفة في ذهنها. والدتها تبتسم... والدها يداعب شعرها.

سمعت صوت المشرف يقول: «لقد هرب.»

اختل الماء قليلاً، لمحت به وميضاً غريباً أحمر.

استسلمت للبرودة والوحدة أخيراً، فأغمضت عينيها وهي تُسحب إلى القاع الذي لا ينتهي.

دارت مروحة السقف القديمة بتعب فوق إيثان، كان صوت شخيره المكبوت يملأ غرفته الوحيدة في الشقة.

استلقى على حافة الأريكة التي من الصعب معرفة إن كانت للجلوس أو النوم، وما زال يرتدي قميصه بالمقلوب... دق جرس الشقة.

طراخخ!

«آه!»

وبألم هز إيثان رأسه، ثم استند على يديه للنهوض بصعوبة والغبار يرفض أن يُنفض عن قميصه. كانت عيناه نصف مغلقتين ورأسه ينبض بقوة. بينما اتجه إلى الباب بتثاقل، وفي طريقه أزاح طاولته الصغيرة من أمامه؛ فاهتز الحاسب المحمول حتى وصل إلى حافة الطاولة، مهدداً بالسقوط.

نظر إيثان إلى الرجل العجوز الأصلع الواقف أمام الباب.

قال إيثان: «سيد جونا...»

لم يتكلم الرجل ودخل عبر الباب، فزَمَّ إيثان شفتيه بامتعاض.

جال جونا بنظره في أرجاء الغرفة بانزعاج كانت الفوضى تعم المكان، وركزت عيناه للحظة على ورقة بارزة فوق كومة دفاتر قديمة:

«هل الواقع محاكاة» بقلم...

جونا بعصبية: «حسنًا يا إيثان، لقد نفذ صبري».

قال إيثان بخمول: «سيد جونا...»

بثبات نظر جونا إلى إيثان: «أعذارك لن تملأ جيبي».

تفادى نظرات الرجل العجوز وهو يحك أنفه.

ثم تنهَّد. لقد مرَّ بمواقف مشابهة من قبل، لكن هذه المرة كان الأمر مختلفًا. بعد أن خسر عمله، بدا المستقبل أكثر قتامة من أي وقت مضى.

ترددت الكلمات في حلقه قبل أن يخرجها بصعوبة، لكنه لم يجد أمامه خيارًا آخر:

«لم لا تأخذ دراجتي الكهربائية وتعطيني ثلاثة أيام لأجمع أغراضي؟»

لوهلة صمت جونا، كأنه يقلب الأمر في عقله.

«حسنًا جدًّا، ولكن ليس أكثر من ذلك».

مشى الرجل العجوز باتجاه الباب، ثم توقف لحظة في طريقه، وأشار إلى تلال الأوراق محتجًا: «هذه التفاهات تستنزفك».

تغلغلت هذه الكلمات عميقًا في ذهن إيثان، حتى إنه لم ينتبه إلى لمعان رأس جونا وهو يغادر، تاركًا وراءه صمتًا مطبقًا.

ظلَّ إيثان واقفًا جانب الباب؛ مرت لحظة أو ساعة، لم يتمكن من معرفة كم مرَّ من الوقت منذ أتى جونا.

فكر بخيبة أمل: «ليست نهاية العالم... إنها دراجة كهربائية فقط».

احتقر إيثان نفسه لأنه فرط في شيء لم يكن مجرد دراجة كهربائية؛ لقد كانت آخر أثر تركه والداه له، وذكرى لا يمكن تعويضها.

ما الذي يجب أن أفعله الآن...

على أريكته ارتدى وجرّ الطاولة حتى وصلت إلى مستوى نظره. إذ كان الوهج المنبعث من الحاسب المحمول المصدر الوحيد للضوء في غرفته المعتمة، ففرك إيثان عينيه لتتأقلم على سطوع الشاشة. انطلق صوت من الحاسب:

«أهلاً بكم في قناتي، حلقة جديدة من نظريات المؤامرة، سنتحدث اليوم عن الأهرامات المصرية وعلاقتها ب...»

لطالما كانت هذه طريقته في الهروب من الواقع؛ فحين تصبح الأمور أثقل من احتماله، كان يغوص في عالم نظريات المؤامرة والعلوم الغريبة، باحثاً عن شيء يبعده ولو قليلاً عما يعيشه. «هذا مثير للاهتمام، بالنسبة لشخص لا يرى الصورة كاملة». انطلق صوت عميق يتهكم.

ارتعد إيثان ووقف فجأة: «من هناك؟!»

تعثر وهو يحاول تشغيل المصباح.

فكر: «هناك من اقتحم الشقة... ما الذي هناك ليسرقه؟»

خفق قلب إيثان بقوة تكاد تخترق صدره ومسح بعينيه محيط الغرفة

«من هناك؟» كرر بصوت مخنوق.

لم يكن هناك أحد... ارتجفت يده وهو يمسك بسكين من المطبخ الصغير خلف أريكته، واتجه إلى الحمام بخطوات محسوبة.

اندفع إيثان داخل الحمام؛ فكان الحمام على حاله.

أسقط السكين على الأرضية ووقف أمام حوض المغسلة ينظر إلى انعكاسه: «ما الذي يحدث لي؟» فكر بارتياح.

«إيف!!»

جاءها صوت والدها مشوشاً.

«إيف!!»

شعرت إيف بضغط قوي على صدرها، كمكبس يصعد وينزل على رئتيها.

وبينما اندفع الماء المالح من فمها محرقاً حلقها، فتحت عينيها.

اختنق صوت ليلي: «هل أنت بخير يا حبيبتي؟»

سعلت الماء المتبقي في رئتيها وأخذها جيمس من الأرض بين يديه بعصبية:

«ما الذي حدث يا عزيزتي؟ ليلي، أحضري المنشفة حالاً».

كانت إيف ترتجف رغم دفء الجو.

صوت خطوات والدتها غير المنتظمة يتردد في مسامعها، عندما كان والدها يقودها نحو حجرة القيادة.

حضرت ليلي على عجل، ولقت حول ابنتها المنشفة الدافئة وهي تدلك جسدها.

استقر نظر إيف على وجه والدتها الرطب، وتعلق بقطرة تكاد تسقط من عينيها المحمرتين... وميض

أحمر لمع في ذهنها فاختنقت أنفاسها لوهلة.

شدّ والدها يديه حولها: «لا بأس يا عزيزتي... أنت بخير».

لم تستطع إيف الحصول على نوم هانئ ليلتها؛ في كل مرة تغمض عينيها تشعر بالماء البارد يبتلعها.

حلّ الصباح، واقترح والداها العودة إلى المرسى لإنهاء الرحلة... وافقتهما إيف وتجنبت النظر في

عينيها.

مرت رحلة العودة بالسيارة بصمت.

حين وصلوا انتبهت إلى وجه والدها وهو يبتسم بشحوب: «دعيني أحمل الحقيبة إلى غرفتك».

وأخيراً بعد أن أغلقت باب غرفتها انطلقت لتفتح دفتر الملاحظات الخاص بأحلامها، وبدأت تكتب كل

التفاصيل التي تستطيع تذكرها، لم تفهم سبب رغبتها في الكتابة... لم يكن حلاً.

حافي القدمين على رمل الشاطئ الدافئ مشى إيثنان بلا مبالاة، وترددت حوله أصوات ضاحكة، غير مفهومة.

كلوحة لا تنتهي من الرمال الذهبية امتدّ الشاطئ أمامه، حيث كانت الأمواج تتهاذى برفق، تاركة خلفها خيوطاً من الزبد الأبيض، والنسيم يحمل رائحة البحر المالحة، بينما انعكس ضوء الشمس على سطح الماء كآلاف الشظايا المتألّئة.

لقد مر وقت طويل على ذلك، فكّر إيثنان وهو يبتسم لنفسه يستعد للسباحة. وفجأة... صرخت السماء بصوت أقوى من الرعد، كأن الهواء نفسه يتمزق. تكاثفت الغيوم، وحجبت أشعة الشمس.

تصلّب جسد إيثنان؛ كان هناك أمرٌ خاطئ.

تكرر الصراخ، ولم يكن الصوت بشرياً.

بدأت الجموع من حوله بالركض والهروب، تصرخ بأصوات ملأت أذنيه رعباً.

إلى السماء رفع نظره، مرتبكاً.

كان هناك شيءٌ يطير...

شيءٌ قرمزي، بحجم ناطحة سحاب.

تنّين! فكر وقد اجتاحه الجزع.

زأر التنّين وهو يقترب من سطح المياه، نافثاً النار من فمه.

تجمّد إيثنان في مكانه، وأدرك — لسبب لا يفهمه — أن التنّين قادم من أجله وحده.

وفي اللحظة ذاتها، التفت الجميع نحوه، كأنهم عرفوا جميعاً الحقيقة نفسها.

ركض بأنفاسٍ متقطعة، يبحث عن أي شيء يحتمي خلفه.

أغلق عينيه، وأخذ جسده يرتعش فاقداً السيطرة على نفسه.

وعندما فتحهما من جديد، وجد نفسه في منزل والديه، حيث قضى طفولته.

كل شيء بدا مألوفاً، لكن زئير التنّين ما زال يُسمع، يحوم فوقه، وهو يعلم أن التنّين لا يعرف مكانه بعد.

ولسبب ما، أيقن إيثنان أنه يعرف ما يعرفه الوحش الطائر.

ودون سابق إنذار، اقتحم المنزل أشخاصٌ ملثمون.

فهم على الفور أنهم يخدمون التنّين فحاولوا إخراجه بالقوة، وبعد مقاومة عنيفة انسحبوا من المنزل.

في تلك اللحظة، انكمشت أطرافه.

أدرك أن الوحش اكتشف مكانه.

لم يستطع تفسير ذلك، ولا كيف أصبح يعرف ما يعرفه الوحش الذي يلاحقه وكأنه يشعر به.

حطّ التّنين بسرعة مزلزلاً الأرض بجانب النافذة المطلّة على الشارع، ونظرت عينه الهائلة، الممتدة على حواف الإطار، إلى إيّاثان.

كانت عيّناً طويلة، زاحفة، كعين أفعى.

حدّق إيّاثان فيها، دون أن يهرب، رغم أنه كان يعلم أنه قادم من أجله وحده.

مرّت لحظة صامتة بينهما، بلا صراخ، بلا نار تأمل فيها عين الوحش الهائلة بفضول، ثم سمع زئيراً قوياً؛ حلّق التّنين مبتعداً، تاركاً إيّاثان والمنزل سالمين.

فتح إيّاثان عينيه ببطء.

كانت مروحة السقف تدور كما تركها مع المصابيح القديمة المتدلية من الجدران، تلقي ضوءاً باهتاً على أثاث الشقة البسيط.

شعر بصفاء لم يعرفه من قبل، ومرر يديه على قميصه الرطب وهو يحدّق بالطلاء المتقشر على الجدار حيث بقيت آثار الزمن واضحة.

تذكّر عين التّنين الهائلة، الغريب... أنه لم يشعر بأيّ خوف.

«أتعلم؟ عدد كبير من الناس لا يستطيعون فعل ذلك».

انطلق الصوت العميق مرة أخرى.

في طرفة عين جلس إيّاثان، وأخذ صدره يضج بتوتر يتزايد مع كل ثانية تمر.

«من هناك؟!»

لقد سمع هذا الصوت نفسه البارحة... بنفس النبرة المتهكمة.

«لا حاجة لكل هذا التوتر، يا إيّاثان».

«هل وصلت إلى حافة الجنون الآن؟» قالها وهو يضغط على أسنانه.

«ليس بالضبط». قال الصوت، مازحاً.

«من أنت؟ وكيف يتردد صوتك في رأسي؟»

«أنا...»

صمت لوهلة، ثم أكمل:

«أنت».

عبس إيّاثان.

هذا قد يفسر الكثير، باستثناء أنني لا أتحدث بهذا الشكل.

صمت الصوت.

وبانفعال ضرب رأسه: «هذا بالضبط ما أحتاجه الآن... أن أسمع أصواتًا تعبت بعقلي».

«أصوات؟» قال الصوت بسخرية «إنه صوت واحد فقط».

تجاهله إيثنان.

متجهًا بسرعة نحو الخزانة البالية الى جوار الأريكة، أخذ يبحث عن ملابس مناسبة وبدأ بتبديل ملابسه.

«إلى أين نحن ذاهبون؟»

«أخرج من رأسي!» قالها بعصبية.

أخرج هاتفه وضبط الـ GPS على أقرب عيادة طبيب نفسي.

«حسنًا، أتفهم هذا القرار... لكن لنناقش أولًا».

«ليس هناك ما يُناقش». فكر إيثنان. سأصلح هذا.

«أجل، هدر المال من أجل بضع كلمات متعاطفة».

«حل عبقرى فعلاً».

على الدرج نزل إيثنان، فوقعت عينه على دراجته الكهربائية المربوطة بسلسلة حديدية... تجمّد للحظة، ثم

ابتلع ريقه بغصة وأدار رأسه نحو المخرج.

راح يمشي في طريقه على الرصيف بين المارة بعجلة، رفع حاجبيه وهو ينظر إلى هاتفه؛ ١٠٠ متر

متبقية، بصعوبة تفادى الاصطدام بفتاة أطلقت عليه لقب الغبي ولكنه تابع طريقه بغير انتباه، حتى إنه كاد

يتعثّر بدرج المكتب، توقف سريعاً أمام الباب، كان عليه لوحة من المعدن اللامع حفر عليها:

(الدكتورة هيلين طبيبة نفسية)

مرر يديه على شعره في محاولة يائسة لتهدئته وطرق الباب...

دخل إيثنان لحجز موعد، وهو يتمنى أن تكون الدكتورة هيلين متفرغة.

«سوف يكون هذا مثيراً للاهتمام» قال الصوت بتهكم.

ولحسن الحظ لم يكن هناك أحد غيره، طلب بأدب من السكرتيرة التأكد من تواجد الدكتورة وهو يمسح

قطرات العرق من على وجهه، فأشارت له بإمكانية الدخول الى المكتب الخاص بـ د. هيلين وهي تنتظر له

بارتباك.

كان المكتب يحمل مزيجاً غريباً بين البساطة والعمق؛ أثاث خشبي داكن، ولوحات هادئة معلقة على

الجدران، وساعة صغيرة تصدر صوتاً خافتاً يملأ لحظات الصمت. على الرفوف اصطفت كتب علم

النفس بجانب بعض القطع الفنية، وكأن المكان نفسه يحاول فهم العقول التي تدخله.

استقرت أريكة مريحة أمام مكتب أنيق، وبينهما طاولة صغيرة وُضعت عليها بعض المناديل وكوب ماء، كأنها دعوة صامتة لمن يجلس هناك بأن يتحدث دون خوف. لم يكن المكان يشبه عيادة باردة، بل مساحة آمنة تُترك فيها الأسرار خلف الأبواب المغلقة.

جلس إلى الأريكة يواجه الدكتورة.

قالت هيلين بدفء: «يمكنك أن تبدأ يا عزيزي، قل لي ما المشكلة».

سكت قليلاً... ضم يديه معاً وانحنى باتجاه الدكتورة، متفادياً النظر في عينيها.

«حياتي حالياً تتجه نحو الهاوية».

«طُردت من عملي البارحة، حسابي البنكي في حالة يُرثى لها... سوف أُنقل إلى العيش في الشارع بعد

يومين، واليوم صباحاً بدأت أسمع صوتاً مزعجاً في رأسي».

أكمل إيثان، يزم شفثيه بامتعاض: «ولا أستطيع التخلص منه».

هيلين، وهي تبتسم: «أعتقد أن هذا طبيعي جداً يا إيثان... أنت تتعرض لضغوط كبيرة في هذه المرحلة

الحساسة من حياتك».

أكملت هيلين بلطف: «أنت تحتاج فقط أن تراجع خياراتك وتفكر بهدوء» استقامت من مقعدها خلف

المكتب واقتربت منه، وفي يدها قطعة من الحلوى.

قدمتها له والتعاطف يلوح في عينيها: «ما الذي يقوله لك هذا الصوت؟»

أخذ إيثان الحلوى منها بتردد: «إنه يحاول أن يبدو رائعاً بتهكمه الدائم».

على مقعد مقابل استقرت هيلين: «أحياناً يا إيثان، جزء منا يلجأ للمزاح في مواقف كهذه لتخفيف التوتر».

إيثان بعصبية: «أجل، هذا يبدو صحيحاً يا دكتورة، باستثناء أنه لا يساعدني أبداً».

تفحصته هيلين لثوانٍ بدت طويلة ثم قالت أخيراً: «لم لا تحاول الاستماع أولاً لهذا الصوت، ثم تقرر إن

كان يجب التخلص منه أم لا؟»

الفصل الثاني

نزل إيثان الدرج خارجاً من المكتب يفكر بما قالتها الدكتورة هيلين، سار بلا وجهة واضحة حتى قادته قدماه إلى مقهى صغير عند زاوية الشارع. دفع الباب الزجاجي، فاستقبله رنين الجرس المعلق فوقه، ثم اندفعت نحوه رائحة القهوة الدافئة الممتزجة برائحة الخشب القديم. شعر أن المكان منفصل عن العالم الخارجي؛ الأصوات منخفضة، والوجوه غارقة في أحاديثها الخاصة، وكأن لكل شخص هنا قصة يخفيها خلف ابتسامته. لاحظ صمت الصوت العميق، وتساءل في نفسه إن كان وهماً فعلاً، وأنه كان في حاجة فقط للتنفيس عن توتره.

وعندما كان يتجه ليختار الطاولة الذي سيجلس، عليها اصطدمت قدماه بأطراف كراسٍ خشبية قديمة مصطفة بعناية حول طاولات دائرية صغيرة. في زاوية المقهى قرر أن يجلس وحيداً، قبل أن يضع كوب الشوكولا الساخنة أمامه. راقب حسابه البنكي على شاشة هاتفه المحمول. «المائة دولار الأخيرة»، فكر إيثان بعجز. «نستطيع أن نغير ذلك»، انطلق الصوت العميق في ذهنه. فكر إيثان بأمل: «كيف؟» وكره نفسه لذلك. «من أنت على أي حال؟» «نادني ثرين» «هذا اختيار سيئ للأسماء، أتعرف؟» عند الزاوية استقر رجل مسن يقرأ صحيفة مطوية، بينما انشغل زوجان على الطاولة المجاورة بحديث منخفض لم يسمع منه سوى الضحكات المتقطعة. «أستطيع مساعدتك يا إيثان، لدي مواهب يمكن الاستفادة منها»، قال ثرين. «وما هي هذه المواهب؟» «انظر أمامك، إلى جهة اليمين من البار. هناك حمّام للنساء». نظر إيثان إلى الباب بجانب البار. أكمل ثرين: «حسناً، بعد دقيقة أو أقل ستخرج ثلاث فتيات؛ اثنتان شقراوان، وواحدة قصيرة ذات شعر باذنجانى». فكر إيثان: «هل هذه مزحة؟»

سكت ثرين.

وبتوجّس حدّق نحو الباب، محكماً قبضته على كوب الشوكولا الساخنة. مرّت الدقيقة كأنها سنة، ولم يحدث شيء.

هزّ رأسه بحنق: «حسنًا، هذه مضيعة للوقت».

حوّل نظره إلى كوب الشوكولا أمامه وشرب قليلاً منه، وفي اللحظة نفسها فُتح الباب على يمين البار. شاهد إيثان فتاتين شقراوين، وفتاة قصيرة ذات شعر بلون الباذنجان، خارجات من الباب، فاختنق بالشوكولا الساخنة التي أحرقت بلعومه، ومسح عينيه الدامعتين. وقال، يهمس لنفسه برهبة: «هل ترى المستقبل؟» ضحك ثرين: «ليس بالضبط». توسعت عينا إيثان. «إذاً كيف عرفت؟»

هل أنا أحلم؟

طفت إيف بخفة غير طبيعية، خيّل لها أنها معلقة في الفراغ.

كان كلّ شيء مظلمًا، لا دافئًا ولا باردًا.

لا صوت يعلو فوق صوت أفكارها.

ثم صُغقت حين أدركت أنها فقدت أصابعها.

ثم يديها.

ثم جسدها بالكامل.

لم يتبقّ سوى وعيٍ معلق، بلا إحساس مميز، بلا صوت، بلا رائحة.

سحابة إدراكٍ فارغة.

«أنتِ الآن ميتة».

قال الصوت — صوت يمكنها تمييزه، بلا نبرة، بلا جهة.

فكرت إيف: «كيف؟ من أنت؟ أين أنا؟»

توقّف لحظة، ثم أضاف:

«لا أحد يتقبّل الأمر بسرعة».

شعرت بقوة الماء تبتلع صدرها،
تسحب أنفاسها،
وتضغط عليها من كل الجهات.
تذكرت الوحدة.
وتذكرت البرودة.
«هذا لا يهم الآن».
انطلق الصوت مرّة أخرى، قاطعاً ما تبقى من الذكرى.
«من أنت؟ أين أنا؟»
سكت قليلاً،
ثم قال:
«أنا المشرف».
«ما الذي سوف يحدث لي؟»
«النسيان ليس عقوبة... بل إجراء».
صرخت إيف وهي تصارع في سريرها.
انفتح باب غرفتها بقوة.
«إيف! ما الذي يحدث؟!» زعق والدها.
هزّت إيف رأسها بارتباك، والدموع تنزلق من عينيها.

خرج إيثان من المقهى يهمس لنفسه... أثار هذا انتباه بضع أشخاص فنظروا له بارتياح.

ثرين: «إيثان، أنا أتفهم قلقك من الانتقال للعيش في الشارع، المصحح العقلي ليس خياراً أفضل».

توقف إيثان عن الهمس.

بينما كانت السيارات تمر على الطريق بإيقاع متواصل، تتخلله أصوات أبواق متفرقة وهدير محركات يخفت ثم يبتعد، عبرت بجانبه امرأة تدفع عربة طفل، وتجاوزته شاب على لوح تزلج كهربائي، في حين كانت مجموعة من طلاب المدرسة تضحك بصوت مرتفع عند زاوية الشارع.

ثرين: «أستطيع سماع أفكارك، لا داعي للهمس».

فكر إيثان: «هل سمعت أفكارهن وهن بالداخل... الفتيات؟»

ثرين: «لم لا تذهب لشقتك لتتكلم...»

كانت نسائم خفيفة تحرك أوراق الأشجار المزروعة على امتداد الرصيف، فتتناثر بقع الضوء والظل تحت قدميه. وعلى الجانب الآخر من الطريق، وقف بائع متجول يسكب الثلج في أكواب العصير، بينما امتزجت رائحة القهوة المنبعثة من المقاهي المجاورة برائحة الأسفلت الدافئ.

مشى بوهن، تذكر أنه لم يتناول أي شيء منذ البارحة.

ثرين: «دعني أشتري لك البيتزا».

استغرب إيثان: «كيف سوف تشتري البيتزا؟ أنت صوت في عقلي!».

توقف عامل توصيل بيتزا فجأة على جانب الطريق الذي يمشي فيه إيثان. ونزل من دراجته الكهربائية وهو يمشي بغرابة باتجاهه.

مرر إليه كيساً فيه علبة بيتزا. نظر إيثان في عيني السائق الشاردتين، وبدون أي كلمة ركب دراجته وأكمل طريقه.

تجمّد إيثان في منتصف الطريق، وانزلق الكيس من أصابعه وهو يرمش عدة مرات، في محاولة لاستيعاب ما حدث للتو.

ثرين: «سأشرح عندما تصل إلى الشقة».

على الطريق مع الحماس الذي اجتاحه حاول التركيز والإسراع نحو الشقة، كان متشوقاً لسماع ما لدى ثرين لقوله.

أخيراً وصل إلى مدخل البناء، وصعد الدرج بلهفة، أغلق الباب خلفه، فصدر عنه صرير مألوف لم يلتفت إليه.

في شقته وضع إيثان علبة البيتزا على الطاولة أمامه وهوى على الأريكة.

«كيف فعلت ذلك؟» فكر إيثان.

ثرين: «لم لا تحاول الاستنتاج أولاً؟ أحب أن أسمع نظرياتك».

كان يتأمل طبقة رقيقة من الغبار تراكت عند حافة النافذة، دون أن يمّسها أحد منذ أيام: «حسناً... أنت تسمع أفكارى، إذاً يمكنك أن تسمع أفكار الأشخاص الآخرين، وهذا ما فعلته عندما كنا في المقهى».

قال ثرين بوقار: «هذا صحيح وخاطئ». أكمل ثرين: «أستطيع قراءة أفكار الأشخاص القريبين من هذا الجسد فقط، ولكن ليس هذا ما استخدمته عندما كنا في المقهى». كان طنين الثلاجة الخافت من المطبخ ينبعث إلى جواره، فلمعت فكرة في ذهن إيثان: «ماذا عن الاستحواذ؟»

ثرين: «هذا صحيح، ولكن هناك حدود معينة تعتمد على قوة عقل المضيف». ساد المكان هدوء ثقيل، لا يقطعه سوى صوت السيارات البعيد المتسلل عبر النافذة. إيثان: «إذاً، هل أنا ضعيف لهذه الدرجة؟» ثرين: «فكر بمنطقية، إيثان... هل لديك ثغرات في ذاكرتك؟ هل تفعل أشياء لا إرادية؟» إيثان: «لا». «إذاً، كيف استحوذ عليك أيها الأحمق...»

«إنها ترفض التكلم عن الأمر...»
جاء صوت ليلي مرتفعاً، متقطعاً، كأن الكلمات تسبق أنفاسها.
لا تريد التحدث مع أحد.
ساد صمت قصير.
ذلك الصمت الذي تعرفه إيف جيداً.
«أعطها بعض الوقت يا ليلي...»
قال جيمس، بنفس النبرة التي يستخدمها حين يحاول إقناع نفسه قبل الآخرين.
«لقد مرّت بشيء مدمر».
سمعت إيف النقاش من خلف الباب.
أنفاسها توقفت لثانية، ثم عادت متقطعة.

لم تتحرك.
استبدّ بها ندم عميق حيال الطريقة التي تتعامل بها مع الأمر، لم تكن تريد لوالديها أن يعيشا لحظة كذلك، ولكنها لم تملك طريقة للتعبير أو لجعلهما يطمئنان.
وبهدوء أغلقت الباب، ببطء مبالغ فيه، كأن أي صوت زائد قد يفضحها.
راحت عيناها تبحث في أرجاء غرفتها المظلمة، احتلّ السرير الأبيض منتصف الغرفة، وقد أُلقيت فوقه بإهمال بطانية ذات لون سماوي بينما استقرت عدة وسائد صغيرة في موزعة بغير ترتيب.
إلى جانب النافذة وقفت طاولة مكتبية، يعلوها حاسب محمول تتوهج شاشته داخل عتمة الغرفة، ويرقد بجواره دفتر مفتوح وقلم حبر تُركا على عجل.
كان هناك ملصق موضوع على الجدار فوق سريرها، كُتب عليه بخط عريض:
(اجمع اللحظات، لا الأشياء)
ولكنها كانت تريد دفن تلك اللحظة، تلك الذاكرة التي توارقها باستمرار، ذلك الصوت الغريب الذي تسمعه في أحلامها.
اتجهت نحو طاولتها بخطوات مترددة.
الضوء الوحيد في الغرفة كان مسلطاً على دفتر ملاحظاتها.
صفحات ممتلئة بالخربشة.
صوت بارد... غير بشري.
سواد دائم...
... وميض أحمر.
فوبيا الغرق.
تبيس جسدها بشكل مباغت.
تسللت رائحة الملح إلى أنفها، رائحة مألوفة بشكل غريب... أكثر مما ينبغي.
بدأت البرودة تتوغل في صدرها وتعذر عليها التنفس وكأن رثيها توقفتا برهة.
تلاشت جدران الغرفة واختفى انعكاس المصباح، ثم تحولت الأرضية إلى أمواج سوداء، تتمايل بانتظار ابتلاعها.
أغمضت إيف عينيها.
اختل توازنها، وسقطت على يديها.
الأرض صلبة حقيقية.

تحت وطأة الألم تلوّت، وارتجفت أصابعها تضغط بغضب على البلاط البارد كأنها تتمسك بالواقع قبل أن يسحبها البحر من جديد.

اندفع القطار يهدر بثبات باتجاه لاس فيغاس، واهتزّت عرباته بخفّة، في حين ضرب الهواء وجه إيثنان كأنه يحاول إيقاظ فكرة على وشك أن تتشكل. كان يجلس في مقعدٍ جانب نافذة مفتوحة وهو ينظر الى يديه المتشابكتين فوق الطاولة أمامه.

«لا تعجبني هذه الخطة» فكر إيثنان.

قال ثرين بمزاح: «الموضوع بسيط؛ أحد المقامرين سوف يسقط بضع آلاف دولارات». ثم أضاف:

«ونحن، من باب الأدب، سنحتفظ بهذه الأموال للاستثمار، طبعًا».

عند المقعد المقابل ركز إيثنان بفتاة جالسة، راحت ترفع خصلة شعر خلف أذنها دون أن ترفع عينيها عن هاتفها.

انطلق صوت ثرين متهمكماً:

«وفر نظراتك... لديها حبيب بالفعل».

أدار رأسه بملل: «لم يجب أن نلعب البوكر؟

لم كلّ هذا التعقيد؟ لم لا تستحوذ على بليونير وتجعله يرسل المال مباشرة إلى حسابي البنكي؟».

قال ثرين، وقد بدأت نبرة الانزعاج تتسلّل إلى صوته: «إيثنان... أنت قاتل للمرح فعلاً».

زفر إيثنان.

أردف ثرين بعد لحظة:

«ماذا لو تفقد البليونير سجلّ تحويلاته البنكية؟، ولم يتذكّر أيّ شيء عن إرسال الأموال لك».

قال إيثنان ببرود: «سنكون مطلوبين بتهمة الاحتيال».

مرّت بقية الرحلة بدون كلام، وإيثنان يتأمل الطريق عبر النافذة. لم يكن المال أو الخطة هو ما يؤرقه الآن.

لمع شعاع فكرة في ذهنه...

«لماذا تساعدني؟»

لم يجب ثرين.

وبعد ان توقف القطار أخيراً استقل إيثان حافلة باتجاه الستريب إلى فندق بيلاجيو، الكازينو الأكثر شهرة في لاس فيغاس.

لاحت لوحات النيون تومض فوق المباني، إعلانات ضخمة تملأ الواجهات، وسيارات تتدفق بلا توقف كانت بالفعل كما يقولون المدينة التي لا تنام.

«المكان الأمثل لخسارة النقود»

رفع إيثان عينيه نحو المبنى الضخم الذي أمامه وكأنه لا ينتمي إلى الصحراء المحيطة به. ارتفعت واجهته الزجاجية والحجرية في أناقة هادئة، تعكس أضواء المدينة المترقصة حولها، بينما كانت النوافذ الممتدة على عشرات الطوابق تبدو كعيون مضيئة تراقب حركة البشر في الأسفل، وهو يمشي إلى النافورة العملاقة أمام الكازينو.

كان صوت الموسيقى داخله يرتفع مع كل خطوة يقترب فيها. أما أمام المدخل فتدفقت السيارات الفاخرة بلا انقطاع، تتوقف للحظات قصيرة قبل أن يخرج منها أشخاص بملابس أنيقة، ثم تنطلق من جديد تاركة خلفها صوت المحركات ورائحة الوقود المختلطة بهواء الليل الدافئ.

عندما تعرق جبينه، حيره القلق الذي يراوده حول هذا المكان أو الشيء الذي يوشك على فعله.

تجاهله ثرين: «انتظر في البهو دقيقة ثم اذهب الى الاستقبال».

كان الحراس يقفون بثبات عند المدخل، بلامح محايدة لا تكشف شيئاً، بينما كانت خطوات الزوار تتردد فوق الأرضية اللامعة.

رغم فخامة المكان، شعر أن كل ما به مصمم لإخفاء أمر ما. الوجوه، الأضواء، وحتى الابتسامات. مضت دقيقة، لكن إيثان ظلّ جالساً في البهو يقطع أصابعه. لاحظ نظرة عامل الاستقبال الخالية من أي تعبير، سرعان ما أثاره صوت ثرين بغضب مبطن:

«هل هناك مشكلة؟».

شاهد عامل الاستقبال يهز رأسه في حيرة، وكأنه يستيقظ من غيبوبة.

«أجل هناك مشكلة كبيرة... انا لا أثق بك».

«لا تكن أحمقاً، انا أحاول مساعدتك».

«لماذا تساعدني؟ ... انا لا أفهم من أنت أو ماذا تريد مني».

ضحك ثرين بخفوت: «إيثان... هل تود النوم في الشارع اليوم؟».

ضغط إيثان أصابعه بقوة شديدة كمن يتعرض للابتزاز، وهو غير قادر على فعل شيء حول ذلك، ثم وقف ومشى مجبراً باتجاه عامل الاستقبال، ليحصل على مفتاح غرفته.

على أصوات والدتها استيقظت إيف. كان صوتها هادئاً، لكنه حمل ذلك القلق الذي حاولت إخفاءه. «هيا يا عزيزتي، الإفطار جاهز، لا يمكن أن تظلي في غرفتك إلى الأبد» قالت وهي تدق الباب. تهيأ لها بأن والدتها تطرق رأسها وليس الباب. فجلست تفرك عينيها بوهن. بقيت تحديق في الغرفة دون حركة. كان ضوء الصباح يتسلل من بين ستائر النافذة، يرسم خطوطاً باهتة فوق الأرضية، كل شيء بدا مألوفاً... لكنه بعيد، كأنها عادت إلى غرفة تخص شخصاً آخر. رفعت رأسها نحو مرآة الخزانة المقابلة، تحديق في انعكاسها طويلاً، في وجهها الشاحب وشعرها المتبعثر حول قميص النوم الوردي، كأنها تحاول التأكد من أن هذه الفتاة أمامها هي نفسها التي كانت قبل أيام. شعرت إيف بحاجة ملحة إلى التحدث مع أحد. إلى إخراج الكلمات التي علقت داخلها منذ الحادثة، قبل أن تتحول إلى شيء أثقل من قدرتها على الاحتمال. من شعرها المبعثر رفعت خصلة وأبعدتها عن وجهها. كريستا...

كضوء صغير في غرفة مظلمة. تسالت الفكرة إلى ذهنها، كانت كريستا صديقتها الأقرب، الشخص الوحيد الذي لم تكن تضطر أمامه إلى اختيار كلماتها بعناية أو التظاهر بأنها بخير. لكنها كانت قد سافرت هذا الأسبوع مع عائلتها، وتركت خلفها فراغاً شعرت إيف به أكثر مما توقعت.

التقطت هاتفها المحمول من فوق الطاولة بجانب السرير. أضاءت الشاشة، فانعكس ضوءها البارد على وجهها، ثم بدأت تكتب:

"مرحباً كريستا، كيف الرحلة؟"

اشتقت لك.

هناك شيء لا أفهمه يزعجني... أحتاج أن أحكي لك عنه."

ترددت قبل الإرسال للحظة. ولكنها ضغطت إرسال، فظهر شعور خفيف بالارتياح، ليس لأنها تخلصت من الخوف، بل لأنها لم تعد تحمله وحدها تماماً.

وضعت الهاتف جانباً، ثم نهضت أخيراً من السرير. لامست قدمها الأرض الباردة، فتوقفت للحظة عند الإحساس المفاجئ الذي أعاد إليها ذكرى الماء البارد حول جسدها.

تجاهلت الفكرة بسرعة.

اتجهت نحو الباب، وأخذت نفساً عميقاً.
كان عليها أن تنزل للإفطار... قبل أن تعود والدتها للطرق من جديد.

في الطابق الخامس من فندق بيلاجيو، امتد الممر أمامه طويلاً وهادئاً، مختلفاً تماماً عن صخب الكازينو.
كان السجاد السميك يمتص وقع خطوات إيثنان، حتى بدا وكأنه يسير فوق أرض لا تسمح للأصوات
بالهروب.

وقف في الممر أمام باب الغرفة رقم 101، وهزّ رأسه، كأن الرقم يسخر منه.
بالطبع... 101.

كان رقمًا عاديًا بالنسبة لمعظم الناس، مجرد غرفة في فندق فاخر... لكنه لم يكن عاديًا بالنسبة له.
لطالما كان ينجذب إلى الأشياء التي يمر عليها الآخرون دون اهتمام. الأرقام، الرموز، المصادفات
الصغيرة التي يراها البعض بلا معنى.
تذكر إحدى النظريات التي قرأ عنها قبل سنوات؛ أن هذا الرقم يمثل قرون الشيطان، أو في مقالات أخرى
ذكرت أنه يرمز للبدايات الجديدة.

لم يكن يعرف إن كان هناك أي معنى حقيقي خلف ذلك، لكنه كان يحب فكرة أن بعض الأشياء تخفي
طبقات لا يراها الجميع.

فتح الباب ودخل، رائحة خفيفة من العطور الفاخرة ممزوجة برائحة الخشب المصقول انتشرت في
الغرفة، بينما كان الهواء البارد القادم من نظام التكييف يمر بصمت فوق وجهه، وعلى السرير الفندقي
الواسع ذي المفارش البيضاء المشدودة بعناية ألقى حقيبته بفتور.
عبر الغرفة كان: الأثاث أنيق، الخطوط ناعمة، ورائحة نظافة باردة لا تشبه أي مكان عاش فيه من قبل.
قال ثرين بنبرة شبه ساخرة:

«حسنًا... هذا أفضل بكثير من القذارة التي كنت تعيش فيها»

زمّ إيثنان شفتيه. لم يُجب.

انعكس ضوء المصباح على سطح الخزانة المصنوعة من خشب الماهوجني المصقول، فأشاح بنظره
عنها، واقترب من الخزانة الجانبية ليفتح البراد الصغير المدمج، بدا محتواه مرتباً بعناية؛ زجاجات مياه،
علب مشروبات غازية، وعدة ألواح شوكولاتة مصطفة.
التقط واحدًا منها وأغلق الباب.

عاد صوت ثرين بهدوء:

«لَمْ لَا تَأْخُذْ الْيَوْمَ رَاحَةً؟ جَرَّبَ أَنْ تَسْتَمْتَعَ... لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ.»

تَمَزَّقَ الْغُلَافُ بِسَلَاسَةٍ، وَأَخَذَ قَضْمَةً صَغِيرَةً، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ لَحْظَةٍ:

«مَاذَا كُنْتَ تَقْصِدُ عِنْدَمَا قُلْتَ إِنَّ عِدَدًا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَسْتَطِيعُ فَعْلَ ذَلِكَ؟»

وَدُونَ سَابِقِ انْذَارٍ، دَوَّى رَنِينٌ مَعْدَنِي يَصُمُّ الْأَذَانَ.

دَقَّتْ سَاعَةٌ نَحَاسِيَّةٌ قَدِيمَةٌ عَلَى الْحَائِطِ، غَيْرَ مَنْسُجَةٍ مَعَ حَدَاثَةِ الْغُرْفَةِ، فَاقْشَعَرَ جِلْدُ إِيثَانَ. لَمْ يَكُنْ قَدْ لَاحَظَ وَجُودَهَا مِنْ قَبْلُ.

قَالَ ثَرَيْنٌ أَخِيرًا:

«نَظَرْتُ بِثَبَاتٍ فِي عَيْنِ الثَّنِينِ»

بِصُعُوبَةٍ ابْتَلَعَ إِيثَانُ رِيْقَهُ. عَيْنِ الثَّنِينِ... لِمَاذَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ تَلْمَسُ شَيْئًا عَمِيقًا بِدَاخِلِهِ، شَيْءٌ قَدِيمٌ لَا يَسْتَطِيعُ تَفْسِيرَهُ؟

أَكْمَلَ ثَرَيْنٌ: «فَضُولُكَ يَدْفَعُكَ، حَتَّى فَوْقَ حَافَةِ الْهَلَاكِ... يَعْجِبُنِي هَذَا»

«لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ مَا أَفْعَلُهُ»

نَظَرَ إِلَى الشُّوْكُولَاتَةِ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.

«لَكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ أَغْرَبُ مَا اخْتَبَرْتَهُ»

ثَرَيْنٌ: «لِنَفَرَضِ أَنَّ لَدَيْكَ الْقُدْرَةَ لِاخْتِبَارِ حَلْمٍ مِمَّاثِلٍ... هَلْ سَتَفْعَلُ ذَلِكَ؟»

تَفَاجَأَ إِيثَانُ بِنَفْسِهِ وَهُوَ يَبْتَئِسُ. ابْتِسَامَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مِنْذُ زَمَنٍ، شَعُورٌ بِالْفَضُولِ يَتَغَلَّغِلُ فِي دَاخِلِهِ، مَزِيجٌ مِنَ الْخَوْفِ وَالْدَهْشَةِ وَالرَّغْبَةِ. لَمْ يَتَذَكَّرْ آخِرَ مَرَّةٍ تَمَنَّى فِيهَا شَيْئًا بِهَذَا الْقَدْرِ.

الفصل الثالث

«أين هو؟» قال المشرف بهدوء ما قبل العاصفة.
أخذ الهواء يتجمد كأنه يزداد برودة مع كل كلمة يقولها.
«سيدي... لقد أرسلنا المراقبين لتتقي أثره.» قال كايرث وهو يكافح للبقاء ثابتاً.
«ترسل هذه الأشياء بدل أن تذهب وتقوم بعملك؟»
ساد صمت ثقيل يحبس الأنفاس.
أكمل المشرف بصوت يشوبه كره قديم.
«أنت خائف من مواجهته؟ أم تُرى أنت من ساعدته»
«س-سيدي... أرجوك» ارتعد صوت كايرث المبحوح.
«فشلت... مرة أخرى يا كايرث» ختم المشرف كلامه ببرود.
«ل... لا!!» صرخ كايرث، ثم انقطع صوته فجأة كأن الأثير ابتلعه.
شهقت إيف بهلع.
شعرت بيديها على رأسها ترتجف بتوتر، لم تستطع الصراخ، وكأن شيئاً شلّ حنجرتها.
عمّ الظلام في الغرفة، وهي تنظر في كل الاتجاهات غير موقنة أين هي...
وصوت صدى قلبها يتردد في أذنيها، يعلو فوق كل الأصوات المحيطة، ورعب كايرث يرنّ في رأسها.
وفي هذه اللحظة، انطلق صوت بجانبها، فالتفتت برعب نحو مصدر الضجيج المفاجئ، لتكتشف أنه
هاتفها المحمول يعلن عن إشعار رسالة وصلت... تنقّست إيف الصعداء، أيقنت للتو أنها آمنة في
فراشها، بعيداً عن كايرث والمشرف.
نعومة الفراش طمأننتها، لتأخذ نفساً عميقاً وتهمس لنفسها: «إنه مجرد حلم»
رغم الشك الذي تسلل إلى أعماقها.
على الخزانة بجانبها التقطت هاتفها، الذي سطع ضوءه على وجهها الشاحب الرطب.
رسالة من كريستا.
شعرت بالدفء يغمر قلبها، وفتحت الرسالة بسرعة: «اشتقت لك أيضاً يا سخيّة... سأرجع إلى فلوريدا
يوم الخميس، لم لا نلتقي.»
أغلقت الهاتف، تبسم لنفسها، وانطلقت إلى طاولتها، تكتب تفاصيل حلمها.

في الغرفة رقم 101 من فندق بيلاجيو، جلس إيثان أمام شاشة الهاتف يتابع مقطعاً آخر عن قواعد البوكر، يحاول حفظ الإرشادات للمرة الثالثة على التوالي.

والى جانبه استقرت منضدة صغيرة، وضع عليها صحنًا كبيراً من المثلجات، فأخذ ملعقة أخرى من منه دون أن يرفع عينيه عن الشاشة.

قال ثرين، مقاطعاً تركيز إيثان: «لن تحتاج إلى ذلك».

«لا أريد أن أبدو سخيّاً» أجابه إيثان بنبرة محايدة.

وقد أصبح أكثر هدوءاً بعد حديثهما السابق عن حلم إيثان الغريب.

قال ثرين: «سأغيب بضع دقائق...»

أوقف إيثان الفيديو: «ما الذي ستفعله؟»

ثرين: «لا يعجبني هذا العدد المهول من الكاميرات في هذا المكان.»

سأل إيثان بقلق: «ماذا تعني؟»

ثرين: «لا أريد أن تلفت الأنظار... تغيير بسيط في الخطة لا أكثر»

كان لهذه الكلمات أثر عكسي على إيثان، الذي توقف عن أكل المثلجات وجلس يراقب عقارب الساعة النحاسية، وهي تتحرك بسرعة أبطأ من المعتاد.

وبعد دقائق مرت أطول مما ينبغي، سمع إيثان صوت نقر على الباب أخرجه من شروده، قفز باتجاه الباب وفتحه بتردد، ليواجه أحد فتيات كادر التنظيف الخاص بالفندق.

حدقت الفتاة العشرينية بإيثان بعينين فارغتين.

قال إيثان، وهو يلحق شفتيه وقد انتبه إلى العربية جانبها: «أهلاً... آسف، لكنني لم أطلب خدمة التنظيف»

لم تجبه الفتاة، التي أخذت عدة مناشف مطوية بإهمال، ورمتها نحوه.

تحركت تجر العربية بعيداً بدون أي كلمة، تاركة إيثان وقد ارتسمت ابتسامة سخيفة على وجهه.

عاد صوت ثرين داخل رأسه: «أغلق الباب.»

إيثان: «ماذا كان ذلك؟ لماذا استحوذت عليها؟»

ثرين: «المناشف يا إيثان»

ضغط إيثان المناشف بأصابعه، التي تحسست ملمساً سميكاً غير اعتيادي، لا علاقة له بمناشف الفنادق.

سقطت رزمة من المال على قدم إيثان.

ثرين: «عشرة آلاف دولار... أتعلم؟ تبدو غيباً حقاً بهذه الابتسامة.»

انفتحت أبواب المصعد بهدوءٍ ناعم.

تقدّم إيثنان خطوة إلى الخارج، فاستقبله اتساع البهو المكسو بالرخام اللامع.

كانت الثريات الكريستالية تتدلّى من السقف كنجوم ثابتة، تعكس الضوء على الأرضية المصقولة.

للحظة قصيرة توقّف، حيث بدأ الصوت يتسرّب إليه — ضجيج خافت في البداية، خليط من رنين معدني وضحكاتٍ متقطّعة، صوت الكازينو.

مشى إيثنان عبر البهو بخطواتٍ محسوبة. كلما اقترب، تحوّل الهمس إلى موجةٍ من الأصوات: رنين آلات القمار، خلط الأوراق، ونداءات الموزّع عين الرتيبة.

عند حافة القاعة اتسّعت أمامه أرضية اللعب، بحرٌّ من الأضواء المتحركة والطاولات الخضراء.

شقّ طريقه بين صفوف آلات القمار اللامعة، مروراً بطاولات البلاك جاك، حيث كانت الأيدي تتحرّك بسرعةٍ فوق الرقائق الملونة.

الهواء هنا أثقل، مشبع برائحة السجاد الجديد والعطر الغالي والتوتر.

كان يعرف وجهته.

بعد دقائق من السير، ظهر أمامه باب زجاجي عريض، تعلوه لافتة هادئة: غرفة البوكر.

خلف الزجاج بدا العالم مختلفاً. الإضاءة أخف، الأصوات أكثر انخفاضاً، والطاولات مصطّقة في نظام رتيب كأنها ساحة معركة صامتة. رجال ونساء يجلسون حولها بوجوه لا تقرأ.

توقف إيثنان لحظة أمام الباب، ودخل ببطء، إلى مساحة أقلّ صخباً مقارنة بضجيج الكازينو.

الإضاءة كانت أخف، والطاولات الخضراء مصطّقة بعناية، كل واحدة محاطة بعدة لاعبين.

همس ثرين في رأس إيثنان: «خمسة آلاف فقط.»

تقدم نحو الموزّعة عند حافة الطاولة، ويده بعض الأوراق النقدية.

بابتسامة خفيفة، أخذت الموزّعة النقود منه، ومنحته 5 رقائق ذهبية ثقيلة بين أصابعه، كل واحدة تمثل

\$1000.

جلس على كرسيه، أمامه زر الموزّع الأبيض الصغير، ورفع عينيه ليأخذ لمحة عن زملائه في الطاولة:

على يساره، امرأة بيضاء آسيوية جميلة في فستان أحمر ضيق، عيناها حادتان تراقبان كل حركة بدقة،

تحافظ على ابتسامة هادئة وكأنها تعرف أمراً لا يعرفه الآخرون.

على يمينه، رجل في منتصف العمر يرتدي بدلةً فارهة سوداء، يبدو غنياً ومرتاحاً، يتحرك ببطء، يضع

يده على ذقنه بطريقة كاريزماتية.

في الجانب المقابل للطاولة، رجل آخر يرتدي بدلة أقل رسمية، بربطة عنق مفكوكة، يعلو وجهه توهج

الخمر أكثر من التركيز، يضحك بين الحين والآخر ويأخذ رشفة من كأسه.

ثرين: «استرخي.»

فكر إيثان بهلع: «انظر إليهم... سوف يدمروني»

ضحك ثرين: «لا يا إيثان، نحن سندمرهم»

حركة واحدة، رقاقة ذهبية توضع، كانت كافية، كأول رهان كامل أمام إيثان.

شعر إيثان بقليل من الارتياح، تذكر للتو أن ثرين يستطيع قراءة الأفكار.

بدأت الموزعة بتوزيع الأوراق حول الطاولة، صمت خافت يغمر الغرفة، كأن الهواء نفسه يراقب كل حركة.

دق قلب إيثان بسرعة، لكنه ركز على الأوراق بين يديه. لاحظ حركة المرأة الآسيوية، عينيها لم تفلت منه لحظة، لكنها لم تظهر أي مؤشر عن أوراقها.

الجولة تقدمت، الرقائق تنتقل بين اللاعبين، والرهانات ترتفع شيئاً فشيئاً. جاء دوره،

ثرين: «زد الرهان، لا تقلق.»

رفع إيثان رقاقة واحدة إضافية، وملامحه خالية من أي توتر. كانت هذه أول خطوة حقيقية، أول رهان كامل على نفسه.

اندفاع الأدرينالين مع كل بطاقة تُكشف. الموزعة وضعت البطاقة الأخيرة على الطاولة، والنتيجة بدأت تتضح.

ارتجف قلبه للحظة، ثم شعور غريب بالثقة دبّ في داخله.

ابتسم إيثان، رفعت المرأة الآسيوية حاجبها بدهشة واضحة، لم تتوقع هذه الحركة الجريئة. لم يكن مجرد رهان، بل كانت السيطرة على اللحظة، السيطرة على طاقته الخاصة.

عندما تم إعلان الفائز، ارتفعت الأصوات الخافتة حول الطاولة. إيثان كان الفائز. الرقائق الذهبية التي جمعها الآن أمامه كانت أكثر من مجرد مال، كانت أول انتصار حقيقي، شعور بالقدرة، بشيء لم يكن يتوقعه.

بعد سلسلة من الرهانات التي انتهت معظمها بفوز إيثان، قال ثرين: «حسناً، هذا يكفي اليوم»

«لا نريد أن ننير الشك» أكمل ثرين.

«ماذا تعني؟»

«هذه المرأة أذكى مما كنت أتوقع.»

«كيف ذلك؟»

«إنها تعتقد أنك تغش بطريقة ما وأنتك زيفت خسارتك بعدة رهانات.»

«ظننت أنها تستلطفني...»

«حقاً؟ ركز قليلاً يا روميو...»

قرر إيثان الاستماع لثرين وأخذ يجمع رقايات الرهان الخاصة به بثقة، صافح الجميع بابتسامة خفيفة، ثم اتجه يحوّل رقاياته إلى مال كان قد جمع \$70000.
أغلق باب غرفة الفندق واستلقى على سريره مبتسمًا لنفسه: «لقد فعلناها»
ثرين: «إنها البداية فقط»

اندفعت رائحة الشواء والدخان الخفيف من فناء أحد البيوت، لتختلط برائحة العشب المبتل المفضل لدى إيف.
تنفست بعمق وكأن الرائحة تعيدها إلى العالم الخارجي مجددًا.
كانت هذه أول مرة تخرج فيها منذ أسبوع... مشيت بخطوات سريعة على الرصيف باتجاه مقهى "السكين الزجاجي" Glass Knife في ضاحية وينتر بارك، الذي داومت هي وكريستا الذهاب إليه في مساء كل جمعة.
وقفت أمام المقهى تتفحص مكانًا مناسبًا لتجلس فيه، حين التقت عينيها بكريستا وهي تلوح لها بحماس.
دفعت الباب الزجاجي، فاستقبلتها موجة من روائح القهوة الطازجة والزبدة المخبوزة. كان المقهى يعجّ بالناس؛ أحاديث متقاطعة، ورنين الأكواب والصحون، وصوت ماكينة الإسبريسو يتصاعد بين حين وآخر.
مرّت بجانب الفاترينة الزجاجية الطويلة الممتلئة بطبقات من الكعك اللامع والكرواسون الذهبي.
كان هناك عدة أشخاص أمامها يشيرون بأصابعهم إلى ما يريدون، بينما أخذ موظف خلف المنضدة يدوّن الطلبات بابتسامة معتادة.
عانقت إيف كريستا بحرارة: «كيف كانت رحلتك؟»
كريستا: «متعبة حقًا.. التخميم لا يناسبني بالمرّة»
جلست وهي تضع حقيبتها الجلدية بلون الزمرد على الكرسي الذي بجانبها.
أكملت كريستا وهي تضحك بخفة: «لكن... قابلت شابًا هناك»
هزّت إيف رأسها، محاولة أن تبدو طبيعية: «حقًا!»

«أجل... انتظري قليلاً، لم أعد أستطيع تحمل كل هذه الروائح المغرية»
اتجهت كريستا إلى ركن الطلبات لتطلب قطعتين من الكرواسون وكأسين من الكابتشينو.
بقيت إيف جالسة، واستقرت عيناها على طاولة مجاورة حيث كان شاب وفتاة يتشاركان قطعة من الكيك.
انساب لحن جاز خافت في أرجاء المقهى، منح المكان دفناً هادئاً افتقدته إيف.
عادت كريستا إلى الطاولة وقالت وهي تدفع كوباً باتجاه إيف: «إذن، ماذا كنتِ تريدين إخباري به؟»
تفادت إيف النظر في عيني كريستا، وشابكت يديها بتوتر.
«ما الأمر؟» اختفت ابتسامة كريستا، واستندت بكوعها إلى الطاولة تتفحص إيف.
«هل هو فينس مجدداً؟»
«لا لا.. ليس فينس»
«إذاً ماذا...»
صمتت إيف للحظة ثم تنهدت ببطء، وشعرت بثقل الكلمات يخرج من حنجرتها:
«كدت أن... أموت غرقاً.»
تجمدت يد كريستا في الهواء، بقيت معلقة تحمل كوبها، واختلج صوتها: «ما؟ ماذا؟.. كيف حدث ذلك؟»
أكملت إيف: «هذا ليس الجزء الغريب حتى»
أخبرت كريستا بكل ما حدث عندما انزلت من القارب.
وللحظة تلاشى الضجيج، وكأن المقهى اختفى من حولها. نظرت إلى كريستا، التي توسعت عيناها وهي تحقق إليها، تستمع إلى كل كلمة بدون أن تقاطعها.
بعدما انتهت إيف من الكلام، أخذت تتأمل صديقتها التي شحب وجهها من الصدمة.
ابتسمت ابتسامة لم تصل عينيها: «لا داعي للقلق، أنا بخير الآن»
وبصوت مبحوح كسرت كريستا صمتها: «حمد الله على سلامتك... ولكن لا أفهم ما الجزء الغريب الذي قلتِ عنه؟»
مدت يدها إلى حقيبتها الجلدية بحذر، وهي تنظر حولها كأنها تتأكد أن لا أحد يتلصص عليهما وأخرجت دفتر ملاحظات أحلامها، ثم وضعته أمامها.
تحولت ملامح كريستا من الصدمة إلى الاستغراب.
قالت إيف بشكل دفاعي: «ماذا؟ فقط اقرأي آخر خمس صفحات»
رفعت كريستا يديها باستسلام: «حسناً، أعطني هذا الدفتر اللعين»
دفعت الدفتر باتجاه كريستا بتردد، وبدأت بتناول الكرواسون الخاص بها، وهي تنظر باهتمام إلى كريستا التي كانت تقرأ بحاجب مرفوع، وكأنها غير مقتنعة تماماً.
«ما رأيك؟»

أغلقت كريستا الدفتر ونظرت إلى إيف وهي تزمّ شفيتها: «شيء مريب حقًا... ولكن ألا تظنين أن كل هذه الأحلام سببها سقوطك من القارب؟»

سبعون ألف دولار أكاد لا أصدق أن الأمور سارت بهذه السهولة.
وبرتابة كان إيثان يغرز شوكتة في قطعة اللحم المشوي الغنية بالعصارة وهو يهتمهم لنفسه.
«ما الخطوة القادمة؟»
بقي ثرين صامتًا. ابتلع إيثان لقمة من اللحم؛ كان مذاقها أفضل مما توقعه وهو يتأمل المصابيح الكريستالية تتلألأ على السقف، وقد انعكس ضوءها على الأرضية الرخامية الفاخرة.
إيثان: «ربما أشتري مقهى صغيراً أو صالة ألعاب»
أجابه ثرين بجمود: «إن كان ذلك ما تريده»
تردد صوت الموسيقى الهادئة في مطعم لاغو الإيطالي، الواقع في الطابق الأرضي من كازينو بيلاجيو، بينما جلس إيثان في الزاوية المطلّة على النافورة التي كانت تنفث الماء برشّات لامعة تشبه النجوم الصغيرة.
وبعد أن فرغ من صحنه وضع الشوكة على حافته وهو يفرك بطنه باستمتاع.
«ما الأمر يا صديقي؟»
ثرين: «إنها تلك المرأة... إنها تراقبك.»
أدار إيثان رأسه: «أي امرأة؟»
ثرين محذراً: «توقّف...»
تجمّد إيثان، وأخذ يحدّق في صحنه: «ماذا هناك؟»
ثرين: «الأسبوية ذات الفستان الأحمر إنها خلفك، ولم ترمش حتى الآن»
إيثان: «أيمكنك سماع أفكارها؟»
أجاب ثرين: «لا... إنها بعيدة»
إيثان: «حسناً سأحاول الاقتراب منها»
شدد ثرين بصرامة: «لا... اذهب إلى غرفتك. لنخرج من هذا المكان.»
تشجّج جسد إيثان بعد تحذير ثرين: «ما الذي يقلّقتك؟ أظن أنها تشعر بالضيق فقط بعد أن ربحنا في البوكر»

ثرين: «هناك شيء مريب»

إيثان: «حسنًا»

اتجه إلى الرواق بعد أن دفع حساب طاولته. وشعر بعيني المرأة تلاحقانه؛ أعطاهما ظهره ومشى إلى خارج المطعم.

أمام المصعد وقف ينتظر بتوتر يفكر، لا يستطيع الهناء بلحظة نصر واحدة دون أي مشاكل.

همس ثرين: «هناك رجلان يتبعانك»

اختنقت أنفاس إيثان، وأخذ خطوة أقرب إلى باب المصعد المغلق: «ما الذي عليّ فعله؟»

ثرين: «عليك أن تسترخي وألا تحاول المقاومة»

شعر بقلبه على وشك الانفجار: «أقاوم ماذا؟!»

سمع خطوات ثقيلة تقترب منه ببطء.

«سيدي...»

قالها صوت هادئ خلفه، يشوبه لكمة روسية عميقة.

التفت إيثان إلى الخلف؛ كان هناك رجلان ضخمان يرتديان بذلتين سوداوين، ويبدو أن في غاية الجدية، يتحدثان به بشزر.

«آه... نعم» جفّ حلق إيثان.

«اهدأ...»

همس ثرين في رأسه.

«سيد فولكوف يرغب برؤيتك... الآن.»

«من؟» قال إيثان بصوت خافت.

«مالك هذا الكازينو»

أوما إيثان برأسه، وانفتح باب المصعد خلفه. أشار له الرجل بأدب إلى الدخول. وقف إيثان داخل المصعد، ولحقه الرجلان الضخمان.

ضغط أحدهما الزر رقم 33. فانغلقت الأبواب، وبدأ المصعد بالارتفاع بسلاسة. أخفى إيثان يديه المرتعشتين في بنطاله.

«حسنًا يا إيثان... اهدأ»

انطلق صوت ثرين.

«كيف أهدأ؟ لقد قُضي علينا»

فكّر إيثان بهلع.

«لن نخرج من هذا أن لم تهدأ» قال ثرين.

«هل... هل يظنون أنني غششت؟»

«ليسوا متأكدين، وهذه نقطة في صالحنا»

أكمل ثرين: «أستطيع الاستحواذ على أحدهما وإخراجك من هنا، ولكن هذا سيزيد الطين بلة»

شعر إيثان كأن الهواء يُنتزع من رئتيه: «إذاً، ماذا سنفعل؟»

قال ثرين بثقة: «سنلعب لعبتهم»

فتح باب المصعد معلناً وصوله إلى الطابق الثالث والثلاثين، فتحرّك الرجلان إلى الأمام: «من هنا رجاء» وخلفهما مشى إيثان بخطوات متخاذلة؛ كان على وشك التعثر أمام باب الجناح الذي طرق عليه أحد الرجلين.

«سنموت»

ضحك ثرين.

دخل إيثان عبر الباب إلى أكبر غرفة رآها في حياته. نظر ببلاهة إلى السقف المرتفع المزين بلوحة مألوفة، فتوقّف قلبه لوهلة.

بدا عالم آخر يمتد فوقه، مليء بالضوء والظل والحركة، لكنه جامد في الوقت نفسه. هناك جسدان؛ أحدهما مستلقٍ بلا حول، والآخر يطفو بين الغيوم، كأن الريح تحمله.

يد كلّ منهما متجهة نحو الأخرى، لكنهما لا تلتقيان بعد؛ الفراغ بينهما مشحون بشيء غير مرئي، شيء يشعر أنه قادر على إشعال كل ما حوله في لحظة.

البرودة أخذت تسري في يديه، وحرارة في قلبه، كأن هذا الاتصال المعلق فوق رأسه يربطه بشيء أكبر من العالم كله. صار الصمت ثقيلًا، مشحونًا بالمعنى، وكأن اللوحة تقول له: لحظة الخلق ليست بعيدة... إنها هنا، أمام عينيك.

«هل تعجبك؟»

انطلق صوت هادئ خشن بلكنة روسية، قطع تركيز إيثان الذي نسي للحظة أنه في جناح فاخر. وبشعر فضي وعينين حادتين كان يبتسم فولكوف أمامه:

«لوحة مايكل أنجيلو المفضلة لدي: "The Creation of Adam"»

«سيد فولكوف؟» قال إيثان.

لم يجب الرجل؛ اختفت ابتسامته فجأة عندما لاحظ إيثان ينظر إلى المرأة الجالسة على الأريكة الفاخرة. أشار لها فولكوف بيده، وبدون كلمة حملت حقيقتها الجدية المستقرة على الطاولة المصنوعة من خشب الماهو غوني، ثم عبرت بجانب الرجلين إلى الباب، وعلى وجهها ملامح ضيق.

مشى فولكوف نحو الطاولة، حمل كأسًا من النبيذ المعتق، وأخذ رشفة متأملًا إيثان.

«ما اسمك يا فتى؟»

أسلوبه في الكلام وأوامره جعلت إيثان يتضايق بشدة، لكنه كان مضطراً للإجابة.
قال ثرين بتهكم: «هذا الأحمق يحاول إظهار أنه المسيطر»
«إيثان.»

«إيثان فقط؟»

«إيثان أندرسون.»

«اجلس يا إيثان»

أشار فولكوف، فسحب أحد الرجلين كرسيًا وأجلس إيثان عليه بقوة، بينما وقف الآخر أمامه.
«صديقتي تقول إنك لاعب بوكر ممتاز»

قال فولكوف وهو يحدّق في عينيه.

كان العرق يتصبّب بسرعة من جبين إيثان مع تسارع أنفاسه المسموع.

«نيكولاي»

ودون أي تردد سدّد الرجل لكمة سريعة إلى وجه إيثان. فأغمض عينيه من شدة الألم، وشعر بسائل دافئ يتدفّق إلى فمه... لقد انتهى أمري.

أخذ فولكوف رشفة أخرى من كأسه، مستمتعًا كأنه في بار خاص لتذوق النبيذ.

«من خمسة آلاف إلى سبعين ألفًا... شيء مثير للاهتمام، أليس كذلك؟»

ظل إيثان صامتًا.

«نيكولاي»

تلقى لكمة ثانية، أقوى من السابقة، وازدادت الدماء التي غمرت وجهه وملابسه، ولكن هذه المرة نسي الألم.

«لا تبدو من النوع الذي يحب التحدّث» ضحك فولكوف.

كان الكره يتسلّل إليه شيئاً فشيئاً، كرة دفعه ليرفع رأسه وينظر بثبات: «يا لها من طريقة لاستقبال ضيوفك»

وبحاجبين مرفوعين أجابه فولكوف: «لا تجعل الأمر صعباً على كلينا... كيف فعلتها؟»

«أعتقد أنك تكره الخسارة» قال إيثان بتحدّي.

«نيكولاي»

تلقى اللكمة الثالثة، فصرخ كل جزء من رأسه ألماً، وغمره غضب هائل لم يشعر به من قبل.

«ثرين... أريد منك شيئاً»

«أستطيع قتلهم جميعاً إن أردت، لا شهود هنا»

«لا... أريد أن أحطمه فقط»

قال ثرين بلا مبالاة: «كما تشاء»

«حسناً، أعتقد أن هذه هي النهاية بالنسبة إليك» قال فولكوف وهو يعدل ربطة عنقه.

خلف الكرسي رفع الرجل الآخر سلاحه إلى عنق إيثان.

بينما كان الحقد يغمر إيثان، نظر الى اللوحة المرسومة على السقف مجدداً وتأملها لحظات كأنه أدرك شيئاً. حدّق إلى المسافة الضئيلة بين الاصبعين ... وفي تلك اللحظة لم يعد هناك شيء يستحق التردد، فضحك بلا مبالاة.

قال فولكوف بنعومة: «لا أعتقد أنك تفهم ما يحدث هنا»

ردّ إيثان بسخرية: «حقاً»

ثرين افعّلها الآن.. فكر إيثان

وفجأة، انهار الرجل خلفه وسقط سلاحه، ارتبك الآخر وأخذ ينظر إلى إيثان بحذر.

فولكوف: «ماذا حدث؟ ديمتري؟»

استقام إيثان من على الكرسي ورفع رأسه يواجه فولكوف والحارس الضخم، بنظرات تكاد تحرقهما بكراهية شديدة.

رفع إيثان يده، وضم أصابعه على شكل مسدس وصوبها نحو الحارس الضخم وبحركة دفاعية حاول الحارس أن يصل لسلاحه في جيب سترته عندما حرك إيثان يده فانهار الرجل الآخر على الأرض. ضحك ثرين: «يا لنا من فريق». إيثان طلب من ثرين سابقاً أن يقوم بالاستحواذ على الرجلين وتنويمهما. وها هو يقوم بعمل هذه الحركات لإضفاء طابع مرعب على ما يقوم به.

«ديميتري نيكولايف انهضاً»

«لا أظن أنهما يستطيعان سماعك» ابتسم إيثان بثقة.

بدا فولكوف غير مصدق لما يحدث: «ما الذي فعلته؟»

حاول الوصول إلى الخزانة، لكنه اصطدم بطاولة وسقط على وجهه.

ثرين: «يبدو أفضل وهو يتلوى على الأرض»

صرخ فولكوف وهو يضع يده على رأسه: «من أنت؟»

مشى إيثان نحوه بخفة.

إيثان: «ما الذي في الخزانة؟»

نظر إلى الخزانة؛ كان فيها مكان لبطاقة ولوحة لإدخال كلمة السر.

«افتحها»

همس ثرين: «هناك سلاح والكثير من المال»

تقدم إيثان: «افتحها... وابتعد»

وبحركة سريعة فتح فولكوف الخزانة. في تلك اللحظة، سحب إيثان من قميصه وطرحه أرضاً: «ابقَ هنا»
جمع المال في حقيبة كانت داخل الخزانة وشعر برأسه على وشك الانفجار.
إيثان: «إذا فكرت في تتبعي» صمت لحظة... «لا تختبر صبري»
ثرين: «كان هذا درامياً»
كانت الدماء قد جفت من على وجهه وقميصه عندما انطلق خارجاً من الجناح.
«هناك حمام في آخر الممر» ثرين
دخل إيثان الحمام وغسل وجهه، وصدغه ما يزال ينبض بألم ولكن لم يكن يبالي، نظر إلى انعكاس وجهه.
«ماذا عن القميص».
«لقد فكرت بهذا مسبقاً، عندما كنت تتلقى اللكمات»
«هناك قميص وراء الباب ارتده ولنخرج من هذا المكان».
بخطوات واسعة ونظرة ثابتة خرج إيثان من الكازينو، ينتابه إحساس غريب، كأنه ولد من جديد رغم الألم
والخطر الذي مرّ به ولكن كانت هذه أكثر لحظة شعر فيها أنه على قيد الحياة.

الفصل الثالث

تحرك كتدفق من ضوء بارد، ينساب بين الضواحي بلا وزن، بلا صدى.
لم يكن له ظلّ، ولا صوت... ومع ذلك، كانت الأمكنة تنقبض قليلاً عند مروره، كأنها تدركه دون أن تراه.

انفلت نحو السماء، التي بدت مفتوحة...
لكنه شعر بحدودها.

قطّ على حافة نافذة، تبعه بنظره... كأنه يرى ما لا يجب أن يرى.
اعثر عليه.

لم تكن الكلمات صوتاً، بل ثقلاً يغوص في داخله... يكرر نفسه دون نهاية.
تحرك أزرافيل بينهم دون أن يبطن.

لم يكونوا عائقاً... ولم يكونوا هدفاً.

مجرد ضجيج حيّ، يدور في حلقات لا تنتهي.

لم يكن يبحث... بل يدفع نحو شيء يعرف أنه لا يريد أن يجده.

الفشل لن يكون النهاية... بل بداية شيء أسوأ.

في هذه اللحظة دخلت إيف المنزل، وألقت التحية على والديها، ثم صعدت غرفتها وهي عازمة أن تتقن

فن التحكم في الأحلام لا يمكن أن يتشتت ذهنها الآن بسبب هذه الأوهام.

طردت من رأسها أي أفكار تتعلق بالغرق أو المشرف، وبدأت تركز:

سأكون واعية في حلمي...

رددت الجملة في ذهنها بإصرار، كأنها تعويذة.

أيقنت أن هذه الطريقة الوحيدة لفهم ذاتها، مخاوفها.

على سريرها استلقت وأغمضت عينيها، أخذت نفساً عميقاً في صدرها، ثم حررتة ببطء.

ولوهلة — قصيرة — استرخى جسدها، ظنّت أنها ما تزال مستلقية في فراشها...

فتحت عينيها.

الأرض اختفت تحت قدميها، تنظر إلى حافة جرف المرتفع،

هل أنا أحلم...؟

أجل... أنا في حلم، فكرت.

ارتفعت إيف بضع أقدام فوق الأرض، شعرت بخفة غير طبيعية...

اليوم ساطير،

سأفعلها... رددت بيقين.
ارتفعت قليلاً أكثر بغير توازن،
لكن كعادتها سقطت عند كل مرة تحاول الطيران خلال تدريبها.
نفضت قميصها، وفي عينيها نظرة عدم استسلام.
اليوم سأطير، سأفعلها.
لم يحدث شيء.
قالت بايمان لا يتزحزح: أنا أستطيع الطيران.
وقفزت
لم يكن السقوط طبعياً.
في البداية، ظنت أن كل شيء يسير كما اعتادت—
الهواء يصفع وجهها، جسدها يندفع نحو الأسفل، قلبها يتسارع...
أنا أستطيع الطيران...
لكن الأرض... لم تكن تقترب.
كانت تراقب.
شعور بارد تسلل إلى صدرها، ليس خوفاً... بل إدراك غامض، كأن شيئاً ما ينتظر أن تفشل.
أنا أستطيع الطيران...
اهتز تركيزها لوهلة.
وهنا—
تغير السقوط.
لم تعد وحدها.
لم تر شيئاً...
لكنها شعرت به.
مرّ بالقرب منها—
خفيفاً... بلا وزن...
كأنه لا يسقط... بل ينساب.
اتسعت عيناها.
شيء ما... كان هنا.
حاولت أن تلتفت—
لكن جسدها لم يستجب،

أنا أستطيع —
تقطعت الفكرة.
اعثر عليه.
لم تكن فكرتها.
تجمّد كل شيء لجزءٍ من الثانية —
الصوت، الهواء، السقوط... حتى قلبها.
ثم عاد كل شيء بعنفٍ مضاعف.
اقتربت الأرض بسرعةٍ غير منطقية، كأنها سُحبت نحوها.
صرخت — أو ظننت أنها فعلت —
ثم...
الاصطدام.
استيقظت.
شهقة حادة مزّقت صدرها، نظرت إلى السقف.
الغرفة كما هي.
السريّر، الظلام.
لكن الإحساس لم يختفِ.

جلس إيثان منغمسا أمام الشاشة الكبيرة الجديدة التي اشتراها منذ عدة أيام، كأنه يهرب من شيء عالق في ذهنه. مد يده بجانبه وهو يحاول أن يصل إلى قطعة البيتزا... وفي يده الأخرى أداة التحكم الخاصة باللعب.

قال ثرين، والملل واضح في صوته مع كل كلمة يقولها: «هل يمكن أن نفعل شيئا آخر...؟»
توقف إيثان عن اللعب، ووضع أداة التحكم على الطاولة.

فرك عينيه وتشاءب: «ماذا تقترح؟»

ثرين: «أي شيء آخر أفضل من هذا... لقد مرّت أيام»

تنهّد إيثان: «أكره الاعتراف بذلك.. كنت أظن أن المال هو المشكلة»

أكمل إيثان: «والآن لديّ كل المال الذي أحتاجه، ولا أعلم ماذا يجب عليّ فعله»

«ربما نذهب في رحلة... ألم تكن مهوسا بالأهرامات وعلم الطاقة؟»

«أجل، قضيت عدة سنوات أبحث في هذه الأشياء دون أن أصل إلى شيء»

«أتسمي ذلك بحثاً؟ كنت عالقا أمام الحاسب لسنوات، الآن تستطيع الذهاب حيث تشاء»

«حسنا، هذا يذكرني بشيء ما.»

فتح الحاسب المحمول وكتب في محرك البحث:

«أسطورة الروح المتجزئة»

بدأ إيثان في القراءة بتمعّن، وهو يستجمع معلوماته القديمة:

في زمن الفراعنة، كان يُؤمن بأن الإنسان ليس له روح واحدة، بل مجموعة من الأجزاء الروحية التي تعمل معاً لتكمل كيانه:

الـ Ka: قوة الحياة التي تبقى الجسد حيا.

الـ Ba: الشخصية والذات الحرة التي تتجول بين العالمين.

الـ Akh: الروح المتألقة التي تظهر بعد اتحاد Ka و Ba، لتواصل الوجود الأبدي.

تحكي الأسطورة أن من يفشل في الحفاظ على توازن هذه الأجزاء، أو يترك أحدها يتوه، يصبح غير كامل:

جسد بلا روح، عقل بلا ذاكرة، إرادة تتفكك.

القدماء يحذرون: أي قوة خارجية تحاول الاستحواذ على أحد أجزاء الروح ستجد مقاومة قوية، لكن إذا نجحت، يمكنها السيطرة على إرادة الشخص بالكامل، كما لو أن جزءاً من ذاته أصبح تابعاً للآخر، بلا قدرة على رفضه.

لذلك كانت طقوس التحنيط والدفن ليست مجرد مراسم، بل طريقة لحماية كل جزء من أجزاء الروح، كي تبقى كاملة، وتستطيع العودة لتوحيدها في Akh بعد الموت، وتواصل تأثيرها في العالمين.

انتهى إثنان من القراءة: «هل هذا ما تفعله عندما تستحوذ على الأشخاص؟»

«ماذا تعني؟»

«قلت إن هناك حدوداً للاستحواذ تعتمد على قوة عقل المضيف... أليس هذا قريباً من فكرة توازن أجزاء الروح؟ أعني أنك... قادر فقط على الاستحواذ على أشخاص فقدوا جزءاً من أرواحهم، أو لم يتمكنوا من الحفاظ على التوازن»

كان صمت ثرين أطول من المتوقع ولكنه أجاب أخيراً: «حسناً يا إثنان، لديّ سؤال لك قبل أن أجيب سؤالك»

«ماذا؟»

«لنعتبر أن هذا صحيح... هل تفضل أن أعطيك إجابات جاهزة تشرح عالمك؟ أم أن تكون وجهة نظرك الخاصة من خلال تجاربك وتعلمك؟»

جعد إثنان علبة البيتزا ورمأها في سلة القمامة: «حسناً، أعتقد أنه يجب عليّ الذهاب لأرى بنفسى»

«بدأت تفهم»

عندما أخذ إثنان يحزم أمتعته استعداداً للذهاب، وقفت إيف مع صديقتها أمام لوحة الإعلانات في مدرسة وينتر بارك.

إعلان:

يسرّ إدارة المدرسة الإعلان عن رحلة تعليمية مميزة مخصّصة لطلاب الصف الثاني عشر المتفوقين أكاديمياً، وذلك تقديرًا لجهودهم وإنجازاتهم طوال العام الدراسي.

وجهتنا هذا العام: القاهرة، مصر

موطن أعظم الحضارات القديمة، حيث سيحظى الطلاب بفرصة فريدة لاستكشاف التاريخ عن قرب، وزيارة معالم لا تُقدّر بثمن.

أبرز محطات الرحلة:

أهرامات الجيزة واستكشاف أسرارها.
جولة داخل المتحف المصري لمشاهدة آثار الفراعنة.
تجربة ثقافية في قلب القاهرة.
أنشطة تعليمية بإشراف مرشدين مختصين في التاريخ القديم.

شروط المشاركة:

أن يكون الطالب من الصف الثاني عشر.
تحقيق معدل أكاديمي متميز.
التزام سلوكي وانضباطي طوال العام.

مدة الرحلة: 7 أيام.

التاريخ: يوم الخميس السابع من أوغست (آب).

الإشراف: طاقم من المعلمين والإداريين المعتمدين.

رسالة الإدارة:

«نؤمن أن التعلم لا يقتصر على الصفوف الدراسية، بل يمتد إلى استكشاف العالم وفهم الحضارات. هذه الرحلة هي مكافأة مستحقة وفرصة لا تُنسى»

للتسجيل والاستفسار:

يرجى مراجعة مكتب الإرشاد الطلابي قبل الموعد النهائي.
انضم إلينا في رحلة عبر الزمن... حيث يلتقي التفوق بالمغامرة.

كانت الفتاتان منغمستان في قراءة الإعلان للمرة الثانية على التوالي.
هتفت كريستا بنبرة مرتفعة أكثر من المعتاد والحماس بادٍ على وجهها: «هل تعلمين ما يعنيه ذلك؟»
نظرت إيف إلى صديقتها بدون إجابة.
كريستا: «أنت الأولى على الصف! هذا يعني أنك مؤهلة!»
توسعت حدقتا إيف للحظة، وبدأت تحك رأسها:
«هذا غير ممكن...» صمتت لحظة، وكأن الفكرة تجاهد للوصول إلى عقلها... «لماذا الآن؟ ولماذا الأهرامات بالتحديد؟»

«كفي عن التظاهر بالتواضع، يجب أن تذهبي»
أومأت كريستا بحيوية: «هذه فرصة لا تتكرر»
نظرت إيف إلى الإعلان مرة أخرى، واستقرت عيناها بلا وعي على كلمة «الأهرامات».
لوحث كريستا بيدها أمام وجه إيف: «هيه.. هل تسمعينني؟!»
«نعم... أعتقد أنه يجب علي الذهاب»

في مطار القاهرة الممتد بأصوائه الصفراء والبيضاء، بدأت الطائرة بالهبوط، كان المطار محاطاً بحركة دؤوبة من السيارات والعربات الصغيرة.

كخيط فضي تلالاً نهر النيل يقطع المدينة، بينما تلوح المباني القديمة والحديثة على حد سواء في أفق العاصمة. أمسك إيثان بمقعده بقوة، وعينه تحدقان في المدرج الذي يقترب بسرعة.

«أكره المرتفعات»

«حسناً، هذا... أو أن نساfer لأسابيع بالحافلات»

دائماً ما كان إيثان يخشى المرتفعات لسبب لم يفهمه منذ كان صغيراً، تذكر أول مرة انتابه فيها ذلك الشعور، عندما كان يطعم قطه على الشرفة ثم ينظر لأسفل الشارع فيسقط قلبه من شدة الخوف... عاد ذلك الخوف مجدداً اليوم ولكن قطعه صوت ارتطام عجلات الطائرة بالمدرج، كأنها تصطدم بالأرض بعد سقوط طويل. اهتزت المقاعد تحت الركاب، وارتفعت الأصوات الصاخبة للفرامل.

تنهد إيثان، وكأن ثقلًا انزاح عن صدره:

«أخيراً»

هدأ ضجيج المحركات تدريجياً، وابتلعت المقاعد اهتزازاتها الأخيرة. جاء صوت لطيف وواضح من مكبرات الصوت:

«السيدات والسادة، لقد وصلتم إلى مطار القاهرة الدولي. نرجو منكم التأكد من حزم أمتعتكم وعدم ترك أي أغراض شخصية على متن الطائرة. نتمنى لكم إقامة سعيدة في القاهرة»

رفع إيثان عينيه صوب الممر الضيق، وتحرك بصعوبة وهو يحاول التوازن، وعلى كتفه حقيبة صغيرة. مشى باتجاه مقصورة الدرجة الثانية، حيث كان بعض الأشخاص يجلسون على مقاعدهم، ومن بينهم فتاة بعينين خضراوين، شعر طويل ينساب على كتفيها، وملامح ناعمة غارقة في شاشة هاتفها.

فكر إيثان:

«تبدو لطيفة.»

ثرين: «هل يجب عليّ سماع رأيك بكل فتاة جميلة نقابلها؟»

توقفت الفتاة عن العبث بخصلات شعرها، وتثاءبت برقة، ثم أنزلت هاتفها المحمول وشرعت في ترتيب محتويات حقيبتها الصغيرة.

أكمل إيثان طريقه نحو باب الطائرة وهو يبتسم بتكلف:

«أخرج من رأسي.»

بعد الانتهاء من الإجراءات الخاصة بأمن المطار، خرج إيثان ينسل من بين الزحام، والهواء الساخن الممتزج برائحة الوقود يضرب وجهه.

مسح إيثان العرق عن جبهته: «يا إلهي، هذا المكان حار جدًا»
مازحه ثرين أثناء صعوده سيارة أجرة : «غير مناسب لأصحاب البشرة الحساسة»
فندق ماريوت مينا هاوس (Marriott Mena House)، الفندق الذي استضاف ملوكًا ورؤساء عبر
قرن كامل، لكنه بدا الآن كضيف مؤقت... أمام شيء أقدم بكثير.
امتد مدخل الفندق الفخم كأنه يرحب بالزوار، فيما تنتصب أعمدة ضخمة على جانبيه تذكر بعظمة العمارة
المصرية القديمة. توجه إيثان إلى ردهة الاستقبال عبر الباب، واستلم بطاقة جناحه الخاص الذي حازه
منذ عدة أيام على موقع الفندق.
كان الجناح عبارة عن مساحة واسعة من الضوء والهدوء. الأرضية من الرخام الفاخر تعكس أشعة
الشمس التي تتسلل من الشرفة، بينما يتناثر الأثاث بشكل أنيق: أرائك كريمة ناعمة، وطاولات خشبية
داكنة، وسجاد محكم النقش يضيف إحساسًا بالدفء.
لم يكن مستعدًا لما رآه عند الشرفة.
الأهرامات تمتد أمامه... صامتة، كأنها تراقبه مع الضوء الذهبي لغروب الشمس يلقي ظلًا طويلًا على
الصحراء، فيما تتلألأ أضواء القاهرة البعيدة كنجوم صغيرة تحت السماء المتدرجة بين الأزرق الداكن
والبرتقالي الغامق. حتى الهواء الذي يدخل من الشرفة يحمل رائحة التاريخ؛ عطره الرمل والصخور
القديمة يلتقي بعبير الحداثة المحيطة بالفندق.
«أحدهم اعتاد البذخ»
جلس إيثان أمام إحدى الطاولات وأخرج حاسبه المحمول.
«حسنًا، من أين يجب أن نبدأ؟ هناك جولات سياحية تنظمها شركات خاصة، ليس علينا الذهاب في
مجموعة، هناك جولات الأشخاص المهمين»
ثرين: «أنت لا تفكر بشكل صحيح»
«ماذا تعني؟»
«يجب أن نذهب مع مجموعة، سيكون ذلك أسهل للتسلل إلى مواقع لا يمكن للسياح الدخول إليها»
تابع إيثان الإنصات.
«أنت لا تتوقع أن ترى أهم الأشياء في جولة سياحية كهذه»
تكلم إيثان أخيرًا:
«إذًا، يجب علينا أن ندخل إلى أماكن ضيقة ومظلمة، لكن كيف سأعرف الطريق داخل الهرم؟»
«أنت تخيب ظني أحيانًا، أستطيع العبور من خلال أي شيء صلب، سأكون دليلك»
«ما الذي نبحث عنه بالتحديد؟»
«كتابات هيروغليفية قديمة»

«أتعني كتاب الموتى؟»

«ليس فقط كتاب الموتى، هناك بعض التعاويذ الأخرى المكتوبة»

«إذًا، أنت ساحر؟»

«قلت لك من قبل، هل تريد إجابات جاهزة أم أن تفهم الحقيقة بنفسك؟»

لم يناقش إيثان أكثر من ذلك، وأخذ يفكر بما يحتاجه وهو يتناول عشاءه. ثم نزل ليبتاح بعض الأغراض المهمة للرحلة داخل الهرم، أثناء عودته إلى جناحه كان يتفحص كل شيء اشتراه: مصباح فلاش عالي الجودة، وكاميرا صغيرة ذات دقة عالية يسهل إخفاؤها، بعض ألواح الشوكولاتة، وزجاجة صغيرة من الماء.

في اليوم التالي حزم إيثان أغراضه في حقيبة الكتف الصغيرة وذهب ليلتحق بالجولة السياحية.

همس ثرين: «تذكر، كلما زاد العدد، كلما كانت مهمتنا أبسط»

سجل إيثان في الجولة التي ستبدأ بعد ربع ساعة، ثم وقف مع مجموعة من الأشخاص الذين بدا عليهم جميعًا أنهم في نفس العمر، يتوسطهم شخص أكبر سنًا كان يتكلم بصوت واضح ولهجة صارمة:

«حسنًا، تجمعوا هنا. فينس، توقف عن إزعاج زملائك، التقوا حولي هيا»

هز أحد الشبان كتفيه، كان ضخماً وطويلاً يملأ جسده العضلات، تقدم خطوة مبتعدًا عن فتاة كانت مألوفة، رآها إيثان من قبل.

أكمل:

«ستبدأ الجولة بعد قليل، أتوقع التزامًا شديدًا بالقواعد، لا يمكن أن أتغاضى عن أي تصرف يمكنه تشويه سمعة مدرستنا»

انتهى الرجل من الكلام ومشى باتجاه المرشد السياحي.

حينها سمع إيثان مناشدة صغيرة:

«دعيني أشتري لك العشاء اليوم»

«ابتعد من هنا يا فينس»

«سنذهب كأصدقاء»

«لا»

شعر إيثان بأن عليه التدخل.

«هل هناك مشكلة هنا؟»

تقدم باتجاه الشاب الذي كان واضحًا أنه يزعج تلك الفتاة.

دقق إيثان النظر.

«إنها الفتاة الجميلة في الطائرة» فكر.

أدار فينس جسده ورأسه بطريقة أقل ما يمكن القول عنها إنها مبالغة بشكل كبير، وهو يفرد عضلاته.
«وما شأنك بهذا؟»

«لا أريد أن أؤذيك.» قال إيثان ببرود.

رفعت إيف حاجبها بدون أن تعلق.

«ما الذي ستفعله أنت أمامي؟»

نفخ فينس صدره.

قال ثرين:

«يبدو أن هذا الشاب معجب بنفسه كثيرًا، لا يجب أن ننشر المتاعب هنا يا إيثان، سنلفت الانتباه»

إيثان: «أعلم ذلك، فقط قل لي ما يدور بذهنه، سأقوم باستفرازه.»

ضحك إيثان بسخرية واضحة، مما أثار غضب فينس.

عندها اقترب فينس كثيرًا من وجه إيثان، بادلته الأخير النظرات بدون أي رد فعل.

«متى قمت بتنظيف أسنانك آخر مرة؟» قال إيثان.

انطلقت بعد ذلك الضحكات والهمسات حولهما.

ثرين: «سيقوم بدفعك لتسقط على الأرض»

تحرك إيثان خطوة إلى اليمين بخفة، مما أدى إلى سقوط فينس على وجهه بصوت ارتطام واضح من شدة القوة التي حاول بها دفعه.

انفجر الطلاب الآخرون يضحكون على فينس الذي أخذ يتلوى من الألم، وهو يمسك يده التي بدا أنها أصيبت برض.

انطلق صوت الرجل بحزم مرة أخرى:

«فينس، قلت لك كف عن المتاعب»

ابتسم إيثان لإيف مبتعدًا، ارتسم على وجهها نظرة دهشة.

وبعد عدة دقائق من سماع الأستاذ وهو يؤنب فينس، أعلن المرشد السياحي عن بدء الجولة.

تبعَت المجموعة المرشد السياحي باتجاه الهرم الأكبر خوفو... حيث كانوا يمشون في ممرات مخصصة مظلة جزئيًا.

أخبرهم المرشد أن يسرعوا خطاهم كي لا يصاب أحدهم بضربة شمس.

رغم الحر والجو الخانق كانت العيون مشدوهة بضخامة الأهرامات القديمة، حتى أن بعضهم أشار

للأحجار هائلة الحجم التي يقدر وزنها أطنانًا.

وبعد خمس دقائق من المشي وصلوا إلى أمام المدخل، الذي كان عبارة عن فتحة صغيرة نسيبًا في جانب الهرم.

تم فحص التذاكر والتأكد من استعداد الزوار للدخول من قبل الحراس أمام المدخل: إزالة الحقائب الكبيرة، والاستعداد للممرات الضيقة، وأخذ بعض الإرشادات حول التصوير والالتزام بالقواعد في الداخل. ثرين: «ركز الآن، يجب أن تكون في آخر المجموعة»

لمحت إيف إثان يتباطأ في خطواته عمدًا، ضاقت عيناها وأخذت تراقبه. تلاشى صوت المرشد في مقدمة المجموعة، وشعر إثان بثقل تنفسه عندما عبر المدخل. كان الهواء ساخنًا وخائفًا، لمع ضوء مصابيح خفيفة صفراء على جوانب الممر الضيق، وانطلقت أصوات صدى صادرة عن الخطوات داخل المساحة الضيقة.

أحنى رأسه ليتأقلم مع ارتفاع الممر المنخفض. بدأوا يصعدون ما بدا أنه درج للأعلى، وأخذ الممر يضيق أكثر، ومعه ضاقت الأنفاس. وبعد دقيقة أو نحوه انتهى الضيق فجأة.

ارتفع السقف أمامهم بشكل غير متوقع، وانفتح الممر إلى فراغ هائل. شهق البعض، وكأن المكان انتزع الهواء من صدورهم.

توقف المرشد السياحي عن الكلام، متيحًا للحضور استيعاب مدى عظمة هذا البناء القديم. إثان: «حسنًا، عليّ أن أعترف، إنها تجربة مختلفة كليًا» اقترب بعض الزوار يحاولون لمس الجدران، والبعض الآخر أخرج هاتفه المحمول للتصوير، لكن إيف أبقت عينيها على إثان.

«يرجى عدم اللمس، حفاظًا على سلامتك. سنكمل التقدم إلى غرفة الملك.»

أخذ الزوار يمشون خلف المرشد ليتجهوا إلى ممر آخر ضيق للصعود.

همس ثرين: «يجب أن نفترق هنا عن المجموعة»

«إلى أين يجب أن أذهب؟»

«يمين الممر... تابع المشي حتى أقول لك توقف»

ابتعد إثان عن الممر الذي ابتلع آخر الزوار المتجهين إلى حجرة الملك، وأخذ خطوات محسوبة وبطيئة. «توقف»

تجمد.

«ماذا الآن؟»

«مرر يدك على الحائط من الأعلى إلى الأسفل»

مرر إثان يده مرة واثنين، ولم يحدث شيء.

«ربما اضغط بقوة أكبر وليس كفتاة صغيرة»

عند محاولته الثالثة شعر إيثان بحجر يتحرك.

«هذا هو»

ضغط الحجر، فصدر صوت خافت... احتكاك حجري عميق، كأن شيئاً يستيقظ بعد سبات طويل. توسعت عينا إيثان وهو ينظر إلى الفتحة تتوسع على الحائط. كانت بالكاد تتسع له، انحنى وبدأ المشي فيها. إحساس غريب انتابه فجأة، كأنه زار هذا المكان من قبل ولكنه عاود التركيز كان عليه أن يرى ما أمامه، فأخرج مصباح الفلاش الخاص به ليضيء المكان الذي ابتلع الظلام. بعد عدة ثوانٍ انتهى الممر الضيق ودخل بما بدا أنها حجرة.

صغيرة... صامتة...

ثرين: «لسنا وحدنا»

ارتعد المصباح في يد إيثان.

«ماذا؟!»

ثرين: «في الممر الذي دخلنا منه»

«قررت أن تقول لي ذلك الآن؟» فكر بحق.

استدار إيثان ببطء وهو يوجه ضوء الفلاش ناحية الممر، ليلمع شعر الفتاة التي قابلها منذ قليل.

كانت تنظر إلى إيثان، تبتسم بمكر وعيناها الخضراوان تلمعان بالفضول.

همس إيثان محاولاً أن يبقي صوته ثابتاً: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

رفعت إيف حاجبها: «السؤال الحقيقي... كيف عرفت بوجود ممر هنا؟»

ضحك ثرين: «ما الذي ستقوله لها الآن؟»

مسح إيثان العرق من على جبهته، وكأن الحرارة عادت فجأة.

«أنا... أمشي كثيراً»

«تمشي؟» رمشت إيف

«نعم... وأحياناً... أضغط على الجدران»

عمّ الصمت.

«تضغط... على الجدران؟»

«هواية» قالها بسرعة.

ثرين بتهكم: «عقلي»

اقتربت إيف خطوة.

«وأنا أيضاً... أضيع كثيراً»

«في غرف سرية داخل الأهرامات؟» نظر إليها

ابتسمت بخفة. ثم قالت: «لكن الفرق بيننا... أنا لم أفتح الجدار»
ضاقت عينا إيثان: «إذن كنت تراقبيني»
«إذن كنت تفعل شيئاً يستحق المراقبة»
«إذن أنت تتبعين الغرباء في ممرات سرية»
«إذن أنت تفتح ممرات سرية داخل مواقع أثرية»
تدخل ثرين: «إنها تعجبني»
نفخ إيثان بصوت مسموع متذمراً: «ألا يجب أن تكوني مع زملائك؟»
ابتسمت: «أستطيع العودة إليهم...»
ثم أضافت: «وأخبرهم أن هناك شخصاً يفتح جدران الهرم من الداخل»
ثرين: «نعم... هذه مشكلة»
«ألا يمكنك إخراجها من هنا؟»
«لا»
«حقاً... لا يمكنك أم لا تريد ذلك؟»
ضحك ثرين: «الاثنتان معاً»
ازداد صوت إيثان حقاً مع كل كلمة يقولها: «حسناً... يمكنك البقاء»
أكمل: «لكنني لست جليساً للأطفال»
وضعت إيف يديها على خصرها بتحدٍ: «أنا في الثامنة عشرة»
قال إيثان بضيق: «أصدقك»
ثرين: «إيثان، أدر المصباح إلى الجدران»
هز إيثان رأسه واستدار لمواجهة أقرب جدار إليه. وأخذ ينظر إلى الرموز المحفورة بشكل أنيق قبل أن يمرر أصابعه عبر النتوءات.
أضاء المصباح الغرفة، كانت مليئة بالنقوش.
ثرين: «نحتاج تلك النقوش»
راقبت إيف إيثان وهو يحاول إخراج كاميرته بصعوبة من حقيبته، كان يمسك بها في يده وفي اليد الأخرى أمسك المصباح.
مدت إيف يدها: «دعني أمسك المصباح... أنا إيف»
ناولها المصباح: «شكراً...»
انتظرت إيف رده: «إذا!»
أخرج إيثان الكاميرا وبدأ يلتقط الصور، وأشار لها أن توجه المصباح إلى الجدار المقابل.

«أنا إيثنان... ما مشكلة ذاك الشاب؟»

«تقصد فينس، كنا نتواعد ثم لم تتجج الأمور»

إيف: «هل ستبيع هذه الصور؟»

«كلا، أنا... لدي هواية غريبة فقط»

ضحكت إيف بنعومة.

وفي هذه اللحظة سمعا صوت احتكاك حجري معلناً عن إغلاق الفتحة التي دخلا منها.

ركض إيثنان بأنفاس متقطعة في الممر وهو نصف منحني، لكن الفتحة كانت قد أغلقت بالفعل.

لحقته إيف وفي يدها هاتفها المحمول، همست بهلع وهي ترتعش:

«هل... هل علقنا هنا؟»

لم يجب إيثنان، كان يتفحص الجدران.

«حسناً ثرين، أية أفكار؟» فكر وهو يضغط الجدار بعنف.

قال ثرين بوقار: «ليس هناك أي طريقة لفتح الممر من الداخل»

ضغط إيثنان أسنانه وهو يفقد صبره: «إذن علقنا في الداخل»

ثرين: «أنا لم أقل ذلك»

أكمل: «هناك طريقة، ولكن يجب أن تأخذ الفتاة إلى الداخل»

إيثنان: «إيف، اهدئي قليلاً... علينا البحث في الغرفة عن شيء لإعادة فتح الممر»

أحكم إيثنان يده على معصمها وقادها إلى الغرفة الصغيرة، عندما وصلا خيّل له أن الغرفة تغيرت بالكامل

بأربع مصابيح تضيء الجدران الأربعة ونقوش واضحة وجديدة، لكنه طرف عينيه للحظات فعاتت

الغرفة كما كانت مظلمة بنقوش قديمة.

حتى أنّ إيف لم تلاحظ ذلك التغيّر... هذا ليس وقت الهذيان.

ثرين: «سأذهب الآن»

كذب إيثنان: «لا تقلقي، هذه ليست المرة الأولى»

ارتجفت ساقا إيف وحاولت تدارك صوتها: «أنت تعلق دائماً في أماكن كهذه؟»

تأمل إيثنان عيني إيف، وكره نفسه بسبب الكذب عليها: «أجل... غالباً ما تكون هناك عتلة مخفية أو حجر

خاص.»

تظاهر بالدوران حول الغرفة يتفحصها، وهو يتمنى أن يسرع ثرين قبل نفاد الأوكسجين.

ملأت رائحة الحجر القديم والغبار المكان، وكأن الزمن توقف بداخله.

إيف: «إذن أنت تدخل هذه الأماكن، وبعد كل مرة تعلق في إحداها... يا إلهي، أنت مجنون.»

زم إيثنان شفتيه وهو يشتم ثرين في عقله بكل الأوصاف الممكن التفكير بها.

إيثان: «ماذا عنك؟ هل لديك... هوايات غريبة؟»

سكتت إيف برهة، فضغط الصمت أذنيهما.

إيف: «حسناً، لدي واحدة، ولكن أعتقد أنها أقل جنوناً من هذا»

شعر إيثان أن هذا أفضل شيء يمكنه فعله. تابع الحديث وكأنهما ليسا عالقيين في مكان لا يمكن الخروج منه، وعلى وشك الموت اختناقاً.

قال وهو يلمس الأحجار في زاوية الغرفة بعيداً عن أنظار إيف: «ما هي؟»

«فن التحكم بالأحلام.»

«هذا يبدو مثيراً للاهتمام، قرأت عن هذا من قبل»

تذكر إيثان ما قرأه في إحدى الليالي بعد قدومه من العمل متأخراً، عن أشخاص يختبرون كل ما يريدونه

داخل أحلامهم، كأن يطيروا ويقاتلوا مخلوقات غريبة، حتى أن بعضهم يقوم بذلك لمواجهة أعمق

المخاوف، لكنه علم أن القيام بذلك ليس بالأمر السهل ويحتاج تدريباً وتركيزاً.

واتته رغبة في تعلم ذلك، حتى يستطيع مواجهة التنين مرة أخرى في أحلامه.

سألته إيف مقاطعة سلسلة أفكاره: «لماذا أنت مولع بالنقوش لهذه الدرجة؟»

لم يعلم إيثان حقاً لماذا هو منجذب بهذا الشكل إلى الأهرامات والحضارة المصرية، ربما كان فضولاً فقط أو شيء آخر لم يفهمه هو حتى.

«الأساطير ربما، أتعلمين أن بعض النقوش تستخدم كتعاويذ»

«تعاويذ؟»

«لحماية الأرواح وهي تعبر إلى عالم بعد الموت»

رغم جوّ الغرفة الخانق والظلام، كان إيثان سعيداً بتبادل أطراف الحديث مع إيف، إذ عاش حياة منعزلة

لوقت طويل والآن التقى بفتاة طريفة وغريبة مثله.

وفجأة سمعاً نفس صوت احتكاك الأحجار الذي انبعث خلال الممر منذ قليل فتحركا بسرعة من الغرفة

باتجاه الممر. كانت فتحة الجدار قد انفرجت.

عندما خرج إيثان وإيف يتنفسان الصعداء، لمح إيثان ظلّ شخص يعبر الممر المؤدي لغرفة الملك. ربما

استحوذ ثرين على شخص ليفتح الباب لهما.

إيف وهي تلهث: «حسناً، كانت هذه تجربة مثيرة... ع عليّ الذهاب»

مشيت إيف بسرعة باتجاه الممر وشعرها الطويل البني يتطاير خلفها.

عاد صوت ثرين أخيراً: «إذن، هل حصلت على رقمها؟»

انتهت الجولة السياحية، فاتجه إيثان إلى مقهى قريب (Egypt Pyramids Cafe) ذي إطلالة جميلة قرب الأهرامات. كان يتنفس الهواء الخفيف بعمق، وكأنه خرج للتو من أعماق الهرم الأكبر خوفو، مولودًا من جديد.

نحو الأفق مالت الشمس، وتحولت السماء تدريجيًا إلى اللون البرتقالي الدافئ.

استقر على أحد الكراسي المعدنية في الشرفة العلوية، وأخذ دقيقة ليستوعب المشهد كله بعينه.

فكر: «ماذا سنفعل بهذه الصور؟»

ثرين: «سنحاول ترجمتها بالطبع.»

أخذ يمسح العرق من جبينه وطلب من النادل كوبًا من عصير المانجو البارد. فجأة ضجّت الشرفة بوصول المجموعة المدرسية، واحتلت ثلاث طاولات متجاورة، توزع الطلاب بينها بضحكات صاخبة. لوحّت إيف لإيثان، فابتسم لها وبادلها التلويح...

لكن ابتسامتها خفتت بعد لحظة، وانحرفت عيناها نحو السطح البعيد، كأنها شعرت بشيء هناك... ثم عادت تنظر إليه، وكأن شيئًا لم يحدث.

ثرين: «يبدو أنها... مهتمة بك»

إيثان: «سمعت هذا في أفكارها؟»

«لا»

زم إيثان شفتيه وهو يتأملها.

«لماذا هي بالتحديد؟»

«قلت لك، هناك حدود لقدرتي تعتمد على قوة العقل»

«إذن ماذا؟ هل لديها عقل قوي أو ما شابه؟»

أخذ رشقة من كأس العصير البارد: «هذا يذكرني بشيء قالته عندما كنا محبوسين»

«ماذا؟»

«لديها هواية... فن التحكم بالأحلام»

«هذا قد يكون سر قوة عقلها»

كانت إيف تستمع لكلام صديقتها، لكن عينيها بدتا شاردتين قليلًا... وكأن جزءًا منها لم يكن هنا، بل في مكان آخر.

أدار إيثان رأسه إلى كوبه، يفكر كيف سيطلب رقمها.

«حقًا يا إيثان، أنا لا أفهم»

«ما الأمر الصعب فهمه؟»

«تواجه رأس عصابة مافيا، أو هذا الشاب بضعف حجمك، ببرود أعصاب... ولكنك قلق من طلب رقمها»

«أفضل أن أواجه التنين الآن بدل ذلك»

«لا تبدو لي كتنين»

تجاهله إيثان، لكنه لم يستطع منع نفسه من النظر إليها مجدداً. كانت تضحك مع صديقاتها، لكن بين لحظة وأخرى، كانت عيناها تعودان إليه... وكأنها تنتظر شيئاً. بعد نحو ثلاثين دقيقة، نهضت إيف مع زملائها، نظرت إليه مرة أخيرة، وبدأت تلحق الأستاذ المسؤول عن المجموعة.

«إذن ستبقى تراقبها حتى تشيخ؟ انهض أيها الأحمق»

ظل جالساً لثانيتين... ثلاث...

ثم نهض في طرفه عين، قبل أن يسمح للخوف أن يعيده إلى مقعده. أسرع بخطواته نحو حافة الشرفة، ورأى المجموعة تبدأ بالنزول نحو السلالم المؤدية إلى الساحة. شدّ على هاتفه في يده، ثم اندفع خلفهم قبل أن تختفي بينهم.

«إيف!»

التفتت فوراً، وكأنها كانت تتوقع أن يناديها.

توقفت عن السير، بينما واصل الطلاب التحرك من حولها.

«كنت أتساءل إن كنت ستبقى هناك فقط...»

ابتسم إيثان بخفة، وهو يحاول إخفاء توتره، وحكّ شعره بشكل غير إرادي.

فضحكت ضحكة قصيرة، بينما رفع هاتفه قليلاً.

«على الأقل... يجب أن يكون لدي طريقة للتأكد أنك لن تُحبسي في غرفة سرية أخرى»

نظرت إليه لثانية...

ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة، فيها شيء من التسلية.

«هذا عذر سيئ جداً»

صمتت لحظة قصيرة... وكأنها تتخذ قرارها.

ثم أضافت بهدوء وهي تخرج هاتفها: «لكنه مقبول»

وبينما كانا يتبادلان الأرقام... وعلى بعد نحو مئة متر، في شرفة مظلمة داخل مقهى 207 Roof، جلس

لوشيان كروس في الظلّ، هادئاً كالصخر بين زوايا السطح والمقاعد الفارغة.

كانت كاميرته الصغيرة مثبتة على حامل، لكنه لم يكن بحاجة إلى استخدامها بعد. عيناها تتعقبان كل حركة لإيثان على الشرفة بدقة قاتلة.

من بعيد، بدا كل شيء طبيعيًا... كأنها مجرد جلسة تصوير سياحية. سنوات التدريب والخبرة صاغته
ليكون صيادًا لا يُرى؛ يختار زواياه بعناية، ويرصد فريسته من مسافة آمنة...
والآن، أمامه هدف جديد.
أخرج هاتفه ووضعته على أذنه.
«أراه بوضوح»
انطلق صوت من الهاتف يحمل لكنة روسية باردة.
«جيد... أبق عينيك عليه»
سأل لوشيان: «اليوم؟»
«ليس بعد...»
أغلق هاتفه.
لم يفهم سبب هذا الحذر المبالغ فيه...
لكن شيئًا واحدًا كان واضحًا له.
هذا الفتى ليس عاديًا...
فهناك سر فيه جعل زعيم مافيا مشهورًا يتردد.

الفصل الرابع

الدكتورة نورة حتحور المحترمة،

اسمي إيثان. أكتب إليك وأنا في غاية الحيرة والإثارة بعد اكتشافني بعض النقوش غير المترجمة في هرم خوفو أثناء زيارتي الأخيرة. هذه الرموز تحمل تفاصيل لم أرها من قبل، وأشعر أنها قد تحمل رسائل مهمة تتطلب خبرتك العميقة في علوم النقوش المصرية.

لقد أرفقت مع هذا البريد بعض الصور التي التقطتها للنقوش، آملاً أن تنثير اهتمامك كما أثارت اهتمامي. لا أستطيع تفسيرها بمفردي، وأشعر بضرورة وجود مرشد مثل حضرتك لفهم معناها. أتمنى أن أتمكن من مقابلتك في أقرب فرصة ممكنة، سواء في مكتبك أو أي مكان مناسب لك، حتى نتمكن معاً من محاولة ترجمتها وفك طلاسمها. أعلم أن وقتك ثمين جداً، لكن تعاونك سيشكل فرقاً كبيراً في فهم هذه الرموز الغامضة.

شاكراً لك اهتمامك، وأتطلع بشغف إلى ردك الكريم.

مع خالص الاحترام والتقدير،

إيثان أندرسون

قرأ إيثان البريد الذي كتبه ثلاث مرات على التوالي. وتعلقت عيناه على اسم الدكتورة نورة لثوانٍ طويلة، ثم ضغط زر الإرسال.

«أرجو أن تقرأه»

أضاء وهج الحاسوب المحمول وجهه الشاحب، كاشفاً عن عينيه المتعبتين.

تنأب ببطء، ثم ألقى نظرة حول غرفته المعتمة؛ أكوام من الأوراق، حقيبة مفتوحة، وكاميرا ملقاة على الطاولة، كأنها ما زالت تحمل أسرار الهرم بين عدساتها. شعر بفراغ مفاجئ بعد الإرسال، فراغ يشبه الصمت الذي يلي صوتاً مدوياً.

ربما بعض المثلجات ستهدئ هذا التوتر.

فتح باب البراد، فانسكب الضوء الأبيض البارد على جسده، بينما امتدت يده تبحث عن العلبة، دون أن يدرك أن ما أرسله قبل لحظات قد يكون بداية شيء لن يستطيع التراجع عنه.

قال ثرين كاسراً الصمت: «اعتقدت أنك ستكون أسعد بعد مقابلة تلك الفتاة»

أخرج إيثان علبة الآيس كريم أخيراً، وأغلق باب البراد بقوة خفيفة أكثر مما ينبغي.

تنهد إيثان: «لقد رجعت إلى فلوريدا...»

ثرين: «إنها ليست نهاية العالم.»

إيثان: «إنه شيء مريب حقًا، هي تسكن في ضاحية قريبة من سكني القديم»
ثرين: «أجل... يا لها من مصادفة»
إيثان: «أجل... أواجه صعوبة في تصديقك هذه المرة»
مرّت برهة من الصمت الثقيل... قطعها صوت صادر من الحاسب.
قال ثرين: «أظن أن الدكتور نورة ردت عليك.»
سارع إيثان نحو الحاسب ليقرأ رسالة الدكتورة نورة.
إيثان: «سنتكلم في الأمر فيما بعد»

السيد إيثان أندرسون،
أشكرك على رسالتك وعلى المعلومات التي قدمتها.
بعد مراجعة أولية للصور والموقع الذي ذكرته، أرى أن هذا الموضوع لا يمكن التعامل معه عبر مراسلة إلكترونية أو تحليل عن بُعد.
شدّ إيثان قبضته قليلاً وتابع القراءة.
أطلب منك الحضور إلى مكتبي في أقرب وقت ممكن، من أجل مناقشة التفاصيل بشكل مباشر ومراجعة المواد الأصلية التي بحوزتك.
طبيعة النقوش وطريقة اكتشافها تتطلب تقييمًا ميدانيًا دقيقًا، ولا يمكن تأكيد أي فرضيات حالية دون ذلك.
أود أيضًا أن أنبهك إلى ضرورة عدم محاولة العودة إلى الموقع حتى يتم تقييم الوضع بالكامل، إذ قد يشكل ذلك خطرًا عليك وعلى سلامة الموقع الأثري.
أرجو أن تعتبر هذا الطلب مهمًا وعاجلاً، وأن تحدد موعد وصولك في أقرب فرصة ممكنة.
عند وصولك إلى القاهرة، تواصل معي مباشرة لترتيب اللقاء دون أي وسطاء.

د. نورة حتور

الهاتف المحمول: +20-2-XXXXXXX

قسم الآثار – جامعة القاهرة

وحدة البعثات الأثرية

مبنى الدراسات المتقدمة – جناح الجنوب، الطابق الثالث

الجيزة – مصر

هرع إيثان إلى هاتفه المحمول واتصل برقم الدكتورة.

رن الهاتف مرة... مرتين...

ثم أجاب صوت أنثوي هادئ بنبرة جادة: «الدكتورة نورة حتحور، كيف أستطيع مساعدتك؟»
كانت تتحدث باللغة العربية.

رد عليها إيثان بالإنجليزية: «دكتورة نورة، أنا إيثان، أرسلت لك البريد قبل قليل»
ساد صمت قصير، سمع خلاله دقائق قلبه قبل أن تتكلم د. نورة مرة أخرى، ولكن بلهجة عملية أكثر:
«سيد إيثان، هل أنت في القاهرة؟»
إيثان: «أجل»

نورة: «أنا متفرغة الآن، إن أردت القدوم إلى مكتبي»
تسارع نبض إيثان: «أنا قادم الآن يا دكتورة»
أغلق إيثان هاتفه وأسرع ببديل ملابسه، وهو يمسح بقعة الثلجات من على فمه، ثم أخذ الكاميرا قبل أن يخرج من غرفته.

قال ثرين بتهكم: «من اليأس إلى الحماس في أقل من دقيقة»
اندفع إيثان إلى إحدى السيارات التي تقف أمام الفندق الخاص بالسياح.
سأله السائق بالعربية: «أين أنت ذاهب يا أستاذ؟»
تردد إيثان للحظة، ثم أخرج هاتفه وفتح العنوان على الشاشة، وقربه من المقعد الأمامي دون كلام.
«جامعة القاهرة... مبنى الدراسات المتقدمة»
أوما السائق دون أن يطرح أي سؤال إضافي، وانطلقت السيارة.
التصقت جبهة إيثان بزجاج النافذة الدافئ، بينما كانت شوارع القاهرة تمر أمامه كتيار لا ينتهي؛ أبواق سيارات، وأصوات باعة متجولين.

ثرين: «مدينة صاخبة...»
لم يرد إيثان. كان ذهنه عالقًا عند كلمات الدكتورة:
«لا تحاول العودة إلى الموقع...»
عندما وصل إلى المكتب، نقر الباب بتحفظ، ثم دخل بخطوات مترددة لحظة سمع الدكتورة من الداخل.
نظر حوله.

رفوف خشبية شاهقة امتدت حتى السقف، مكتظة بكتب سميكة ذات عناوين ذهبية باهتة.
على أحد الأرفف، وقف تمثال صغير للاله أنوبيس، برأسه الشبيه ابن آوى، وكأنه يراقب الداخلين بصمت أبدي.

خلف المكتب، عُلقت خريطة قديمة لمصر القديمة، تداخلت عليها خطوط حمراء وعلامات بالقلم، كما لو أن شخصًا يحاول حل لغز عمره آلاف السنين، أما الرائحة... فكانت خليطًا من ورق عتيق وقهوة باردة، رائحة مكان لا ينام.

رفعت الدكتوراة نورة رأسها من خلف المكتب، وعيناها تتحركان نحوه بتفحص هادئ.

«سيد إيثان... اجلس من فضلك»

جلس إيثان ببطء.

«شكرًا»

د.نورة: «هل يمكن أن تريني النسخ الأصلية من الصور؟»

اندفعت يد إيثان نحو حقيبته الصغيرة ليخرج الكاميرا منها.

تأملت الدكتوراة الصور بتمعن هادئ دام دقائق دون أن تتحدث.

كان صوت عقارب الساعة على الحائط أوضح من أي شيء آخر في الغرفة.

قالت أخيرًا:

«أين التقطت هذه الصور؟»

إيثان: «في غرفة سرية... في القاعة الكبرى داخل هرم خوفو»

«وكيف عرفت بوجود هذه الغرفة يا سيد إيثان؟»

شعر إيثان بنظراتها تخترقه، كأنه كتاب مفتوح، وتوترت يده عند ركبته.

«أنا... مولع بعلوم الأهرامات. هناك نظريات كثيرة على شبكة الإنترنت، وقررت التأكد من إحداها»

قالها مبتسمًا بتكلف وهو يحك رأسه.

ثرين: «إنها تعرف أنك تكذب»

رفعت الدكتوراة حاجبيها: «هذه ليست نقوشًا جنائزية أو طقسية معروفة»

استقامت د. نورة من على مكتبها، واتجهت إلى خزانة معدنية في زاوية الغرفة. أخرجت منها مجلدًا ضخماً، كان ثقیلاً لدرجة أنها وضعت على الطاولة بصوت مكتوم اهتزت له الأكواب قليلاً.

د.نورة: «هذا سيأخذ وقتًا. قهوة، شاي أو مياه غازية؟ ماذا تشرب؟»

شعر إيثان بالحرج.

«لا حاجة لذلك، شكرًا»

رفعت د.نورة سماعة الهاتف الأرضي وبدأت تتحدث بالعربية:

«آنسة نهلى، أحضري لنا كوبين من القهوة من فضلك»

ابتسمت له وقالت: «عليك تجربة القهوة لدينا»

أوما لها إيثان بخجل بينما كانت تفتح المجلد، ثم بدأت بمقارنة النقوش داخله مع نقوش الصور.

أحضرت نهلى القهوة بعد عدة دقائق، ثم أغلقت الباب بهدوء.

عندها رفعت د. نورة نظرها إلى إيثان وهي تعدل نظارتها. بدأت في التحدث:

«في هذه النقوش... ذكر شخص يُدعى حامل الروحين»

«إنسان لا تسكنه روح واحدة... بل روحان.»

«إحداهما تخصصه...»

«والأخرى... ليست له.»

شعر إيثان بجفاف مفاجئ في حلقه، وكأن حرارة الغرفة ارتفعت فجأة.

مدّ يده وأخذ رشفة صغيرة من القهوة دون أن يشعر بطعمها.

إيثان: «وماذا يحدث... لمن يحمل روحين؟»

نظرت إليه نورة للحظة أطول مما ينبغي.

«السؤال هنا يا إيثان... ليس ماذا يحدث له»

«بل ماذا يحدث للعالم بسببه»

تشنّج إيثان في جلسته قليلاً.

أكملت:

«النقوش لا تتحدث عن شخص فقط... بل عن تداعيات خطيرة... على هذا العالم... وعلى عالم الدوات»

ثرين: «يا لها من دراما»

ابتسمت د. نورة بخفة.

«هذه النقوش غير عادية... لكنني لن أستنتج شيئاً قبل دراسة كاملة»

«أشكرك يا سيد إيثان على القدوم إليّ أولاً لمحاولة دراستها، رغم أن لديك طرقاً غير اعتيادية في

الحصول عليها»

أصبح المقعد تحت جسده فجأة أقل راحة، وكأن كلماتها وضعت وزناً إضافياً على صدره.

«هل تعنين بالدوات عالم بعد الموت؟»

«أجل، هذا ما عنيته»

بلع إيثان ريقه بصعوبة، وشكر الدكتورة نورة على القهوة، ثم استأذن خارجاً من المكتب.

أغلق الباب خلفه بهدوء وسار في الممر الطويل دون أن يلتفت، بينما كانت كلمات الدكتورة تتردد في

رأسه: «تداعيات خطيرة... على هذا العالم... وعلى عالم الدوات»

إيثان: «يجب علينا التحدث يا ثرين»

ثرين: «عن ماذا بالتحديد؟»

إيثان: «توقف عن التهكم، أعلم أنك تتهرب»

ثرين: «إيثان، لا أريد إفساد المتعة»

«المتعة؟»

همس إيثان بغضب وهو ينظر إلى الشارع أمامه.

«تلك المرأة... تحدثت عن شخص يحمل روحين... عن تداعيات على العالم... على الدوات...»
«أجل، تحدثت عن ذلك بطريقة مأساوية فعلاً.»
«أنت هادئ بشكل مزعج.»
«يمكننا العودة إلى فلوريدا الآن»
«لماذا تتحاشى الإجابة؟»
«كل شيء له وقته يا صديقي»

دفعت إيف باب مقهى Glass Knife بكتفها برفق، فاستقبلها الهواء الدافئ المشبع برائحة القهوة المحمصة والسكر المذاب، يتخلله رنين خفيف لمعلقة تصطدم بفنجان قريب. للحظة، توقفت عند العتبة، كما لو أن المكان أعاد إليها ذكرى بعيدة... مع أنها لم تمضِ فترة طويلة منذ جلست هنا آخر مرة. في زيارتها السابقة، كانت قد دخلت المكان وهي تجر خلفها قللاً ثقيلاً، تخشى أن تنطق بأفكارها بصوت عالٍ حتى لا تتحول إلى حقيقة. أما الآن، فكان هناك شيء مختلف في خطواتها؛ خفة لم تعتدها، ونبض متسارع لا يشبه الخوف تماماً. تقدمت نحو الطاولة نفسها التي اعتادت الجلوس عندها هي وكريستا، بجانب النافذة. لم تفكر في اختيارها؛ جسدها قادها إليها، كما لو أن الأمر طقس محفوظ في الذاكرة. جلست، وأسندت حقيبتها إلى جانب الكرسي، ثم أخرجت هاتفها ونظرت إلى الشاشة دون أن تقرأ شيئاً. انعكس وجهها على الزجاج الداكن، فرأت ابتسامة خفيفة تتشكل على شفيتها... ابتسامة لم تكن موجودة هنا في المرة الماضية. كانت تحمل في صدرها قصة لا تشبه تلك التي جاءت بها آخر مرة. رفعت رأسها نحو الباب عندما سمعت صوته يفتح من جديد. ظهرت كريستا عند المدخل، تبحث بعينيها بين الطاولات، حتى التقت نظراتهما. رفعت يدها ملوحة، ثم اتجهت نحوها بخطوات سريعة، وهي تخلع حقيبتها عن كتفها. «ها أنتِ هنا»

قالتها وهي تجلس على الكرسي المقابل، قبل أن تضيف فوراً:
«حسنًا... أخبريني. كيف كانت الأهرامات؟»
مررت إيف أصابعها على حافة الطاولة، كأنها تبحث عن الكلمات المناسبة.
«كانت...»
توقفت لحظة، ثم أضافت بهدوء: «أكثر غرابة مما توقعت»
رفعت كريستا حاجبيها: «حقًا؟ ماذا تقصدين؟»
نظرت إيف إليها مباشرة، وكأنها تقرر أخيرًا أن تقولها: «علقت داخل غرفة سرية...»
توقفت لحظة، قبل أن تضيف بصوت أخفض: «مع شاب»
مالت كريستا للأمام بسرعة: «ماذا؟ داخل الهرم؟ كيف؟»
أخذت إيف نفسًا قصيرًا: «رأيتَه ينفصل عن المجموعة... ثم...»
تفادت النظر في عيني كريستا.
«وجدت نفسي أتبعه»
توسعت عينا كريستا: «لماذا تفعلين شيئًا كهذا أصلًا؟»
«لا أعلم... دفعني الفضول... أظن»
«لا أستطيع فهمك... أولًا الغرق، والآن هذا»
«اسمه إيثان... كان... مختلفًا. لم يكن خائفًا»
ردت كريستا بتهكم واضح في صوتها: «وهذا يجعل الأمر طبيعيًا؟»
ابتسمت إيف.
«لم يكن الأمر شيئًا... هو فقط... كان يعرف ماذا يفعل»
كريستا: «يبدو أنه غريب الأطوار.»
إيف: «حسنًا... لديه هواية غريبة»
صمتت كريستا لحظة، ثم ابتسمت بخبث: «ها... لا تخبريني أنك أعطيتَه رقمك»
تورد وجه إيف قليلًا، وسحبت يدها على حافة الطاولة.
«هو من طلبه»
رفعت عينيها سريعًا، وكأنها تدافع عن نفسها: «قال إنه... يريد أن يبقى على تواصل»
ضحكت كريستا وهي تقرص يدها بخفة: «هذا يتطور بسرعة»
«سيأتي إلى فلوريدا غدًا...»
توقفت إيف لحظة، وكأنها تفكر بصوت أعلى.
«لم أركز كثيرًا في الأمر... فقط قلت نعم»

صمتنا برهة.

ثم ابتسمت كريستا ببطء: «أنتِ لا تعرفين حتى ماذا يحدث، أليس كذلك؟»
لم ترد إيف هذه المرة. نظرت إلى الزجاج أمامها، حيث امتزج انعكاسها بضوء المقهى المتذبذب.
للحظة قصيرة...

لم تكن متأكدة إن كانت تنظر إلى نفسها حقًا، أم إلى نسخة جديدة منها بدأت تتبلور بصمت.

ملأت رائحة الجلد الجديدة صدر إيثان أكثر مما ينبغي، كأنها تضغط عليه بدلًا من أن تطمئنه.
كانت الأضواء البيضاء فوقه حادة، تكشف كل شيء... حتى تردده. توقف بين صفوف السيارات، يمرر
نظره عليها دون أن يثبت على واحدة.

لم يكن يعرف إن كان يبحث عن سيارة... أم عن قرار.

«أهلاً وسهلاً بك في Winter Park Auto Mall!»

التفت إلى موظف المبيعات ذي الابتسامة المدروسة، والقميص المرتب أكثر من اللازم.

«أنا مايك، كيف أساعدك اليوم؟»

تردد إيثان: «أنا... أنا... أبحث عن سيارة.»

ثرين بهدوء ساخر: «أجل... تعليق جريء فعلاً، في صالة بيع سيارات.»

قال مايك: «أي نوع محدد؟»

توقف إيثان أمام سيارة سوداء لامعة، انعكس وجهه على هيكلها كأنه شخص آخر... أكثر ثقة، وربما أكثر
زيقًا.

حرك رأسه قليلاً، ثم ابتعد. على الطرف الآخر، كانت سيارة أبسط، هادئة، لا تحاول لفت الانتباه.

نظر إليها لثوانٍ... ثم تنهد.

«هذه... قد تكون مملة»

ثرين: «إذن... سيارتك ستقوم بالانطباع الأول بدلاً عنك»

«هل يمكن أن تصمت لخمس دقائق فقط؟»

قال إيثان: «هيه، مايك... هذه أول مرة لي، هل لديك أي توصيات؟»

«هذا يعتمد إذا كنت تريد سيارة فخمة أو عملية»

«شيء... في المنتصف»

تردد قليلاً.

«ليس مبالغاً فيه»

ضحك ثرين: «يا لك من متواضع.»

توقف مايك عند نهاية الصف.

«لدي شيء يمكن أن يناسبك... لكن أغلب الناس لا تنتبه لها من أول نظرة»

لم يفهم إيثان، لكنه تبعه بالرغم من ذلك. كان الممر أضيق هنا، والإضاءة أقل حدة، كأن المكان يخفي شيئاً بدل أن يعرضه.

وفجأة...

خرجت من بين سيارتين عائليتين عاديتين.

بيضاء بخطوط زرقاء.

منخفضة.

كأنها لا تنتمي إلى هذا المكان أصلاً.

لم تكن تصرخ بالقوة... لكنها كانت توحى بها بصمت.

توقف إيثان.

شيء في صدره انقبض.

ليس لأنها جميلة فقط... بل لأنها تبدو مألوفة بشكل غريب.

كأن ذاكرته حاولت سحب اسم قديم ولم تنجح.

«هذه...»

قال مايك وهو يلمس سقفها بخفة: «نسخة مستوحاة من BMW M3 GTR»

لم يسمع إيثان الجملة كاملة.

كان ينظر إليها فقط.

وفي لحظة...

لم يعد يرى المعرض.

شاشة قديمة.

غرفة مظلمة.

سباق ليلي.

سيارة سريعة تنطلق على شاشة طفل لا يعرف لماذا كان قلبه يخفق.

ليس لأنها أسرع سيارة...

بل لأنها كانت سيارته هو.

قال إيثان: «هل... هذه هي فعلاً؟»

ابتسم مايك ابتسامة خفيفة.

«الأصلية؟ لا»

ظل إيثان ينظر إليها للحظة أطول من اللازم.

كأن الصوت القادم من الماضي لم يكن مجرد ذكرى... بل شيئاً ينتظر أن يُستكمل.

فتح مايك باب السيارة داعياً إيثان: «لكنها أقرب شيء يمكنك أن تشتريه... لذكرى لا تُنسى»

ابتسم إيثان وعيناه تلتهمان هيكل السيارة: «سأخذها»

ضحك مايك.

«توقعت ذلك»

ثرين: «يبدو أن إيف ستحتاج إلى حزام أمان أيضاً»

الفصل الخامس

لم يبدأ الأمر بصوت...
بل بخلل.
في عمق الغرفة السرية، حيث ظلت الجدران الحجرية صامته لقرون، ارتجف الهواء كما لو أن شيئاً حاول أن يتنفس داخله... وفشل.
الظلال على الجدار لم تتحرك... لكن اتجاهها تغير.
لم يكن هناك باب يُفتح، ولا حجر يُزاح.
عند الزاوية، فوق النقش القديم، انثنى الظلام مشكلاً صدعاً في الفراغ.
بقيت الحجارة في مكانها، لكن الحيز بينها بدأ يتباعد... يتمدد... يتشقق...
كأن الغرفة تُفتح من الداخل، لا من الخارج.
ثم ظهرت يد.
لم تخرج من الصدع... بل تكوّنت داخله، أصابع طويلة، بلون لا يشبه لون الجلد، تمددت ببطء، وكأنها تتذكر شكل اليد قبل أن تصبحه.
عندما لامست أطرافها الهواء، أصدر المكان صوتاً خافتاً... ليس احتكاكاً...
بل احتجاجاً.
الغرفة...
رفضت وجوده.
انحنت حواف الجدران، كأن الحجر فقد صلابته.
حتى النقوش القديمة على الحائط بدت وكأنها تنزلق رويداً رويداً... مبتعدة عنه.
ثم اكتمل.
وقف أзраفيل داخل الغرفة...
لا لأنه دخلها، بل لأن الغرفة اضطرت إلى قبوله.
أدار رأسه.
لم ينظر إلى الجدران... بل إلى ما تبقى فيها.
وعند أول خطوة، تجمّد.
ليس بسبب شيء يراه... بل بسبب شيء شعر به.
بقايا حضور... قديم...

مألوف...

ومكروه.

أغمض عينيه للحظة، وكأن الإدراك جاءه لا من المكان... بل من ذاكرة أعمق من الزمن.

«مرّ من هنا...»

لم تُسمع الكلمات...

لكن الهواء برد أكثر، كأن الغرفة نفسها فهمت المعنى.

رفع يده، ومررها فوق النقوش التي صورها إيثنان سابقاً... لكنه لم يكن يبحث عن المعرفة.

بل عن بصمة...

أثر روح أخرى.

تصلّب وجهه.

ولأول مرة... اهتز الفراغ خلفه.

«تجرّأت...»

لم يكن غضباً صاخباً... بل غضباً بارداً، حاداً، يشبه قراراً قديماً يعود إلى بداية الزمن.

خفض يده... ثم ضغط أصابعه.

عندها... صرخت الحجارة.

ليس صوتاً حقيقياً... بل إحساس بأن النقوش نفسها بدأت تتشقق من الداخل، وكأن المعرفة المنقوشة عليها

تحاول الهرب قبل أن تُمحي.

لم يتحرك أزرافيل كثيراً.

فمجرد وجوده... كان بداية محو ما تبقى.

أُعلن عن انهيار جزئي في أحد الأقسام الداخلية للهرم، في حادث أثار جدلاً واسعاً بين علماء الآثار. رجّحت السلطات أن يكون السبب محاولة اقتحام من قبل سارقي المقابر، أدت إلى انهيار جزء من البنية الداخلية القديمة، غير أن بعض الصور التي لم تُنشر رسمياً أظهرت تشققات غير طبيعية، لا تشبه آثار الحفر أو التفجير.

مسحت الدكتورة نورة الخبر عدة مرات بعينين غمرهما الذهول، وأسرعت إلى هاتفها لتكتب بأنامل مرتجفة.

«إيثان... ما الذي فعلته؟ هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟»

تكسرت الأنفاس في صدرها... كل نفس كان اعترافاً بأن شيئاً قادمًا لم يُعلن اسمه بعد.

وفي مكان آخر من العالم... على بعد آلاف الكيلومترات عن الهرم الذي انهار جزء منه... كان إيثان ينتظر موعداً بسيطاً دون أن يدرك أن بعض اللحظات الصغيرة تحمل بدايات كبيرة. مال على سيارته في ضاحية وينتر بارك، ينتظر خروج إيف من باب منزلها. فتشنجت عضلاته ترقباً لرؤيتها. عندما فتح الباب...

جاء صوت ثرين مقاطعاً بسخرية: «أول موعد... أنا متحمس». عدل إيثان تسريحة شعره بسرعة غير طبيعية قبل أن تلتفت إيف إليه. «أهلاً...»

ابتسمت إيف له بابتسامة خفيفة لا تخلو من الفضول: «مرحباً». وقف متصلباً للحظات، شعر بلسانه ثقيلًا، وبدأ يعبث بمفتاحه في يده. ثرين: «قل لها شيئاً لطيفاً، أيها الفاشل».

إيثان: «تبددين ج..جميلة اليوم». انزلت نظرات إيف إلى سيارته الجديدة، وكأنها تحاول تغيير الموضوع للحظة. «شكرًا... واو، هل سنذهب في سباق أو ما شابه؟»

«لا بالطبع...»

فتح إيثان باب السيارة لإيف، وهو يحاول أن يتظاهر بأنه شخص يعرف كيف يمشي بشكل طبيعي، ثم اتجه ليركب في مقعد السائق.

«أراهن أنك جائعة...»

«ربما»

أدار إيثنان مفتاح السيارة، فاهتز صوت المحرك بقوة.

«إذن... ما هي مهنتك بالضبط؟ آسفة، لكنني أواجه صعوبة في فهمك... أعني...»

«ماذا؟»

«سيارة سباق ومهووس بالنقوش القديمة... هذا غير معتاد على الإطلاق»

ثرين: «أجل يا إيثنان، فسر لها هيا.»

أحكم إيثنان قبضته حول مقود السيارة وهو يبتسم لها.

«لست الوحيد غير الاعتيادي... ماذا عن هوايتك؟»

«تعني التحكم بالأحلام؟ ما زلت مبتدئة بعض الشيء»

«كيف ذلك؟»

«أعني أنني أستطيع فقط الطيران الآن. واجهتني بعض الأحلام المريبة قليلاً، ولكنها... تعلم، مجرد

أحلام.»

همس ثرين بمكر: «مثير للاهتمام.»

«هذا يبدو ممتعاً... الطيران»

«أجل، ليس دائماً»

«ماذا تعنين؟»

«سمعت صوتاً غريباً عندما كنت أتدرب على ذلك»

سعل إيثنان.

«صوت؟»

«لا تشغل بالك، كل الذين يتحكمون بأحلامهم يتعرضون لأشياء مماثلة»

ثرين: «لا، هذا شيء غير اعتيادي. تابع سؤالها عن ذلك»

فكر إيثنان بحلق: «هيه، هذا مواعي الأول معها... وما دخلك أصلاً بما أتحدث معها به؟»

ثرين: «ستعرف قريباً.»

ارتعد إيثنان، وسرت برودة تخللت جسده. علم في أعماقه أن آخر تعليق لثرين لا يمكن أن يبشر بخير أبداً.

قطعت إيف الصمت: «إذن، إلى أين نحن ذاهبان؟»

وقبل أن يجيبها إيثنان، أوقف السيارة أمام مطعم Hillstone Restaurant. دخلا من الباب الزجاجي

الثقيل، وكأنهما يعبران حدّين مختلفين من العالم.

في الخارج، كان هواء وينتر بارك رطبًا وهادئًا، لكن الداخل استقبلهما بإضاءة دافئة محسوبة بعناية؛ ليست ساطعة ولا خافتة، بل تلك الدرجة التي تجعل كل شيء يبدو أعلى مما هو عليه. تقدم المضيف بخطوات هادئة، وابتسامة قصيرة مدروسة.

«اثنان»

أوما إثنان دون أن يرفع نظره كثيرًا، بينما كانت إيف تمسح المكان بعينيها بسرعة؛ خشب داكن، طاولات متباعدة، أصوات منخفضة، واصطدام خفيف للكؤوس يختفي وسط موسيقى خلفية ناعمة. لم يكن المطعم صاخبًا.

كان يشبه اتفاقًا غير مكتوب على الاحترام.

أخذًا إلى طاولة قرب النافذة، تظهر جزءًا من أشجار النخيل وأضواء الشارع التي بدأت تتداخل مع غروب مبكر.

سحب إثنان الكرسي لتجلس إيف أولاً.

«شكرًا»

توردت وجنتاها قليلًا. ومن ثم، بحركة تلقائية فيها شيء من الحذر، جلس كأنه يختبر المكان قبل أن يثق به. كان هناك صمت صغير بينهما.. ليس مريحًا تمامًا، لكنه مألوف.

مرّت نادلة بجانبهما، تركت قائمتين، ثم اختفت بسرعة.

حملت الصفحات السمكية أسماء أطباق تبدو بسيطة على الورق، لكنها مكتوبة كأنها وعود.

ضحكت إيف وهي تقرأ قائمة الطعام.

«انظر هناك... طبق اسمه مرق تربة الفطر، ونخاع العظم مع رماد الفحم المحمص»

تأملها إثنان وهي تضحك، لكنه لم يستطع أن يبادلها الضحك، وشعور الوخز في بطنه يتغلغل مع كل لحظة تمر.

قالت وهي ترفع خصلة شعرها خلف أذنها بنظرة متفحصة:

«هل أنت بخير؟»

«أ... أجل. كنت أفكر... ما هي خطوات تعلم التحكم بالأحلام؟»

رفعت حاجبيها، وبدأت متحمسة.

«حسنًا... عليك دائمًا أن تسأل نفسك إن كنت تحلم»

«ماذا أيضًا؟»

«يجب أن تفكر قبل النوم أنك ستدرك نفسك داخل الحلم»

«هذا فقط؟ يبدو سهلاً»

«أجل، لكنه يأخذ وقتًا... هناك شيء آخر»

«ما هو؟»

«يجب أن تسجل أحلامك باستمرار»

انسلت الأمسية بهدوء، بين أحاديث خفيفة ونظرات مترددة لم تكتمل. كان كل شيء يبدو طبيعيًا... أكثر مما ينبغي، وعندما غادرا، كان الليل في الخارج أعمق مما توقعه إيثان. انسلت أضواء الشارع على زجاج السيارة، بينما قاد إيثان دون أن يجد ما يقوله. مرّت الدقائق بصمت، لم يكسره سوى هدير المحرك الخافت.

أخيرًا توقفت السيارة أمام المنزل. شكرته إيف على الطعام، ثم خرجت تمشي باتجاه الباب. راقبها إيثان بهدوء، بينما كان يعبث بمذياه محاولاً أن يشغل نفسه بين أصوات الموسيقى المشوشة. أخرج هاتفه ليعثر على رسالة من الدكتورة نورة وخمس مكالمات لم يرد عليها. تجمّدت يده حول الهاتف قبل أن يفتح الرسالة... كأنه يعرف ما ينتظره. قرأ الكلمات ولم يفهم شيئاً.

وبينما كان يقلب بالمذياح، سمع كلمة واحدة بين الأصوات المشوشة:

«الهرم...»

ثرين: «ربما يجب أن نسمع هذا.»

انطلق صوت المذيع:

«نبدأ حلقة اليوم بخبر هزّ مواقع الأخبار خلال الساعات الماضية... انهيار جزئي داخل أحد الأقسام

الداخلية للهرم، والسلطات ترجّح أن السبب محاولة اقتحام من لصوص مقابر»

جاء صوت آخر:

«بصراحة، فكرة أن أحدهم يحاول سرقة شيء من داخل الهرم في هذا الزمن تبدو جنونية... أعني، هذه

أماكن محمية بأعلى درجات الأمن»

«صحيح، لكن تاريخ سرقة المقابر في مصر قديم جدًا. هناك شبكات كاملة تعمل في السوق السوداء لبيع

القطع الأثرية، وبعض القطع تُباع بملايين الدولارات»

«نعم، لكن الصور المسربة التي رأيتها لا تبدو كأثار حفر عادية... التشققات في الجدران تبدو... غريبة

قليلاً»

«غريبة كيف؟»

«لا أعرف كيف أشرح... لكنها لا تبدو كأنها نتيجة أدوات حفر أو متفجرات. كأن الجدار... تشقق من الداخل»

«تشقق من الداخل؟ هذا يبدو كفيلم خيال علمي»

«ربما... أو ربما لصوص غير محترفين عبثوا بشيء لا يفهمونه»

«في جميع الأحوال، السلطات لم تعلن عن أي إصابات حتى الآن، لكن المنطقة أُغلقت بالكامل لحين انتهاء التحقيقات»

«دعني أقول شيئاً بصراحة... لو كان هناك لصوص بالفعل، فأنا لا أعتقد أنهم خرجوا من هناك بسهولة»

«تقصد بسبب الحراسة؟»

«لا... أقصد بسبب المكان نفسه»

«ماذا تعني؟»

«لا شيء... فقط شعور غريب. بعض الأماكن... لا تحب أن يُمس ما بداخلها»

انتهى البودكاست، تاركاً إيثنان يحرق بمقوده بنظرة ذاهلة. حاول إقناع نفسه أن كل ما يحدث يمكن تفسيره بطريقة عادية.

ثرين: «إيثنان... أعتقد أنه يجب أن تتبنى قطعاً»

بقي يحرق في الطريق أمامه، وأصابه تضغط على المقود حتى ابيضَّت مفاصله.

حاول أن يبتلع غضبه، أن يجد تفسيراً منطقياً واحداً لكل ما يحدث... لكنه لم يجد سوى المزيد من الفراغ، فاحمرت أذناه، منبئة بانفجار على وشك الحدوث.

«كل ما يحدث حولنا... وأنت تواصل التهكم؟»

لم يبال إيثان بتأخر الوقت، وارتفع صوته صارخًا بعنف. بدأ يقود سيارته بسرعة وتهور.

«هذا يكفي يا ثرين»

«لقد سئمت من كل هذا... أنت لا تشرح شيئًا. كل كلمة تقولها تفتح عشرات الأسئلة في ذهني بدون إجابة»

«أنا لم أعد أريد سماعك بعد الآن... اخرج من رأسي أيها البغيض»

تجاوز إيثان سيارتين بصعوبة، وارتفعت بعض الأصوات المحتجة عندما مرّ بجانبها بسرعة كبيرة.

ثرين: «إيثان... أنا لا أمزح. أوقف هذه السيارة اللعينة قبل أن تقتل نفسك»

«لا!!»

«أوقفها وسأشرح لك»

تردد إيثان قبل أن يوقف السيارة إلى جانب الطريق، وكل ذرة في جسده كانت تصرخ بنفور شديد. شعر بشيء يتآكل داخل صدره. أخذ نفسًا عميقًا، لكنه خرج أقصر مما توقع.

«ابدأ الشرح... الآن»

للمرة الأولى، لم يسمع إيثان السخرية المعتادة في صوت ثرين.

كان هناك شيء آخر... تردد.

«حسنًا... أنا هنا في مهمة»

«مهمة؟»

«هذا العالم الذي تعيش فيه... ليس حقيقيًا»

أجبر إيثان نفسه على التفكير بطريقة منطقية، رغم أن المنطق لم يعد يعمل كما يجب.

لم يرد فورًا.

لم يضحك، ولم يغضب.

للحظة قصيرة، كان عقله يرفض حتى فكرة الرفض. كأن الكلمات وصلت إلى أذنه... لكنها لم تجد مكانًا تستقر فيه.

«هذا العالم هو...»

سكت ثرين برهة.

لمح إيثان عبر المرأة الجانبية سيارة رياضية مكشوفة تقف خلفه. انتابه إحساس بأمر غريب.

كان شيئًا يراقبه من خلف الظلام.

انطلق صوت ثرين محذرًا: «إيثان... أخفض رأسك!»

وفجأة...

انطلقت عدة رصاصات لتخترق الزجاج الخلفي للسيارة. تحطّم الزجاج وتناثر فوق رأس إيثان.

«ما الذي يحدث؟»

تقلّصت معدته من الخوف.

سمع صوت ثرين خلال الفوضى يقول:

«لا أستطيع الاستحواذ عليه»

كان الرصاص ينهال على سيارته، بينما اختبأ واضعاً كلتا يديه فوق رأسه تحت المقود. لم يفهم ما الذي يجري.

ثم سمع صوت ارتطام قوياً جداً، يصمّ الأذان، وكأنه حادث سيارة. انطلقت صرخات حوله، واستنشق رائحة احتراق قوية.

عاد صوت ثرين: «انطلق يا إيثان... هيا، الآن!»

عدل إيثان جلسته، وضغط بقدمه بقوة على دواسة الوقود.

انطلقت السيارة بعنف، تاركة خلفها دخان الإطارات وصوت الرصاص المتلاشي.

لم يكن يعرف إلى أين يهرب... ولا ممن. الأمر الوحيد الذي عرفه أن حياته قبل هذه الليلة انتهت.

توقّفت السيارة في منطقة نائية، حيث تمتد الأشجار على جانبي الطريق كأنها تبتلع الضوء.

لم يكن هناك أحد.

لا صوت.

لا حركة.

فقط اهتزاز المحرك وهو يختنق تدريجياً.

«ماذا كان هذا يا ثرين؟»

«قاتل محترف»

«أجل... هذا ممتاز، رائع حقاً»

خيم هدوء خانق داخل السيارة، كأن الهواء نفسه أصبح أثقل من أن يُتنفّس. نظر إيثان إلى الخارج عبر الزجاج المظلم، كأنه يبحث عن شيء لا يراه أحد سواه.

ثرين: «كان يجب أن تدعني أقتل فولكوف.»

إيثان: «أجل... يبدو أنه يقدر المال أكثر من حياته»

تحركت يد إيثان نحو مقبض الباب، ثم فتح الباب بنتأقل، كأن العالم خارج السيارة شيء غير مضمون الوجود.

خرج.

لكن الأرض كانت أقرب مما توقّع.

هوى على وجهه مباشرة على الإسفلت.

لم يتحرك لثوانٍ.

دفع نفسه بعناء، ورفع جسده متألمًا، يلتقط أنفاسه كمن عاد من لحظة انقطاع قصيرة عن الحياة.

وبصعوبة وقف، واستعاد توازنه مستندًا على سيارته التي كان زجاجها الخلفي مكسورًا بالكامل.

محفظته انسلّت من جيبه.

ارتطمت بالأرض وانفتحت.

انزلقت منها صورة صغيرة.

انحنى الضوء القادم من المصابيح الخافتة على الصورة.

إيثان يافع.

عيناه أقل ثقلاً، بلا ذلك الظل الذي يسكنها الآن.

وفي الصورة... كان يحتضن قطًا.

كان يضحك.

ضحكة لم يعد يعرف إن كانت تخصه.

تجمّد وهو ينظر إليها.

وكان شيئًا داخله لم يسقط معه على الأرض... بل بقي هناك، في تلك الصورة.

انسابت دمعة واحدة، انزلقت على خده وكأنها تأخرت سنوات.

خفض رأسه قليلًا.

وهمس بصوت خافت: «نوكس...»

صمت ثرين.

لم يعلق بسخرية كالمعتاد. وهذا الصمت كان أغرب من أي كلمة يمكن أن يقولها.

لم يكن مجرد اسم. كان باباً قد انفتح في داخله، ثم أغلق بسرعة قبل أن يراه أحد.

عاد إلى غرفته قديمة، إلى صوت ضحكة أصغر سنًا، وإلى قط يقفز فوق كتفه بينما كان يهرب من مسؤوليات العالم.

ولو هلة توقفت الريح بين الأشجار.

حينها...

شيء ما في العشب.

في البقعة المظلمة على جانب الطريق، حيث لا يصل الضوء إلا متقطعًا، تموّجت الظلال، يرافقها صوت حفيف بالكاد يُسمع.

لم يلتفت إيثان فورًا.

لكنّ جسده عرف قبل أن يفهم عقله.

رفع نظره بحذر.

هناك، بين العشب الكثيف، ظهر شكل صغير.

قط.

يمشي بسلاسة، كأنّه يعرف الطريق تمامًا.

دون أن يركض.

دون أن يتردد.

كان يتقدم نحوه مباشرة.

خطوة...

ثم أخرى.

عيناه مركّزتان على إيثان دون أن يرمش. كان هناك ثبات غريب. ولثانية توقف إيثان عن التنفس.

اقترب القط أكثر. حتى أصبح على بعد خطوات قليلة.

ثم وقف بجانب إيثان تمامًا، يرفع رأسه إليه.

ويحدّق.

بلا رمشة واحدة.

ثرين: «نحتاج إلى قط يا إيثان... وهذا يبدو أنه يحبك»

إيثان: «نعم، يا لها من مصادفة... يظهر قط فجأة أمامي في اللحظة التي تقول إننا بحاجة إليه.»

ثرين: «القطط حيوانات ذكية، هو يعلم أنك بحاجة إليه»

إيثان: «ما المفترض أن يعنيه كل هذا؟»

ثرين: «هناك كيان قوي جدًا يلاحقنا»

إيثان: «كيان؟...أتعني أنه هو المسؤول عن هدم غرفة الهرم؟»
ثرين: «أجل يا إيثان... ولا نملك فرصة لمواجهته»
إيثان: «حسنًا، لنفترض أن هذا صحيح... كيف لقطّ صغير أن يحمينا؟»
ثرين: «القطط حراس للبشر. كل روح لها أثر خاص، والقطط وحدها من تخفي هذا الأثر»
إيثان: «كيف له أن يعلم أننا بحاجة إليه؟»
ثرين: «ليس عليك أن تشرح له... هو فقط يستشعر ذلك»
حينها اقترب القط قليلاً، ومدّ كفه الصغير ليلامس بنطال إيثان.
ركع إيثان على قدم واحدة ليداعب القط على رأسه.
عندما لامست أصابع إيثان فروه، شعر بدفء غريب انتشر في يده، ليس كحرارة جسد حيوان... بل كأن شيئاً داخله هدأ.
«ربما يجب أن نسميه...»
الكلمات انطلقت من فمه رغماً عنه: «نوكس... سأسميه نوكس»
أغمض نوكس عينيه وفتحهما بتؤدة، كأنه قبل الاسم.

على بعد أميال قليلة،
انهمر الدم من صدغ لوشيان، كأنه يبحث عن طريقه الأخير للخروج من جسده.
داخل السيارة، رفع رأسه بشقّ الأنف عن المقود، وعيناه لم تستوعبا ما تراه بعد.
كان من المفترض أن تكون العملية نظيفة... سريعة... بلا أثر.
قبل دقائق، دفع نفسه إلى خارج فتحة السقف. نصف جسده فوق السيارة، وهو يثبت سلاحه نحو رأس إيثان.
ضغط الزناد.
لكن إيثان انحنى في اللحظة نفسها.
لا ارتباك.

لا تأخر.

كأنه لم يتجنب الرصاصة... بل كان ينتظرها.

الطلقات لم تصبه. ارتطمت بالزجاج الخلفي، ومضت إلى ما وراء الهدف.

لم يرَ لوشيان ما حدث بوضوح.

شيء واحد فقط ظل عالقاً: وميض أبيض حاد، ثم اهتزاز عنيف مَرَّق توازنه، وكأن الزمن نفسه انحرف.

حين عاد الإدراك إليه، كانت السيارة أمامه تتحول إلى كتلة مشتعلة من المعدن والزجاج، ممزقة عند

الحافة، بفعل سيارة أخرى، والنار تزحف بينهما كأنها تعرف طريقها.

ركل باب السيارة بعنف واندفع إلى الخارج متعثرًا.

الأرض لم تبدُ ثابتة تحت قدميه، كأن الأسفلت يتأخر نصف ثانية عن الحركة.

ابتعد عن الحطام المشتعل، والنار تلتهم ما تبقى خلفه، وأخرج هاتفه بيد ترتجف.

نظر إلى الشاشة بدون تركيز... ثم اتصل.

جاء صوت فولكوف البارد:

«تكلم»

حذق إلى يده التي لا تتجاوب معه كما يجب.

كأنها ليست يده.

ابتلع ريقه بصعوبة وقال بصوت منخفض:

«هناك تعقيد»

جاء صوت فولكوف أكثر حدة: «أشرح»

شد لوشيان قبضته، محاولاً تثبيت نفسه داخل الواقع.

«أطلقت النار... مباشرة على الهدف. لكنه تحرك في اللحظة نفسها.»

توقف، وكأنه يعيد المشهد في ذهنه ليتأكد أنه حدث فعلاً.

«كما لو أنه كان يتوقعها»

لم يرد فولكوف.

أكمل لوشيان وهو ينظر إلى النار: «ثم... اصطدمت سيارة بسيارتي...»

أكمل لوشيان بصوت أخشن: «كأن من يقودها أراد تعثر المهمة»

جاء صوت فولكوف، أخفض من قبل، لكنه أكثر حدة: «هل رآك؟»

تردد لوشيان عندما سمع صوت سيارة إطفاء تقترب من بعيد.

«لا أعلم...»

قالها أخيراً.

مشى بعيداً عن مكان الحادث، وهدر صافرات الإنذار يقترب أكثر فأكثر. ثم أضاف بنبرة اتهام واضحة:
«سيد فولكوف... ماذا تخفي؟»

انتظر لوشيان رد فولكوف، مستنداً إلى جدار أحد المباني القريبة، وكل نفس يعبر صدره أصعب من الذي قبله.

«ترقب تعليمات جديدة»

أغلق فولكوف الخط.

الفصل السادس

حمل إيثان القط الذي يخزّ بهدوء إلى داخل سيارته، ووضعه على المقعد المجاور له، ثم أغلق الباب واستقر في مقعد السائق. كان العالم حوله جامدًا، لكن داخله كان ينهار بهدوء.

قال وهو يداعب نوكس، محاولاً تهدئة نفسه من الفكرة التي تنهش تفكيره:

«إذن لماذا يلاحقنا هذا الكيان؟»

ثرين: «هو يحاول إيقافي...»

«إيقافك عن ماذا؟»

«أنا هنا لإنهاء هذا الوهم... هذا العالم الذي تعيش فيه مجرد كذبة...»

لم تكن المشكلة في غرابة الكلمات... بل في أنها بدت مألوفة بشكل مخيف. هز إيثان رأسه بعدم تصديق، متنهدًا: «أنا لا أفهم»

«أنا أخشى أنك تفهم يا إيثان، ولكنك لا تشاء الاعتراف بالأمر»

لم يعلم إيثان لماذا بدأ يضحك، وكأن الجنون قد مسّه... قضى معظم حياته يلاحق شيئًا اعتبره معظم الناس مجرد هلاوس، والآن صوت في رأسه يقول له إن هذه هي الحقيقة.

«أنا مجرد شاب بالكاد يستطيع ترتيب حياته... كيف يفترض بي مواجهة شيء كهذا؟»

ضحك ثرين: «أجل... هذا غير تقليدي فعلاً»

إيثان: «لا أعلم يا صديقي، ولكن لا أظن أن الفرص في صالحننا»

ثرين: «يجب أن نبتعد من هنا.»

سمع إيثان دوي صفارات إنذار يقترب، فارتجفت عيناه بتعب، وضغط دواسة الوقود. لم يكن الطريق أمامه واضحًا، لكن التوقف لم يكن خيارًا أيضًا. قاد سيارته باتجاه نزل قريب.

قبل أن يصل، مرّ من محل وجبات سريعة، وابتاع وجبتي دجاج مقلي له ولنوكس، الذي كان يموء بحماس.

بدا كل شيء طبيعيًا بشكل مريب... ولكنه أيقن أن الواقع يتهيأ لشيء لم يبدأ بعد.

حينها تذكر أنه لم يجب على رسالة الدكتورة نورة، وشرع في إخراج هاتفه المحمول عندما دخل غرفته.

وضع وجبة نوكس أمامه، حيث بدأ الأخير يأكلها بشراهة واضحة.

تناول إيثان قطعة من الدجاج وهو ينظر إلى هاتفه، يفكر بما يجب أن يرد به على الدكتورة.

بدأ يكتب بتردد:

«دكتورة نورة... أنا بخير تمامًا.

لقد عدت إلى فلوريدا، وسمعت ما حدث للهرم... هذا شيء مؤسف حقًا.»

توقفت أصابعه فوق الشاشة وهو ينظر إلى الكلمات التي كتبها، وكأنها لا تخصه.

كره نفسه بسبب إخفائه الحقيقة... لكن كيف يمكنه أن يخبرها أن كيانًا خارقًا هو من دمر الغرفة؟ حتى هو نفسه لم يكن ليصدق ذلك.

«إذن ماذا سنفعل بشأن ذلك القاتل؟»

«سننتظره بالطبع... لا يمكننا أن نصطاد الصياد يا إيثان»

«وهل من المفترض أن أكون الطعم؟»

«يبدو ذلك»

«الحياة كانت أبسط قبل تدخلك، أتعلم؟»

«أجل، عندما كنت ستسكن في الشارع... أتذكر هذا؟»

ألقى إيثان علبة الوجبة الخاصة به على الأرض بلا اهتمام، وبدأ يمشي جيئةً وذهابًا في المساحة الضيقة المتاحة داخل الغرفة.

اتجهت أنظاره إلى نوكس، الذي أنهى وجبته بالكامل وبدأ يتمطط بكسل، وكأن العالم خارج هذه الغرفة لا يعنيه بشيء.

فوق الجبال والسهول الرحبة، حُلّقت إيف بسلاسة، امتدّ العشب كبساط أخضر يتماوج مع الريح الخفيفة التي تداعب وجهها.

ارتسمت ابتسامة على شفتيها وهي تفكر بتفاصيل موعدها مع إيثان.

تفادت جبالاً بسهولة واضحة وانسيابية، إذ كانت قد أتقنت فن التحكم بالأحلام، لكن حتى السيطرة الكاملة لا تمنع الشعور بأن هذا العالم قابل للانهييار في أي لحظة.

لم تكن تعرف ما الذي يسعدها أكثر، براعتها في الطيران داخل الحلم أم موعدها مع إيثان.

هبطت على الأرض وأخذت تحاول استحضار جميع تفاصيل الأمسية. بدا المكان ثابتاً، كأنه ينتظرها لتتذكره...

وفي طرفة عين، وبدون أن تفهم كيفية حدوث ذلك، أصبحت تجلس في المطعم أمام إيثنان، وهو يبتسم لها بخفة ويتابع كل تفصيلة فيها بعينه.

بدا حلمها حقيقياً أكثر من اللازم.

بأدلتها الابتسام وهي تحاول تفادي نظراته. عبثت بقائمة الطعام تماماً كما فعلت في الموعد، كانت تفاصيل المطعم كاملة... حتى صوت الملاعق، رائحة القهوة، وطريقة إيثنان في تحريك يده عندما يتوتر.

كل شيء كان مثالياً.

ولوهلة غمرها شعور مريب، وأصبح المطعم أشدّ ظلمةً، كأن الضوء نفسه فقد ثقته بالمكان.

دققت إيف النظر خلف إيثنان، حيث كان ظل أسود يتسرب من كتفيه.

أخذ يكبر أكثر فأكثر، لكن إيثنان لم يبدُ عليه أي تغيير، وتابع الابتسام باتجاهها.

ضاق صدرها وتراجعت مسافة قليلة عن الطاولة عندما بدأت تتشكل عينا مألوفتان، تلمعان بلون أحمر دام.

تحدقان بها بصمت.

«إيثنان... ما هذا؟»

أشارت بأنامل مرتجفة إلى الظل، وعندها ابتلع الظلام حواسها، كما لو أن الوجود انطفأ بشكل كامل، وبدأت تسمع صوتاً مألوفاً ذا نبرة حادة باردة لا تطاق.

قال المشرف:

«أزرافيل.»

انطلق صوت آخر يحمل نبرة مشابهة:

«سيدي»

«الوقت ليس في صالحنا»

«اختفى أثره»

«يبدو أنه وجد طريقة لتفعيل سحر الأقدمين»

اعثر على العين يا أزرافيل... هو يبتغي العين»

اختفت الأصوات، وبدون أي إنذار، انطلق رنين من بعيد، يعلو مع كل لحظة حتى أصبح لا يُحتمل.

استيقظت إيف على صوت المنبه، وهي تمد يدها بارتباك ناحية هاتفها، كأنها سُحبت من مكان لا يترك أثراً خلفه.

أدركت أنها تأخرت.

نهضت بسرعة، وبدلت ملابسها، ثم انطلقت تمشي بخطوات مضطربة باتجاه مدرستها، تحاول استحضار حلمها قبل أن يتلاشى من ذهنها.

قضت معظم حصصها تكتب تفاصيل حلمها، حتى أنها بقيت داخل الفصل في استراحة الغداء. لم تشعر بمرور الوقت، كانت منغمسة في دفترها تقرأ بنهم، حتى قطع رنين الجرس أفكارها معلنًا نهاية الحصص الدراسية، فاندفع الطلاب خارج بوابة مدرسة وينتر بارك، كتيار بشري متعب يفرغ ما تبقى من ضجيج في الهواء البارد.

اختلطت أصوات الضحك بنداءات الوداع، وارتفعت أبواق الحافلات الصفراء وهي تصطف على جانب الطريق، تفتح أبوابها لابتلاع العائدين إلى منازلهم.

كانت إيف تسير بخطوات سريعة على حافة الرصيف، حقيبتها تتدلى من كتف واحد، لكن عقلها كان لا يزال عالقًا في مكان آخر.

لم تكن تنظر إلى أحد، ولا حتى إلى الطريق أمامها... بل إلى الأرض. اعتملت فكرة في ذهنها، فكرة تحاول تجنبها.

خلفها بخطوتين، راقبتها كريستا بقلق، ولاحظت ذلك الصمت غير المألوف.

إيف، التي اعتادت أن تهمس بتعليقات سريعة أو ترفع يدها بثقة، جلست اليوم جامدة، تحدق في دفترها. حتى عندما ناداها المعلم، تأخرت ثانية قبل أن ترد... وكأنها عادت من مكان بعيد.

ترددت كريستا لثواني، ثم أسرعت قليلًا حتى أصبحت بمحاذاتها.

«إيف»

لم ترد إيف.

فقط واصلت السير.

عقدت كريستا حاجبها، ثم أعادت النداء، هذه المرة بنبرة أخفض:

«إيف...»

توقفت إيف.

«ماذا هناك؟»

«هل سمعت ما حدث للهرم؟»

«أجل، كل الدنيا تتكلم عن الأمر»

نظرت إيف أخيرًا في عيني كريستا اللتين يملؤهما الشك. لم تتكلم الفتاتان. تشاركنا لحظة صمت، قبل أن تعاود إيف المشي.

«إذن لم تفعل شيئًا آخر داخل الهرم؟»

«علقنا هناك فقط... لا أعلم.»

مرّتا بعدة شبان كانوا يصفرون لهما بحماس.

هزّت كريستا رأسها بقلق، ثم قالت فجأة، وكأنها لم تعد تستطيع كتم ما تفكر به:

«إنه شخص مريب... لست مرتاحة لفكرة أنك تخرجين معه»

بقيت إيف صامتة.

بدأت الفكرة تطفو في ذهنها إلى السطح مجددًا...

ما علاقة تهدم الهرم بحلمها؟

ومن هو أزرافيل؟

ما علاقة كل ذلك بإيثان؟

لمع في ذهنها ذلك الوميض الأحمر المؤلف عندما كادت أن تغرق.

ومن حيث لا تدري، شعرت بيد تسحبها بعيدًا إلى الخلف.

«ما خطبك اليوم؟»

قالت كريستا وهي تبعد إيف عن الشارع المزدهم.

كذبت إيف: «أظن أنني متعبة فقط»

رفعت كريستا حاجبيها.

«يمكنك الكذب على والديك، ولكن لن تستطيعي الكذب علي»

«آسفة، أنا...»

«تشعرين بالذنب لأنك مسؤولة بطريقة ما عن تهدم الهرم»

«حسنًا... شيء من هذا، نعم»

«هل حاول الاتصال بك؟»

«لا... لست متأكدة من رغبتني في التحدث إليه الآن»

«هل حلمت بشيء غريب مجددًا؟»

طرفت إيف عينيها بسرعة، وتجمدت في مكانها عندما سألتها كريستا.

«كيف عرفت؟»

«أنا صديقتك أيتها الغبية...»

سحبت كريستا دفتر الملاحظات الخاص بأحلام إيف، متجاهلة اعتراضها بنظرة أقل ما يمكن القول عنها

إنها باردة.

حاولت إيف إشغال نفسها، وركلت علبة صودا كانت على الأرض.

مرّت عدة دقائق عندما بدأت تتغير ملامح كريستا.
بقيت عيناها معلقتين بالاسم لثوانٍ طويلة، كأنها لم تقرأ كلمة في دفتر... بل فتحت بابًا كانت تخشى
الاقتراب منه.
توسعت حدقتها، وأخذت شفتها ترتجفان.
«إيف...»
«ماذا؟»
«أين سمعت بهذا الاسم؟»
«ماذا تقصدين؟»
انطلقت الحروف بصعوبة من فم كريستا:
«أز... أزرافيل.»
استغربت إيف اضطراب كريستا.
«لا أعلم... لم أسمع به من قبل»
أكملت وهي تحك رأسها:
«لماذا؟»
أغلقت كريستا الدفتر بيدين مرتعشتين، وفي عينيها نظرة رعب لم تعدها إيف من قبل.
قالت أخيرًا:
«الملاك الذي...»
ابتلعت ريقها بعناء.
«...يجلب النهاية»
«يجلب النهاية؟ حسنًا، هذا سخيف»
رفعت إيف حاجبها بدهشة، لكنها لم تكن صريحة مع ذاتها كليًا...
ما احتمالات أن يتردد هذا الاسم الأسطوري في حلمها؟
استعادت كريستا ثباتها.
«لا أعلم، فقط ظننت أنها صدفة غريبة... قرأت عن هذا في كتب قديمة»
كانت كريستا مولعة بالأساطير والكتب القديمة، دائماً ما كانت تتحدث عنها بحماس ولكن اليوم غمرها
شعور غريب.
دُكر أزرافيل في بعض المخطوطات القديمة... لم يكن يُذكر كملك موت فقط، بل كعلامة على نهاية عصر
وبداية آخر.
دوّت أصوات السيارات في الشارع المزدهم، مقاطعة حديثهما.

حلّ مايو على فلوريدا كإنذارٍ مبكر للصيف؛ حرارة خانقة، شمسٌ قاسية تلتهم هدوء الصباح، وعواصف قصيرة تضرب السماء ثم تتلاشى سريعًا، كأن الطقس نفسه يعيش حالة اضطراب.

بالنسبة لمعظم الناس، كان مايو مجرد شهرٍ عابر يسبق العطلة الصيفية.

أما بالنسبة لإيثان... فكان الشهر الذي بدأت فيه الأشياء الخاطئة بالاستيقاظ.

أمضى ثلاثة أيام داخل غرفته، ملتصقًا بشاشة حاسبه المحمول، يبحث عن أي حادثةٍ مثيرة للشبهة قد تقوده إلى الكيان الذي يطارد.

خرخر القط الذي تمدد على ركبتيه باسترخاء، مذكرًا إياه بأنه الدفاع الوحيد بينه وبين هذه القوة الغامضة.

شعر إيثان بالامتنان لنوكس، صديقه الجديد ذو الفراء، فأخذ يداعب رأسه وهو يبتسم بتعب.

من بعيد، اقترب صوت محرك سيارة مألوف من شباك غرفته، ومن ثم توقف.

قال ثرين بمرح: «وصلت سيارتك».

لم يبدو أي تغيير في تعابير وجه إيثان، حتى إنه لم يتحرك لفتح الباب عندما سمعه يطرق. أيقن أن ثرين استحوذ على سيارته لصيانتها... محاولة يائسة لتحسين مزاجه بعد كل ما حدث.

«لا زلت لا تريد الخروج... أتفهم ذلك».

توقف الطرّق، وانزلق ظرف من تحت الإطار الخاص بباب غرفته، يحمل ما بدا أنه مفتاح سيارته.

احتج إيثان أخيرًا: «هل تحاول قتلي؟»

«لا طبعًا...»

«تريد مني الخروج الآن؟ قاتل مأجور وكيان خارق يسعيان خلفي».

«حسنًا يا إيثان، لا داعي لأن تكون دراميًا».

«دراميًا؟»

«أنت مستاء فقط لأن إيف لم تجب على رسائلك».

استقام إيثان بشكل فجائي، مما أدى إلى انزلاق نوكس إلى الأريكة بسرعة. وعيناه الخضراوان تلاحقان إيثان، الذي أخذ يمشي بعصبية جيئةً وذهابًا، كأن وترًا حساسًا قد ضُرب دون سابق إنذار.

«هل أنت مجنون؟»

«لا... لكنك نسيت أنني أستطيع سماع أفكارك».

كره إيثان الاعتراف بذلك. لم يكن يريد لثرين أن يربح هذا النقاش بالذات، فتجاهله ومشى نحو البراد ليشغل نفسه بوجبة خفيفة.

التقط قطعة من الحلوى وعاد يجلس بجانب نوكس على الأريكة، وهو ينظر إلى هاتفه على بعد خطوتين، مستقرًا على الطاولة...

تسللت رائحة المطر الساخن من النافذة المفتوحة. لم يستطع إيثان إبعاد أفكاره عن إيف. تساءل في نفسه عما تفعله الآن... ولماذا لم تجب على أي من رسائله.

قال ثرين بخبت: «أتعلم أن شهر مايو يعني اقتراب وقت الامتحانات؟»

همهم إيثان: «لا أستطيع الحصول على لحظة سلام».

«لا أظن أن قطك يجب أن يأكل الحلوى».

عندها انتبه إلى يده التي تحمل قطعة الحلوى، ونوكس يحاول الوصول إليها وهو يهز ذيله بحماس.

انطلقت ضحكة من إيثان بددت شيئًا من الكآبة التي تعتمل في صدره. لم يستطع مقاومة نوكس، فكسر جزءًا صغيرًا منها.

«حسنًا... ربما قطعة صغيرة».

وبينما كان نوكس يأكل قطعة الحلوى الصغيرة، تلاشت محاولاته لإقناع نفسه بأن الأمر طبيعي.

«أجل، إنه وقت الامتحانات، ولكنها ببساطة يمكنها القول إنها مشغولة».

«ألم يخطر لك أنها تشعر بالذنب؟ ربما تعتقد أنها مسؤولة بشكل ما عن تهدم الهرم».

توقفت يده في الهواء.

لم تمر الكلمات عابرة، بل استقرت كشوكة في أعماق ذهنه. كيف لم يفكر بذلك؟

«هذا معقول جدًا».

وبلا سابق إشعار، اهتز هاتفه المحمول بعنف على الطاولة، فقفز إيثان بحماس وكأن تيارًا كهربائيًا سرى عبر جسده.

رفع هاتفه بسرعة.

«لا بد أنها إيف».

حدق في الشاشة لثوانٍ، وانخفضت كتفاه ببطء.

كانت الدكتوراة نورة. تلاشت ابتسامته، وانطفأ الحماس داخله بهدوء كضوء فقد بريقه.

«ربما هناك شيء مهم».

عاد صوت ثرين في قاع ذهنه.

فتح إيثان الرسالة بشيء من التملل. كانت قصيرة وموجزة:

«هل هناك شيء لا تستطيع قوله هنا؟»

أعاد قراءة الرسالة عدة مرات، وبدأ ذهنه يعمل بشدة. لم يعلم ما عليه فعله، ولكن انتابه شعور أنها الشخص الوحيد القادر على مساعدته الآن ضد ذلك الكيان... نعم، هي الشخص الوحيد القادر على ترجمة الرموز داخل الحجرة.

تمتم لنفسه: «ربما نكتشف شيئاً ما يساعدنا».

تنفس بعمق قبل أن يكتب الرد بحذر: «هل يمكنني دعوتك للقدوم إلى فلوريدا؟»

لم يأخذ الأمر طويلاً حتى اهتز هاتفه بين يديه مجدداً: «أجل بالطبع».

نقرت أصابعه بتردد فوق شاشة هاتفه، كأنه يستجمع نفسه، وقرر أن يشتري تذكرة سفر خاصة للدكتورة عبر شبكة الويب، كما أنه حجز لها غرفة في فندق محترم.

تهكم ثرين: «يا لك من مضياف».

«حسناً، سأخرج الآن، هل يمكنك أن...»

«فعلت هذا مسبقاً... اطمئن، لا يوجد أثر لذلك القاتل».

أخذ إيثان حماماً سريعاً وبذل ملابسه. كان قد عزم على رؤية إيف قبل الانخراط في أمور الرموز مع الدكتورة نورة.

اندفع خارجاً من الباب ومعه نوكس، الذي استقر على كتفه بفرائه الدافئ المعتاد وهو يداعب أذنه. كانت المرة الأولى التي يخرج فيها منذ ثلاثة أيام. ضرب شعاع الشمس المتسرب من السحب وجهه. عندما مشى باتجاه سيارته، أحسّ بأنه قضى شهوراً داخل الغرفة المظلمة، والآن هو ذاهب للتحديث مع إيف... لم يكن متأكداً من سبب اهتزاز أصابعه حول المقود؛ مقابلة إيف أم حقيقة أنه مطارذ الآن. حاول قدر الإمكان أن يركز في الطريق وهو يقود، لكن أفكاره كانت دائماً تنتشوش بسؤاله عما سيقوله لها.

وأخيراً وصل أمام منزلها. توقفت السيارة على حافة الشارع القريب، ولكن عقله لم يتوقف عن التفكير. وللحظة أراد الانطلاق بعيداً بسيارته عن هذا المكان.

خرج من السيارة متجهاً إلى باب منزل إيف، ومعه نوكس على كتفه. تمنى أن تكون إيف مهمة بالحيوانات... هذا سيجعل الأمور أسهل كثيراً بوجود نوكس.

طرق الباب وهو يحافظ على توازنه بصعوبة، ثم سمع صوت خطوات خفيفة تقترب. فُتح الباب لتظهر امرأة جميلة في أواخر الثلاثينات، كانت تشبه إيف. علم إيثان أنها أمها.

«عفواً... هل إيف بالمنزل؟»

قالها بشيء من الخجل.

ابتسمت له ليلي بدفء، وهي تنقل عينيها بينه وبين نوكس على كتفه:

«أهلاً... إنها بالمنزل، أجل».

تحركت ليلي بخفة مبتعدة عن الباب. سمعها إيثنان وهي تنادي إيف.
بدأ قلبه يخفق بشدة، كأنه يريد الخروج من أضلاعه مع مرور كل ثانية. شعر بشيء لزج يدغدغه، حينها أدرك أن نوكس يلحق خده باهتمام. كان لذلك أثر مهدئ للعاصفة التي بداخله.
فُتح الباب مجدداً، كاشفاً إيف التي ارتسمت ملامح مفاجأة على وجهها. أخفتها سريعاً وقالت بحيادية رغم توردها وجهها الواضح:
«أهلاً...»

أطلق نوكس مواءً صغيراً جعلها تبتسم رغماً عنها. حاولت أن تنظر بعيداً، ولكن خانتها عيناها وهي تتأمل نوكس:

«لم تقل لي إنك تملك قطاً».

«وأنت لم تقولي إنك تكرهين استخدام الهواتف».

«أوه...»

انطلق صوت رجل خلف إيف، بدا قادماً من حجرة قريبة:

«من حضر يا ليلي؟»

«إنه صديق لإيف».

«حقاً... لم لا تدعوه إلى الداخل؟ أين لباقتها؟»

عندها قفز نوكس إلى الأرض، وانساب بين قدمي إيف وهو يجري إلى الداخل.

«هيه نوكس... آسف».

ضحكت إيف بخفة: «أظن أن علي دعوتك للداخل».

قادته عبر الباب إلى ممر يؤدي إلى مطبخ، حيث اتجه نوكس.

كانت ليلي تطهو قطعاً من اللحم تفوح منها رائحة غنية بالعصارة.

لمح إيثنان ذيل نوكس تحت الطاولة، التي جلس أمامها رجل بدأ يظهر الشيب في شعره، قال بنبرة ودودة

وابتسامة واثقة: «أهلاً... اجلس يا بني».

«آسف، لا أريد التطفل... مررت فقط لأطمئن على إيف».

«نحن نصر على ذلك... اجلس، هيا سنتناول العشاء».

جلس إيثنان بتردد قرب جيمس، واستقرت إيف في المقعد المقابل له.

«يا إلهي، لا أطيق الانتظار. هيا يا ليلي...»

ردت ليلي مازحة: «هيه، لا تستعجلني أيها العجوز».

استدار جيمس باتجاه إيثنان: «إذاً كيف التقيتما؟»

«في الحقيقة، كانت صدفة داخل...»

سارعت إيف بالتحدث فوراً: «أجل، التقينا صدفة في رحلتي المدرسية».

نظر باتجاهها. يبدو أنها لم تخبر والديها بأي من التفاصيل عندما علقا داخل الحجرة السرية.

«أجل، في رحلتك إلى الأهرامات... غريب فعلاً ما حصل، لا أحد توقع أن يحدث ذلك الانهيار من

الداخل».

تبادل إيثان وإيف نظرات ذات مغزى دون أي تعليق إضافي.

ضحك ثرين بخبث.

مرّ الوقت دون أن يشعر إيثان. تناول العشاء مع إيف ووالديها، مع محاولات نوكس العبث برداء ليلي.

كانت أمسية لطيفة، يستمتع فيها لحكاية والدها عن أول تجربة له في الصيد، لكنه توقف فجأة عندما عبست

ليلي في وجهه وتغيرت ملامح إيف أثناء سرده للقصة.

فهم إيثان أن هناك شيئاً حدث لا يريد أحد التحدث عنه، وعزم على سؤال إيف لاحقاً.

عندما تأخر الوقت، ودعهم إيثان بأدب واتجه مع إيف إلى الباب.

همس إيثان في ذهنه: «هيه ثرين، هل المكان آمن في الخارج؟»

«أجل، كل شيء على ما يرام».

«شكراً».

وصل إلى عتبة الباب ومعه نوكس مستقراً في يديه، عندها أوقفته إيف:

«أنا... آسفة، لقد ظننت أننا فعلنا شيئاً خاطئاً».

لم يجب، وتابع التحديق فيها بصمت. حاولت تجنب النظر في عينيه وأكملت:

«هناك شيء عليّ إخبارك به».

رفع إيثان حاجبيه: «ما هو؟»

صبغ الخجل وجهها: «ليس هنا... ربما نخرج لاحقاً».

انطلق صوت ثرين مازحاً: «يا لها من طريقة لتحديد موعد ثانٍ».

أوماً لها إيثان وخرج مع نوكس، يمشي إلى سيارته، وهو غير متأكد إن كان سيبقى حياً غداً.

في صباح اليوم التالي، قاد إيثان سيارته باتجاه المطار لاصطحاب الدكتورة نورة إلى الفندق الذي حجز لها غرفة فيه.

على المقعد الجانبي، كان نوكس نائمًا بهدوء ملتفًا حول نفسه، بينما انطلقت كلمات أغنية (Where Is My Mind) من المذياع:

«توقّف!

قدماك في الهواء ورأسك على الأرض.

جَرّب هذه الخدعة وابدأ بالدوران، نعم!

سينهار عقلك إن لم يكن بداخله شيء.

وستسأل نفسك:

أين عقلي؟

أين عقلي؟

أين عقلي؟»

لسبب ما، شعر إيثان أن الكلمات لا تبدو كأغنية بقدر ما تبدو سؤالًا موجّهًا إليه شخصيًا.

سأل ثرين في ذهنه: «قلت إن هذا العالم مجرد وهم... كذبة».

«أجل، قلت ذلك».

«إذًا ما هي الحقيقة؟»

«لا أحد يستطيع شرح الحقيقة لك يا إيثان... عليك أن تراها بنفسك».

ألح إيثان أكثر: «ماذا إذًا؟ هل نحن في محاكاة أو شيء من هذا القبيل؟»

«أسوأ يا صديقي... إنه سجن».

«لا أظن أن الدكتورة ستصدق أيًا من ذلك».

«ليس عليك قول أي شيء... دعنا فقط نفكك الرموز بالكامل».

وصل إيثان أخيرًا إلى مطار أورلاندو الدولي (Orlando International Airport)، واقترب من

المدخل بسيارته، حيث ارتفعت الإشارات الزرقاء الكبيرة، وتبدلت حركة الشارع إلى انسياب منظم لا

يشبه الفوضى الخارجية. السيارات تنعطف دون تردد، وكأنها تحفظ طريقها منذ البداية.

أخذ ينتظر أمام مدخل المطار، ورفع هاتفه إلى مستوى وجهه مترقبًا رسالة من الدكتورة نورة. نظر إلى

الوقت؛ الساعة الآن العاشرة وخمس دقائق صباحًا، أي أن طائرتها حطت بالفعل.

وبعد نحو عشر دقائق، اهتزّ هاتفه. يبدو أنها ستخرج من البوابة الآن...

خرج إيثان من سيارته ليلوح لها. لمحته الدكتورة واتجهت نحوه بابتسامة تحمل شيئاً من القلق.
حياها بأدب: «دكتورة... شكرًا على قبول دعوتي».

«بالطبع...»

أشار لها نحو سيارته. ترددت لثانية عند باب السيارة، وانتقلت نظراتها بين الهيكل الرياضي للسيارة وبين إيثان، كأنها تحاول أن تربط بين "دعوة أكاديمية" وسيارة لا تنتمي لهذا النوع من اللقاءات.
عندما فتح لها الباب، استيقظ نوكس وقفز إلى المقعد الخلفي. تراجعت خطوة وهي تضع يدها على صدرها، مجفلة من المفاجأة.

«هل هذا قطك؟»

«نعم... نوعاً ما».

أخذ إيثان حقائبها ووضعها في صندوق السيارة، ثم عاد إلى مقعد السائق، وإلى جانبه الدكتورة نورة التي كانت تلتفت كل ثانيتين لترقب نوكس.

انطلقت السيارة خارج المطار باتجاه فندق (Renaissance Orlando Airport Hotel)، الذي كان قريباً من المطار. لم تستغرق الرحلة أكثر من خمس دقائق، تبادل فيها إيثان والدكتورة نورة حديثاً عابراً عن الطقس.

لاحظت د. نورة أن نوكس يراقبها بفضول خلال الرحلة، وهو يجلس على ركبتَي إيثان.
«يبدو ذكياً».

«نعم... إنه مشاكس أيضاً».

ضحكاً معاً، وخرجا من السيارة متجهين نحو الاستقبال لتسلم مفتاح الغرفة. استقر نوكس على كتف إيثان، مما أدى إلى إثارة انتباه بعض رواد الفندق، الذين لاحقوا القط بنظرات اهتمام واضحة وابتسامات خفيفة.

لم يستغرق الأمر طويلاً حتى حصلوا على المفتاح واستقلا المصعد. تعجبت د. نورة من فخامة الجناح الخاص بها: «غرفة صغيرة كانت ستؤدي الغرض».

«لا عليكِ يا دكتورة».

حدقت به من خلف نظارتها: «ما هي مهنتك بالضبط يا إيثان؟»

شعر إيثان أنه يخضع لاختبار الأشعة السينية، وهي تمسحه بعينيها، فوضع يديه في جيبه بشكل تلقائي، مبتسماً ومتجنباً النظر في عينيها.

«لدي عمة ثرية تحبني».

«حسناً... شكرًا على أية حال».

لكنها لم تبدُ مقتنعة بكلامه.

«سأتركك ترتاحين قليلاً... هناك شيء فقط أريده عندما تجدين الوقت».

«ما هو؟»

«أريدك أن تترجمي الرموز داخل جميع الصور».

«هل لهذا علاقة بانهييار الهرم يا إيثان؟»

«لا أعلم بعد... إلى اللقاء. سأكون في الغرفة رقم ٩٩ في الطابق الثاني».

أمضى إيثان الظهيرة مستلقياً على السرير في غرفته، يتفقد هاتفه مراراً...
«هيه...»

«ماذا؟»

«ماذا سمعت في ذهن د. نورة؟»

«هل تريد حقاً سماع ما تفكر به؟»

«نعم...»

«حسناً، هي متأكدة أن لك يدًا فيما حدث في الهرم... لكنها لا تلومك. تريد فقط معرفة الحقيقة».

تنهّد إيثان: «لا أعلم إن كان عليّ قول الحقيقة لها».

رد ثرين بملل واضح: «أجل... يا له من تعقيد».

«تبدو ملولاً جداً بالنسبة لشخص يعمل على تحرير البشرية من سجنها».

ضحك ثرين بسخرية: «ومن قال إنني هنا لتحرير البشرية؟»

اعتدل إيثان جالساً: «إذاً ماذا...؟»

صمت ثرين لثوانٍ طويلة، ومن ثم أجاب بنبرة حقد واضحة في صوته:

«أنا هنا... للانتقام».

قبل منتصف الليل بقليل وصل لوشيان إلى شاطئ ميامي (Miami Beach). كانت الرطوبة تخنق أضواء المدينة، فيما انعكست ألوان النيون الوردية والزرقاء فوق الطرق المبتلة بالمطر كأن الشوارع نفسها تغرق في حلم مريض.

توقفت السيارة السوداء أمام فندقٍ فاخرٍ يطلّ على الساحل؛ مبنى آرت ديكو قديم يرتفع وسط صفٍ من أشجار النخيل المتمايلة تحت الرياح الرطبة الدافئة القادمة من البحر.

نزل من السيارة، مرتدياً معطفاً أسود طويلاً أخفى تحته آثار الحروق التي خلفها الحادث الأخير.

لم يكن يبدو كرجلٍ جاء لحضور اجتماع... بل كرجلٍ جاء لإنهاء شيء.

عند المدخل، فتح له الحارس الباب فوراً دون سؤال، وكأن الفندق كان يعرفه مسبقاً.

انبعثت موسيقى جاز هادئة من مكبرات الصوت الموجودة على السقف، بينما انعكست الثريات الذهبية فوق أرضية الرخام اللامعة.

رجال فولكوف كانوا موزعين في أنحاء الردهة ببذلات رسمية باذخة ونظرات باردة؛ بعضهم تظاهر بالحديث، وآخرون راقبوا المصاعد بصمتٍ عسكري.

وفي نهاية الصالة، جلست كيو.

امرأة آسيوية ترتدي فستاناً أسود بسيطاً وقفازات حريرية داكنة، تدخن سيجاراً كوبياً فاخراً ببرود مستفز وكأنها تملك المكان أكثر من مالكة نفسه.

رفعت عينيها نحوه للحظة قصيرة... ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة لم تحمل أي دفء.

اقترب منها لوشيان دون أن يغيّر تعابير وجهه.

«أين فولكوف؟»

أجابت كيو بهدوء وهي تطفئ السيجار في منفضة خاصة على الطاولة الزجاجية:

«ينتظرك في الأعلى...»

لكن قبل أن يستدير باتجاه المصعد أردفت:

«أظن أنني مدعوة أيضاً لهذا ال... الاجتماع».

استقامت من جلستها ولحقت به نحو المصعد.

«قليل الكلام كعادتك يا لوشيان».

«أنا فقط متعب».

ارتفع كمّ معطفه قليلاً كاشفاً عن حروق في يده، حين ضغط الزر رقم سبعة، وللحظة لمح تغييراً في ملامح كيو، ولكن سرعان ما عاد ذلك القناع الهادئ إلى وجهها.

«إنه يقول أن ذلك الفتى ممسوس».

التفت لوشيان ببطء وحقق في عيني كيو الداكنتين... تبادلًا لحظة صمت قبل أن يقول:

«لا أعتقد ذلك».

أطلق المصعد رنيناً قصيراً قبل أن تنفتح الأبواب على الطابق السابع، المفضي إلى ممر واسع ذو سجاد أحمر فخم.

أخذ لوشيان الخطوة الأولى خارجاً عندما انطلق صوت كيو مجدداً بجانبه:

«لقد تغيرت...»

توقفت قدم لوشيان لثانية، ولكنه أكمل خطوته: «لا... كان ذلك قرارك».

سبقها نحو الباب في آخر الممر، كان واضحاً أنه لا يريد متابعة الحديث.

وقف أمام الغرفة رقم ٣٣، أدار المقبض بيده ودخل إليها، فاستقبله ضوء خافت لا يندفع من مصدر واحد، بل يتوزع كأن المكان يرفض أن يكشف نفسه بالكامل.

إنارة غير ساطعة تتسلل من مصابيح جانبية مخفية داخل الجدران، وتترك منتصف الغرفة غارقاً في ظلٍ محسوب بدقة.

في الوسط طاولة طويلة من الخشب الداكن، تحيط بها كراسٍ ثقيلة الجلوس، يجلس حولها عدد من رجال فولكوف.

بدلات رسمية، همسات منخفضة، وضحكات قصيرة لا تكتمل.

الأحاديث الجانبية تدور كأنها طقس اجتماعي معتاد، كل رجل منهم منشغل بصوته أكثر من اهتمامه بما يُقال.

لكن في نهاية الطاولة، كان فولكوف مختلفاً تماماً.

جلس وحده تقريباً داخل مساحته الخاصة، كأس نبيذ أحمر في يده، يديره ببطء دون أن يشرب. نظراته لم تكن على أحد، بل في فراغٍ ثابت أمامه، كأنه يرى ما هو أبعد من الجدران ومن الغرفة نفسها. فوق كرسيه، امتدت عين كبيرة مثبتة في أعلى الغرفة، تصميم غريب أشبه بعدسة مراقبة ضخمة أو رمزٍ غير مريح، تحقق مباشرة نحو مكان جلوسه.

لم تكن تتحرك، لكنها كانت تمنح الإحساس بأنها ترى كل شيء... حتى ما لا يُقال.

في تلك اللحظة، بدا واضحاً أن الغرفة لا تستقبل اجتماعاً عادياً، بل تراقب شيئاً يحدث داخلها منذ البداية.

اقترب لوشيان من كرسي فارغ في منتصف الطاولة وجلس، بدون أن يتكلم...

حضرت بعده فوراً كيو واستقرت على كرسي قريب من فولكوف على جهة اليسار.

انتبه فولكوف لهما، وغير جلسته وهو يضع كأس النبيذ على الطاولة، مما أدى إلى انتهاء معظم الأحاديث الجانبية...

عمّ الهدوء ترقباً لفولكوف الذي تكلم أخيراً:

«أيها السادة، طلبت منكم الحضور اليوم لأن لدي شيئاً مهماً لأريكم إياه».

ضغط على هاتفه فانكشفت فتحة في الجدار، كاشفةً عن شاشة عرض كبيرة تطل على الطاولة... بدأ شريط فيديو يعرض ما يبدو جناحاً كبيراً في فندق فاخر وفيه فولكوف مع ثلاثة رجال، أحدهم هو إيثان.

وبعد دقائق من تبادل ابتسامات السخرية بين الحضور وهم يشاهدون إيثان يتلقى اللكمات واحدة تلو الأخرى، طرأ تغير شديد في ملامحهم عندما انهار أحد الرجال الذي كان خلف كرسي إيثان فجأة بدون أي سبب منطقي...

رغم ثباته، لاحظ لوشيان أن فكّ فولكوف كان ينقبض أحياناً بلا وعي كلما ظهر إيثان على الشاشة. عدّل البعض جلسته بينما ارتسمت نظرات الذهول عندما انهار الرجل الثاني أمام إيثان بدون أي سبب هو الآخر.

نقر فولكوف هاتفه مرة أخرى ليتوقف شريط الفيديو، وبدأ يتكلم:

«إنه غريب، أليس كذلك؟»

همهم الحضور حول الطاولة، لكن كيو ثبتت عينيها على لوشيان الذي كان مركزاً مع فولكوف بهدوء، وكأنها شاهدت مقطع الفيديو ذاك عشرات المرات.

«أجل يا سادة، أحد أقوى رجالي، دميتري ونيكولاي، سقطا بدون حراك أمام هذا الفتى».

انطلق أحد الأصوات يحمل سخرية واضحة:

«اعذرني يا سيد فولكوف، ولكن على الأرجح رجالك ليسوا بهذه الشجاعة التي تتحدث عنها».

حدّق فولكوف في الرجل لثوانٍ بدون أن يتكلم، ثم حوّل عينيه إلى جانبه وأردف قائلاً:

«كيو عزيزتي، هل يمكنك إخبارنا بما حدث في الكازينو؟»

ووضع إصبعه على ساعدها، شدّ لوشيان كفيه للحظة قبل أن يستعيد نفسه.

أخبرتهم كيو بكل ما حدث، وكيف حوّل إيثان مبلغ خمسة آلاف دولار إلى سبعين ألفاً في لعب البوكر، وكأنه كان يعرف كل الرهانات الراحبة.

وأخيراً وجه فولكوف حديثه إلى لوشيان:

«لوشيان... هل يمكنك أن تخبرنا ما حدث معك أيضاً؟»

التقت عيناه هو وفولكوف، وكأن شرارة انبعثت داخل الغرفة من احتكاك نظراتهما.

رفع فولكوف كأس النبيذ الخاص به وأخذ رشفة صغيرة، وهو ينتظر أن يتكلم لوشيان.

وفي النهاية روى لوشيان ما حدث معه بكلمات مختصرة، عندما فشل في محاولة قتل إيثان، وكيف أحنى

رأسه قبل لحظة إطلاق النار، وكيف تعرض لحادث سيارة على جانب الطريق وهو يطلق النار على

إيثان، وكأنّ الحادث كان ليعرقل محاولة الاغتيال...

ولسبب ما، أخفى عن الحضور التفاصيل التي تتعلق بالفتاة الشابة التي كانت مع إيثان قبل حدوث كل ذلك.

ترك فولكوف تأثير صدى كلمات لوشيان على الغرفة لدقيقة قبل أن يستأنف:

«إذا يا سادة، نحن نرى نمطاً محدداً يتكرر هنا».

«هذا الفتى غير طبيعي...»

ضغط أسنانه بقوة.

«هناك شيء أبعد من فهمنا يساعده».

تكلم أحد الرجال الذي بدا أكثرهم ثقة وقوة:

«عذراً، ولكن لا أظن أنني أفهمك بوضوح يا سيد فولكوف».

«نعم، أنا أقصد أن هناك كياناً خارقاً يساعده».

سرت الهمهمات مجدداً في أنحاء الغرفة، قطعها فولكوف مجدداً موجهاً كلامه لرجل على يمينه:

«ما آخر التطورات؟»

«اخترقنا كاميرات المراقبة، ووجدناه يتجه إلى مطار أورلاندو الدولي... ثم عاد يصطحب سيدة تعرف

باسم نورة حتحور».

«ومن هي هذه السيدة؟»

«عالمة آثار مرموقة تختص بالرموز الهيروغليفية».

هذه المرة اعتدل لوشيان قليلاً في جلسته قبل أن يكمل أليكسي:

«لقد أرسلنا ذبابة إلكترونية للتجسس على لقائهما».

«هذا جيد، أحسنت يا أليكسي».

«اللقاء سيحدث في الثانية عشر ليلاً».

نظر الجميع، كلٌّ إلى ساعته...

تبقى خمس دقائق فقط على منتصف الليل.

الفصل السابع

على بعد أميال، كان إيثنان يقف أمام غرفة د. نورة والقلق يجتاحه، وعلى صدره استقر رأس نوّكس بفرائه الناعم.

دُق الباب مرتين، لم تمر سوى ثوانٍ قبل أن يُفتح: «إيثنان... تفضل».

قفز نوّكس من بين يديه إلى الداخل، لحقه وهو يحكّ رأسه:

«أنا آسف... أدرك أنك متعبة من السفر، ولكن الأمر لا يمكن أن ينتظر أكثر».

ابتسمت له د. نورة رقة وهي تقول:

«أعلم ذلك... لقد ترجمت بعض الصور بالفعل».

اتجهت د. نورة لتخفيض الصوت المنبعث لأغنية من هاتفها، بينما تبعها إيثنان، الذي أعجب بذوقها في الموسيقى رغم عدم فهمه للكلمات الأغنية العربية.

عند أقرب كرسي استقر نوّكس يلتف حول نفسه ويسند رأسه إلى ذيله، كان يراقب بقعة من السقف بفضول.

أشارت د. نورة إلى طاولة خشبية مصنوعة من الزان، تراكت عليها أوراق كثيرة إلى جانب حاسبها المحمول.

قال إيثنان وهو يجلس: «إذاً... ماذا اكتشفت؟»

«حسنًا، كما تذكر، عندما التقينا أول مرة...»

قاطعها إيثنان: «نعم... أذكر حامل الروحين».

كان يتكلم بسرعة حتى بدت الكلمات تتعثر ببعضها. «م... ماذا إذن؟»

«لَمْ يهملك هذا الأمر لهذه الدرجة؟»

مكيف الهواء أصدر طقطقة خافتة فوقهما، بينما انزلقت سيارة إسعاف في الشارع أسفل الفندق بصوت مكتوم.

راح يمسح وجهه بيده مرارًا دون أن ينتبه لذلك: «آه... ماذا تعنين؟»

تأملته د. نورة بضع لحظات قبل أن تكمل: «لا شيء... حسنًا، لَمْ لا تقرأ ما كتبت في هذه الأوراق؟»

ناولته بضعة أوراق كان يغزوها التشطيب، ولكنها كانت مفهومة إلى حد ما. بدأ إيثنان القراءة بتمعن:

حامل الروحين انشقت فيه روحان لا تخضعان لميزان ماعت.

هو ليس بشريًا عاديًا، بل تصدع على الأرض بين نظامين لا يلتقيان.

عين ماعت ليست عيناً تُبصر،
بل ختمٌ يُظهر القوانين المستترة خلف العالم.
ومن يضعها على روحه، يرى ما لا يُرى:
الزمن كحبلٍ قابلٍ للقطع،
والذاكرة كطينٍ يُعاد تشكيله،
والموت كبابٍ ليس مغلقاً كما يُظن.

كلما أكمل سطرًا، ازداد ذلك الشعور المزعج داخله...
كأن جزءًا منه كان ينتظر قراءة هذه الكلمات منذ زمن طويل.

لا تُعطِ هذه العين لحامل الروحين،
فإنه لا يرى... بل يفكّ.
حامل الروحين لا يسعى إلى الفهم،
بل إلى كسر الختم الذي يُمسك العالم معًا.
ويُقال إنه حين يلمس عين ماعت،
لا ينهار عقله كما ينهار عقل البشر،
لأنه ليس روحًا واحدة كي تُكسر.
إذا استيقظ حامل الروحين بحق،
وانفتحت له العين،
رأى الشقوق بين العالمين.
ومن يرى الشقوق...

شدّ إيثان الورقة بقوة حتى تجعد طرفها بين أصابعه.
لم يلاحظ ذلك إلا عندما سقطت قطرة عرق فوق الحبر القديم... ثم تابع:

لن يقبل شكل العالم كما هو بعد الآن.
بل سيبدأ بفكّ حدوده،
كما يفكّ الكاتب عقدةً في برديّة قديمة.
هذا ليس إنسانًا...

بل خللٌ في ميزان ماعت.
وإذا تحرّك الخلل نحو العين،
فلن يُحافظ على العالم... بل سيُعاد كتابته.
النصوص تقول إن حامل الروحين يسعى دائماً للوصول إلى عين ماعت.

انتهى إيثنان من القراءة بذهول، وأخذ يهمس لنفسه:

«عين... الحقيقة!»

لم يعلم كيف انطلقت تلك الكلمات من فمه، قبل أن يدرك أنه نطقها أصلاً.
شعر بطعم معدني بارد في فمه، كأنه تذكر شيئاً لا يجب أن يتذكره.
«عفواً؟»

«لا شيء...» ثم سألهما سريعاً: «لماذا لم يذكر أي شيء عن حامل الروحين في كل النصوص
الهيروغليفية الأخرى؟»
«لست متيقنة... يمكن أن تكون ديانة سرية أو شيئاً يحرم التحدث عنه أمام العامة».
«إذا كانوا قد أخفوها...»

«قلت إنك حصلت على هذه الرموز داخل غرفة سرية... هذا يمكن أن يدعم هذه النظرية».
انطلق صوت ثرين في عقل إيثنان:
«اسألها عن مكان العين».

«هل النصوص تذكر مكان العين؟»

«هذا إن اعتبرنا العين شيئاً مادياً... أعني أنه لا يمكننا الجزم».

تسلق نوكس بسلسلة حافة الكرسي، وهو ما يزال ينظر باهتمام إلى نفس البقعة التي لفتت انتباهه عند
دخوله، بينما تابع إيثنان و د. نورة نقاشهما.

«هل تعتقدين أن باقي النصوص يمكن أن تقودنا إلى مكان العين أو ماهيتها؟»

أومأت د. نورة برأسها: «نعم، هذا محتمل».

أردف إيثنان: «إذا نحن نبحث عن عين ماعت».

لم تجب نورة، بل حدقت بإيثنان بنظرة متفحصة، الذي التصق قميصه بظهره من العرق، رغم أن المكيف
كان يعمل منذ دخوله.

وقبل أن يتكلم أيّ منهما، قفز نوكس ومدّ كفه في الهواء ليسقط شيئاً على الأرض.

اعتذر إيثنان من د. نورة، وهو يتجه ليؤنب نوكس على مشاكسته. وعندما ركع على ركبة واحدة مقترباً
من نوكس، لمح على الأرض شيئاً يشبه الحشرة، تحاول التحرك بصعوبة. انحنى إيثنان أكثر.

لم تكن حشرة.

لم تكن شيئاً حياً أصلاً.

كانت عينا... تراقب.

هيكل من التيتانيوم، وكاميرا دقيقة في موضع الرأس، تتحرك ببطء كأنها ما زالت تثبت.

سقط قلبه إلى معدته، وأيقن أنه مراقب: «هيه، ثرين... هذا الشيء... لم لم تنبهني له؟»

«وكيف لي أن أعرف أنه أداة تجسس؟»

«يا إلهي، لقد قُضي علينا».

«لا تكن جبائلاً».

جاء صوت د. نورة مشوشاً في أذن إيثان ليعيده إلى الواقع: «ماذا حدث؟»

اقتربت عدة خطوات من إيثان، ودققت النظر لترى الذبابة الإلكترونية في يده التي ترتجف، وبجانبه

نوكس، يلاحقها بعينيه مستعداً للانقضاض.

«إيثان، ما هذا؟... هل نحن مراقبون؟»

هز رأسه وهو يسحق أداة التجسس بين أصابعه: «يجب علينا الخروج من هنا حالاً».

«أنا لا أفهم، ما الذي يحدث؟»

استقام بسرعة، والتفت نحوها وهو غير متأكد من الشيء الذي على وشك قوله:

«حسناً... هناك شخص آخر معنا هنا».

أدارت رأسها لتفحص كل بقعة من الغرفة: «ماذا... أين؟»

همس ثرين في رأسه: «لا أظن أن ذلك سيكون حكيماً».

فكر إيثان في ذهنه: «لا يوجد خيار آخر... ولكن أولاً أريدك أن تتأكد من خلو الغرفة من هذه الأشياء».

أجاب ثرين: «لك هذا».

ابتسم لها رغم هلعها من الداخل: «سأشرح كل شيء يا دكتورة...»

التقط إيثان الهواتف وحاسبها المحمول، ووضعهم داخل الحمام، ثم عاد إلى د. نورة التي كانت مشدوهة

من الذي يحدث.

عاد ثرين: «الوضع آمن... أمل ذلك».

د. نورة: «إيثان، من هنا؟»

«هو بلا جسد، يسكن هنا». أشار إلى رأسه.

«ماذا؟»

«سأشرح... ولكن أريدك أن تستمعي إلى النهاية».

تراجعت نصف خطوة دون أن تشعر، بينما انعقد حاجباها كأن عقلها يرفض استيعاب ما سمعه للتو. اتجهت بحذر إلى أقرب أريكة وجلست تنظر إلى إثان بشفتين مرتعشتين. إلى جانبها صعد نوكس وبدأ يخرّ، مسنداً رأسه على ركبته.

وفيما ارتطمت قطرات المطر بالشباك بإيقاعٍ سريع ومضطرب، حتى بدا أن الزجاج يرتجف، أخبرها إثان بكل شيء حدث معه منذ بداية سماع صوت ثرين في رأسه وحتى محاولة لوشيان قتله. عند انتهائه من شرح كل شيء، تاركاً د. نورة في حالة من الهدوء المتربّص، نفضت رأسها فجأة، كأنها تحاول تحدّي كل ما قال:

«حسناً، إن كان ذلك الشيء يستطيع سماع أفكارى... ما الذي أفكر به الآن؟»

تعجّب إثان من طريقتها في التعامل مع الأمر، حيث إن أي شخص كان سيهلع أو يتهمه بالجنون، ولكنها قررت اختبار كل ما قال، كأنها في تجربة علمية، بدل توجيه أي اتهامات، وحافظت على هدوئها. انبعث صوت ثرين:

«هذه المرأة مثيرة للاهتمام».

أكمل ثرين:

«إنها تفكر بقطها الذي فقدته منذ عدة سنوات، اسمه موكا، أسود اللون بعينين خضراوين».

أخبرها إثان بما قاله ثرين له، حينها ارتسمت ملامح الذهول على وجهها، ولكنها قررت الخوض في الأمر أبعد من ذلك.

«ما الرقم الذي أفكر به الآن؟»

أحضر إثان ورقة من على الطاولة، وكتب الرقم الذي من فئة المليون، الذي حتى هو كاد أن يخطئ في كتابته، رغم حرص ثرين على قوله بترؤ.

بعد محاولات تعجيزية واختبارات مضنية ليخطئ إثان وثرين في سماع أفكارها، لم يكن منها إلا أن تصدق أنّ ما يقوله إثان حقيقي.

أخيراً أخذت نفساً عميقاً، ثم قالت:

«حسناً أنا أصدقك... ولكن ما يحدث خطير بالفعل».

«أدرك ذلك... ولهذا نحن نحتاج مساعدتك».

«أساعدكما في ماذا... صديقك يريد إنهاء العالم الذي يعتبره وهماً، بغرض الانتقام من شيء لم يصرح عنه بعد».

أكملت د. نورة:

«أتعجّب منك يا إثان، شاب مثلك يساعد هذا الكيان على فعل شيء كهذا».

يبدو أن د. نورة ضربت على وتر حساس كان إيثار يتفادى التفكير فيه منذ عرف نية ثرين. لماذا ما زال يساعد ثرين رغم علمه بنيتّه في إنهاء هذا العالم... هل يكره هذا العالم لدرجة تدفعه للقيام بذلك، أم لأنه يعتبر ثرين صديقه الآن وجزءاً منه؟

قطع سلسلة أفكاره ثرين:

«لقد تأثرت للغاية، هل يمكن أن نؤجل ذلك الحديث الآن؟ يجب علينا العثور على مكان آمن».

استقام إيثار وبدأ يجمع كل الأوراق وحاجيات د. نورة:

«علينا الذهاب إلى مكان آخر يا دكتورة».

«ماذا عن هواتفنا وحاسبي المحمول؟»

«أخشى أنه لا يمكننا استخدامها الآن، يمكن أن تكون مخترقة بالفعل».

وافقته، وانطلقت تجمع أغراضها في حقائبها. كانا قد قررا الذهاب لشراء هواتف جديدة وأرقام مؤقتة غير قابلة للتعقب.

عندما خرجا من الفندق، وضع كل من إيثار ود. نورة وشاحاً يغطي الوجه، وطلبا سيارة خاصة.

همست في أذنه:

«إلى أين نحن ذاهبون؟»

«صديق قديم... يعرف كيف يختفي داخل الشبكة».

كان إيثار يأمل أن يكون صديق الطفولة الخاص به في فلوريدا، فهو الشخص الوحيد القادر على مساعدتهما ضد محاولات عصابة فولكوف في تقفي أثرهما.

كانت الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل في وينتر بارك، حين توقفت سيارة الأجرة عند طرف

Hannibal Square.

خارج النوافذ بدت الشوارع هادئة أكثر مما ينبغي؛ مصابيح صفراء باهتة تنعكس فوق الإسفلت الرطب، وصفّ طويل من المتاجر القديمة تغرق تحت لافتات نصف مطفأة.

انفتح الباب أولاً، وقفز نوكس إلى الرصيف. توقّف لثانية يشمّ الهواء، ثم أطلق تدمراً منخفضاً، وكأنّ المكان لا يعجبه.

خرجت د. نورة خلفه، وهي تحمل حقيبتها قريباً من جسدها:

«أهذا هو المكان فعلاً؟»

أغلق إيثنان الباب ونظر عبر الشارع الضيق.

في الجهة المقابلة امتد زقاق جانبي بالكاد يُرى بين مبنيين قديمين.

ممر رطب تفوح منه رائحة المطر والأسلاك الساخنة. في نهايته ظهرت لافتة صغيرة متأكلة، كتب عليها: «تسجيلات لونا».

كان المتجر غارقاً في الظلام، باستثناء ضوء أزرق خافت يتسرّب من الطابق العلوي.

قال إيثنان وهو يبدأ السير:

«إن لم يغيّر مكانه مجدداً... فهو هنا»

تبعهما نوكس بتردد، ومخالبه تصدر طقطقة خافتة فوق الأرض المبللة.

كلما دخلا أعمق داخل الزقاق، خفتت أصوات المدينة خلفهما، حتى لم يبق سوى أزيز الكهرباء القديمة واهتزاز بعيد لقطار يمرّ في مكان ما خلف المباني.

توقفت د. نورة للحظة تنظر إلى النوافذ العليا. كانت الستائر تتحرك بخفة، رغم عدم وجود رياح.

«صديقك هذا...» قالت بصوت منخفض، «أنت متأكد أنه يستطيع مساعدتنا؟»

«آمل ذلك...»

طلب إيثنان من ثرين التحقق من وجود صديقه في الشقة فوق المتجر القديم. أجابه ثرين بعد لحظات:

«هناك شخص مستيقظ يجلس أمام حاسبه المحمول»

دق إيثنان الباب بنعومة، فسمع صوت محرك صغير فوق رأسه. كانت هناك كاميرا صغيرة بالكاد تُرى، وعدستها مصوّبة نحوهم.

أنزل إيثنان من غطاء وجهه وقال باتجاه الكاميرا:

«بودينغ الفراولة».

لم تمرّ ثانية قبل أن ينطلق صوت معلناً فتح القفل الإلكتروني. اندفع نوكس إلى الداخل، وخلفه د.نورة، ثم إيثنان الذي أغلق الباب وتقدمهم وهو يصعد الدرج.

فتح باب الغرفة العلوية، كاشفاً عن شخص طويل ونحيل بلحية طويلة وعينين غائرتين:

«مرّ زمن طويل يا صديقي».

أجابه إيثنان وهو يبتسم:

«نعم، لكنك لم تتغير بالمرة».

«هذا صحيح، ولكن لا أستطيع قول نفس الشيء لك».

«د. نورة، صديقة لي، ونوكس...»

«د. نورة حتحور... تفضلي بالدخول».

للحظة ارتبكت د. نورة بسبب معرفة هذا الشخص اسمها الكامل دون أن يقوله إيثان، لكنها سرعان ما أومأت له بابتسامة خافتة.

دخلوا إلى غرفة واسعة معتمة، انتشرت فيها الفوضى إلى حد ما. استقر إيثان ود. نورة على أريكة، بينما كان نوكس يمدّ كفه تحتها في محاولة للوصول إلى شريحة بيتزا مرمية بإهمال.

اتجه دوريان إلى براد صغير يختفي في ظلال الغرفة، أخذ علبةً من حليب محلى وعبوتين من عصير البرتقال، كمحاولة لبقة لاستقبالهما، أفسدتها الفوضى التي تعم المكان.

«أنا أعرف أن الوقت متأخر، ولكن أحتاج مساعدتك».

ضحك دوريان:

«ما الذي تتحدث عنه؟ لقد بدأ يومي للتو...»

تبادلا نظرة طويلة تخللها الصمت، جعلت د. نورة تشعر أنها دخلت غرفة مليئة بأسرار لا تخصها... وأخيرًا قال دوريان:

«إدًا... هل يستطيع قراءة أفكارى؟»

«ماذا... ك كيف عرفت؟»

شارك إيثان الصدمة مع د. نورة، حتى إنه سكب نصف عبوة العصير على الأرض، مما أفزع نوكس الذي قفز يحتمي بينهما.

«سأقول لك كيف... أريد أن أعرف أولًا: هل يستطيع سماعي؟»

تكلم ثرين بمزيج من التهكم والانزعاج في رأس إيثان:

«إدًا صديقك الوحيد... هو غريب الأطوار هذا».

أكمل ثرين:

«حسنًا، قل له إن سرواله الداخلي ذو اللون الأحمر سخييف فعلاً».

«حسنًا... لقد ذكر شيئًا عن سروال أحمر».

ارتخى فكّ دوريان قليلًا قبل أن يستعيد نفسه:

«يا إلهي، قضيت إحدى عشرة سنة أتعلم الاختراق وأنت لديك هذا الشيء في رأسك».

«هل يمكن أن تفسر الآن معرفتك بكل ما يحدث؟»

وافقته د. نورة التي كانت تداعب رأس نوكس برقة:

«نعم، هذا سيكون مفيدًا جدًا يا سيد دوريان».

«هذا صحيح... لقد بدأ كل شيء عندما رأيت إعلانًا في الشبكة المظلمة لشخص يطلب فيه شراء معلومات».

روى لهما دوريان كيف أن الإعلان كان يخصّ إيثنان، مرفقًا بصورته، ومنذ ذلك الوقت وهو يتتبع كل ما يحدث.

«بالمناسبة، كنت رائعًا عندما جعلت فولكوف ينبطح أرضًا كالفتيات».

أخذ رشفةً كبيرة من الحليب المحلى الخاص به، وتابع كأنه يروي أحداث يوم روتيني:

«الكثير من الأشخاص كانوا يحاولون العثور عليك يا إيثنان... لقد فعلت ما بوسعي لتأخيرهم».

«شكرًا، لم...»

«لا تتعامل معي بهذه الرسمية».

حمل دوريان نوّكس بين ذراعيه، وأخذ يمسح على وبره الناعم:

«إدًا، ماذا أستطيع فعله لكما؟»

«أريد مسح كل بياناتنا من على الشبكة، واستبدالها بهويات مزيفة».

«أستطيع فعل ذلك... لم لا تقضيان الليلة هنا؟ دكتورة، دعيني أقودك إلى غرفة في الأسفل».

«شكرًا لك، يا سيد دوريان».

عاد دوريان بعد دقائق، بينما كان إيثنان يعبث بهاتفه الجديد ويحفظ رقم إيف. أخذ يفكر: ماذا لو حاولت

إيف الاتصال به؟ هاتفه ما زال في غرفة الفندق. عقد عزمه على الاتصال بها غدًا. لم يكن متأكدًا من

طبيعة الشيء التي تريد إخباره به، لكن الارتياح تسلل إليه. ماذا لو كانت في خطر؟

قطع أفكاره دوريان:

«إنها مثيرة للاهتمام بالفعل».

«ماذا... من؟»

ضحك دوريان:

«د. نورة بالطبع... من ظننتني أقصد؟»

اعتدل إيثنان في جلسته دون أن يجيب، ووضع هاتفه بجيبه كأنه يحاول تقادي الإجابة، التي شكّ أن

دوريان يعرفها بالفعل.

تسلل ضوء الصباح عبر الستائر، ولكن لم تختفِ الكأبة عن المدينة. بدا الضوء أضعف من أن يطرد أسرار الليلة الماضية.

استيقظ إيثنان على صوت د. نورة ودوريان وهما يتحادثان، إلا أنه بقي مستلقياً دون أن يتحرك. انبعث صوتها من أريكة قريبة:

«سيد دوريان، كيف التقيتما أنت وإيثنان؟»

مازحها دوريان:

«بسبب كلب».

رفعت حاجبها باستغراب، فأكمل:

«كنت في الثالثة عشرة تقريباً... مجموعة أولاد كانوا يضربون كلباً صغيراً خلف متجر قديم. لم أكن قوياً، ولم أكن أعرف القتال أصلاً، لكنني... لم أستطع تركه».

ضحك بخفة وهو يتذكر:

«النتيجة كانت سيئة جداً بالنسبة لي».

«ثم ظهر إيثنان؟»

أوما دوريان.

«نعم... ظهر فجأة، وكأنه قرر أن يتورط في أسوأ مشكلة ممكنة ذلك اليوم. ساعدني في إخراج الكلب من هناك... ثم انتهى بنا الأمر نتلقى ضرباً مبرحاً معاً».

«وناديني دوريان فقط».

ابتسمت د. نورة:

«إنه فتى طيب، تمنيت أن ألتقي بكما في ظروفٍ أخرى».

«نحن في هذا معاً».

«لا يا دوريان، لا نريدك أن تتورط».

هز رأسه بمرح:

«يبدو أن ذلك اليوم في الزقاق لم يعلمنا شيئاً».

قطع حديثهما إيثنان، الذي رفع جسده معتدلاً:

«واضح أننا بارعون في إعادة إنتاج نفس الكارثة بشكل احترافي».

ضحكوا جميعاً وقرروا تناول الطعام في المطبخ، بينما كانوا يتكلمون عن مغامرات الطفولة، ولسبب ما تحولت نبرة د. نورة إلى الجدية، وكأنها تذكرت شيئاً:

«ما زلت أجد صعوبة في فهم كيفية عمل تلك الكيانات، ومن أين أتت... أعني ذلك الكيان الذي يلاحق إيثان، الذي تسبب في انهيار الهرم».

حدّق دوريان فيها للحظات قبل أن يقف ويجلب حاسبه المحمول:

«هناك تسجيل أردت أن أريكما إياه».

فتح حاسبه وبدأ ينقر على لوحة المفاتيح حتى شعرت د. نورة بالدوار من سرعة أصابعه.

وبعد دقيقة أو نحوها، عُرض مقطع فيديو على شاشة حاسبه، كانت ألوانه غريبة، ويبدو أنه مصور على ارتفاع كبير فوق هرم. ظهرت نقطة صغيرة بلون أصفر غامق على الهرم، وأخذ لونها يتغير إلى الأحمر الغامق، ثم، وبشكل من الأشكال، اختفت وبدأ مكانها انهيار طفيف في الهرم.

ظلت الشاشة مضاءة بينما لم يجرؤ أحد على التعليق. في البداية لم تفهم د. نورة مغزى الفيديو، وطلبت إعادة عرضه. وبعد مشاهدته للمرة الثانية، قال دوريان:

«إدّا، ما رأيكما؟»

أجابه إيثان بثقة: «إنه تصوير حراري من قمر صناعي».

د. نورة: «نعم، ولكن كيف ارتفعت الحرارة هناك إلى تلك الدرجة الكبيرة؟»

دوريان: «هذا الفيديو حصلت عليه من الشبكة المظلمة يوم الانهيار... انظروا إلى ما كتب البعض عنه».

«البيانات تشير إلى تفريغ طاقي لحظي، لكنه غير مستقر ولا يمكن تثبيته... قد يكون تفاعلاً بين المجال

المغناطيسي الأرضي وتكوينات معدنية تحت الهرم».

أردفت د. نورة: «ولكن لا توجد تكوينات معدنية بكميات تسمح بمثل ذلك التأثير تحت الهرم، تم التأكد من ذلك باستخدام التصوير المغناطيسي».

شعر إيثان أنه في حاجة لينفرد بنفسه، فراح ينزل الدرج إلى الحمام، لحقه نوكس بخطوات هادئة، وهو يموء بنعومة.

«هيه، ثرين...»

«أعلم ما تريد السؤال عنه... لا أملك جواباً».

«ولكن كيف تعبر الأجسام الصلبة؟»

«البشر يطلقون عليه الإسقاط النجمي... لكن ما حدث داخل الهرم كان شيئاً آخر تماماً».

أيقن أن هذا الحديث يجب الخوض به لاحقاً، وتنهّد. حينها تذكر أنه لم يخبر إيف بعد بتغيير رقمه، وراح ينقر هاتفه ليرسل رسالة لها:

«هيه... أنا إيثان، متى نلتقي؟ أريد أن أعرف ما أردت إخباري به»

عاد إلى أعلى الدرج، وأدرك أن د. نورة ودوريان ما زالا يناقشان الاحتمالات الممكنة لما حدث، لكن كل تفسير كان يبدو ناقصًا بطريقة مزعجة.

وعندما وصل إلى الداخل، خطرت له فكرة. استغرب أنها استغرقت كل ذلك الوقت ليفكر بها:

«ماذا لو كانت تلك بلازما، وليس تأثير تكوينات معدنية؟»

التفت كل منهما نحوه دون إجابة، يتابعان ما يقوله باهتمام. تابع إيثنان:

«أعني أن البلازما هي الحالة الرابعة من المادة، ليست صلبة أو سائلة أو حتى غازية... وينتج عنها طاقة حرارية شديدة».

انحنى د. نورة للأمام قليلاً، وفي عينيها نظرة دهشة ممزوجة بالاستحسان.

علّق دوريان على ذلك بمزاح:

«نعم، مظهره لا يدل على أنه ملّم بأي شيء».

ثرين: «يبدو أن صديقك يشعر بالاستياء، لأنك أخذت الأضواء منه».

اهتز جيب إيثنان معلناً وصول رسالة، سحبه بسرعة وقرأ رسالة إيف، كأنها قطعت النقاش قبل أن يبدأ:

«الساعة الرابعة في مقهى Glass Knife».

توقف لحظة، كأنه يختار كلماته بدقة:

«يجب أن أخرج... هل أخفيت أثري في الشبكة؟»

«نعم، فعلت...» ثم أضاف بثقة، وهو يبتسم بمكر، مما جعل إيثنان يكاد يسقط هاتفه وهو يتجه إلى الباب:

«أبلغ إيف تحياتي».

ولكن د. نورة أوقفته، وفي صوتها قلق واضح:

«هل أنت متأكد مما تفعله يا إيثنان؟ قد تعرضها للخطر».

كان يعلم أنها محقة، ولكن لم يستطع منع نفسه من الذهاب ولقاء إيف، وكأنه موقن أنها منخرطة في هذا الشيء مثلهم تماماً.

قفز نوكس إلى كتفه، قبل أن يخرج وودعهما. عندها سمع صوت د. نورة وهي تكلم دوريان خلف الباب:

«هذا القط يتبعه في كل مكان».

مضى إيثنان يمشي باتجاه الشارع، وكل خطوة يأخذها كانت تقلل من فرص التراجع. استقل سيارة أجرة،

وما زالت الساعة الثالثة والنصف، لكنه قرر الذهاب قبل الرابعة حتى يتأكد من أمان المكان مع ثرين.

«إذاً موعدك الثاني... أرجو ألا تفقد الأمور».

«وأنا أرجو أن تتأكد من أننا بأمان».

«لا أعلم، لم تشتكي؟ لديك نوكس، أنا، ودوريان».

عند مقهى Glass Knife. لم يخفّ توتره عند النزول من السيارة، بل بقي معه كظلّ مألوف.

أخذ يتلفت حوله، كأنه يستعدّ لأي محاولة اغتيال أخرى، مما جعل ثرين يقول بانزعاج:

«هل يمكنك أن تهدأ قليلاً؟ لا أحد هنا مثير للريبة هنا».

دخل المقهى بخطوات حاول أن يجعلها متزنة، لكن نوكس الجالس فوق كتفه تكفل بجذب أنظار الجميع.

أسرع باتجاه طاولة في ركن الزاوية البعيد، وهو يتمنى أن يكون المقهى متسامحاً مع فكرة وجود حيوان أليف داخله.

وبعد مرور دقائق من التحديق المستمر ناحيته، مع الهمسات الضاحكة، ارتأى أن يضع نوكس على ركبتيه بدل كتفه.

مرت نسمة باردة من خلفه. لم يلتفت فوراً، بل شعر بدخولها قبل أن يراها. دخلت إيف، التي أخذت تقترب وهي تبسم بإشراق.

«مرحباً...»

«أهلاً...»

لاحظت نوكس الجالس في حضن إيثان، وارتسم على وجهها تعبير من التسلية:

«هل تأخذه معك إلى كل الأماكن؟»

حكّ إيثان مؤخرة رأسه، وهو يحاول أن يأتي بعذر يقوله لها:

«هو من يلاحقني في كل مكان!»

«يبدو أنه متعلق بك بطريقة ما».

«لا أعلم، ربما... إذًا، كيف حالك؟»

«أبدو أفضل من حالك بكل تأكيد»، قالتها وهي تشير إلى الهالات السوداء التي بدأت بالتشكل تحت عينيه.

«هل يمكن أن تخبريني بذلك الشيء الذي أردت إخباري به؟»

تفادت إيف نظراته كعادتها في كل مرة ترتبك:

«ولم العجلة؟»

وبينما كانا يتكلمان، انسل نوكس إلى الطاولة حيث وضعت إيف حقيبتها، التي ظهر منها جزء من دفتر

ملاحظات. تحرك بهدوء يكاد لا يلاحظ وسط انشغالهما بالكلام.

مدّ نوكس كفه يعبث بحقيبتها على حافة الطاولة، فانقلبت في ثانية واحدة، وأفرغت محتوياتها على

الأرض:

«نوكس، أيها المشاكس».

نزل إيثان مع إيف يساعدها في جمع محتويات حقيبتها. أثار ذلك ضحك شاب وفتاة جلسا بالقرب منهما، وهما ينظران إلى نوكس الذي لم يبدو عليه أي شعور بالذنب. استغرب إيثان وجود دفتر ملاحظات في حقيبتها، فقد كان اليوم هو السبت، عطلة نهاية الأسبوع. التقطه من الأرض وهي تجمع حاجياتها وفتحه يقرأ.

وقعت عينه على سطر مكتوب:

«اعثر على العين يا أزرافيل».

بقي محدقًا في الكلمات، وكأنها بدأت تتخذ معنى أكثر رعبًا مع كل ثانية. عندها انتبهت إيف إليه ممسكًا بدفترها، فسحبته ووضعته على الطاولة. لم يستطع العودة إلى مقعده. تجمّد في مكانه، وكأن الرسالة لم تُقرأ بعينه فقط، بل انغrust مباشرة في صدره. «هل أنت بخير؟» سأله إيف، وهي تنظر في عينيه اللتين تشيان بتوتره الواضح. عندها انطلق صوت ثرين ليعيده إلى الواقع: «ربما يجب أن تجلس».

استعاد إيثان نفسه، وجلس يحاول أن يبدو طبيعيًا:

«هل هذا هو الدفتر الذي تسجلين فيه أحلامك؟»

«نعم، هذا في الحقيقة ما أردت إخبارك عنه».

أخبرته إيف بكل شيء، حادث الغرق ورؤيتها لبعض الأشياء الغريبة في أحلامها. ومن شدة انغماسهما في التكلّم عن الأمر، لم يشعرا بمضيّ الوقت.

عندما روت آخر حلم راودها، احتاج إلى قوة تكاد تكون غير بشرية ليُبقى ملامحه ساكنة، بينما كانت تتحدث عن أزرافيل. أيقن أن هذا هو الكيان الذي يلاحقه، ولكن كيف؟ ولماذا إيف قادرة على معرفة كل ذلك داخل أحلامها؟

قطعت سلسلة أفكاره بسؤالها: «إدّا، ما رأيك؟»

كذب إيثان، فقد أدرك أن إيف أفصحت عن كل ذلك لأنها تدرك أنه يخفي شيئًا:

«لا أعلم... تبدو كأحلام غريبة يمكن لأي أحد أن يراها».

لم يعرف ما يجب إخبارها به. كان يريد التحدث إلى ثرين أكثر من أي شيء آخر الآن.

بان بعض الانزعاج في عينيها الخضراوين، وراحت تتفحصه بتركيز شديد:

«حسنًا، ربما تكون على حق».

خالجته رغبة بالفرار من نظراتها، فاتجه إلى منصة عرض الشطائر ليشتري بعضًا منها. انهالت أفكاره داخل عقله دفعة واحدة:

«ما الذي يحدث بحق الجحيم يا ثرين؟ من هذه الفتاة؟ ولماذا هي قادرة على معرفة كل ذلك؟ لماذا يراودني شعور أنك أنت من حبسنا داخل الهرم؟»

«إيثان، إيثان، إيثان... اهدأ... سأقول لك كل شيء أثناء عودتنا».

عاد إيثان ومعه الشطائر إلى الطاولة بابتسامة غير مقنعة، وسألها:

«إدًا، هذا ما كان والداك يخفيانه؟ الرحلة التي كدت أن تغرق فيها».

زمت إيف شفيتها بامتعاض:

«نعم، إنه موضوع حساس نوعًا ما»، ثم أردفت: «ولكن لا أمانع مناقشة الأمر معك».

همس ثرين كعادته داخل رأس إيثان:

«أنا لا أستطيع قراءة أفكارها، لكن من الواضح أنها تتلاعب بك حتى تقول كل ما تخفيه عنها».

أجابها إيثان، متجاهلاً تعليق ثرين الأخير:

«لم لا... إن كنت بحاجة للتحدث عن الأمر».

ثرين: «يا لك من أحمق».

إيف: «لا أعرف كيف أضع الأمر في كلمات... لكن لحظة العرق بدت مألوفة بشكل مخيف، كأنني أعيش نسخة أخرى من ذكرى دفنتها داخلي».

تابعت بصوت مختلج: «شعرت بأني أموت... مجددًا».

في الطابق العلوي من فندق فولكوف، لم تُفتح الستائر منذ الليلة الماضية.

ظلت القاعة غارقة في عتمة رمادية خانقة، لا يقطعها سوى وهج الشاشات الباهت وانعكاس أضواء المدينة المتسللة من حواف الزجاج.

الطاولات الطويلة امتلأت بأعقاب سجاجير متراكمة، كؤوس نصف ممتلئة، وأسلاك متشابكة تمتد بين أجهزة إلكترونية لم تتوقف عن العمل طوال الليل.

كانت رائحة الدخان والقهوة الباردة عالقة في الهواء، حتى بدت القاعة وكأنها لم تتنفس منذ ساعات.

لم يكن هناك سوى شخص واحد.

جلس أليكسي أمام حاسبه المحمول منذ الليلة الماضية دون أن يترك مقعده إلا نادرًا.

عيناه المحمرتان تتحركان بسرعة بين النوافذ والملفات، بينما أخذت أصابعه تنقر الطاولة كل بضع ثوانٍ بعصبية لا إرادية.

بعد اجتماع الأمس، حين أعلن فولكوف أن مهمتهم التالية هي البحث عن «عين ماعت»، لم يفهم معظم رجاله سبب هوسه بإيثان.

بعضهم ظنّ أن الأمر لا يتجاوز رغبةً مريضةً بالانتقام، بينما اعتقد آخرون أن فولكوف يسعى وراء القوة التي يمتلكها إيثان.

أما لوشيان، فلم يقل شيئاً تقريباً.

اكتفى بإيماءة صامتة قبل أن يغادر القاعة بهدوء أثار انزعاج البعض أكثر من أي اعتراضٍ مباشر. انفتح الباب فجأة.

دخل فولكوف بخطوات سريعة متوترة، خلع قفازه الجلدي وهو يتقدم نحو الطاولة، ثم جلس إلى جانب أليكسي بخشونة جعلت الكأس القريبة تهتز فوق السطح الزجاجي.

مرر يده على وجهه بارهاق قبل أن يقول:

«أليكسي... هل عثرت على شيء؟»

لم يرفع أليكسي عينيه عن الشاشة فوراً. ظلّ يحدق لثوانٍ، ثم شدّ فكه وقال:

«ليس بعد... لكن يبدو أن إيثان ونورة أخفيا أثرهما جيداً. لم أعد قادراً على تتبعهما».

انقبض فكّ فولكوف للحظة، ثم مال نحوه.

«هذا لا يهم الآن... أريد أن أعرف ما هي عين ماعت. هل بحثت بالأمر؟»

تنهد أليكسي وهو يفرك عينيه المرهقتين بأصابعه:

«أجريت عدة اتصالات مع جامعي تحف مصرية وعلماء آثار... وكلهم قالوا الشيء نفسه».

رفع فولكوف نظره نحوه بحدة:

«وماذا قالوا؟»

تردد أليكسي لثانية، ثم قال:

«قالوا إنه لا وجود لشيء يُدعى عين ماعت... ماعت إلهة الحقيقة، ويرمز لها بريشة نعامة».

ابتلع أليكسي ريقه وهو يمرر عدة صور وملفات أمامه.

«في المعتقدات المصرية القديمة... كان هناك طقس يُعرف بوزن القلب».

تابع أليكسي بصوتٍ أكثر هدوءً:

«كانوا يؤمنون أن روح الميت تُقاد بعد الموت إلى قاعة تُدعى قاعة الحقيقة. هناك يوضع قلبه في كفة

ميزان... وفي الكفة الأخرى توضع ريشة ماعت».

أخذ أليكسي نفساً قصيراً قبل أن يكمل:

«إذا كان القلب أخف من الريشة، فهذا يعني أن صاحبه عاش دون فساد أو كذب... فيُسمح له بالعبور».

«وإن لم يكن كذلك؟»

ترددت أصابع أليكسي فوق لوحة المفاتيح للحظة.

«كانوا يعتقدون أن الروح ثلثهم».

تمدد الصمت داخل القاعة، بينما بقي وهج الشاشة ينعكس فوق وجه فولكوف الجامد.

زفر بصوت مسموع:

«حسنًا، تابع البحث حتى تعثر على خيط».

أوما أليكسي بدون أن يتكلم، وتابع العمل على حاسبه، بينما غادر فولكوف تاركًا الباب يرتجّ خلفه.

الفصل الثامن

غادر إيثان المقهى بعدما تلقت إيف مكالمته من والديها. لم يخفف ذلك من غرابة الحديث السابق بينهما، بل على العكس، لم يترك مجالاً لأي منهما في مناقشة الأمر وفهمه بشكل أفضل. انزلق داخل سيارة أجرة مع نوكس، الذي تمدد فوق المقعد بلا اكتراث، يلحق كفه بكسل تام، وكأن شيئاً لم يحدث.

لكن شيئاً حدث بالفعل.

شيء لم يستطع إيثان طرده من رأسه منذ أن قرأ تلك الجملة داخل دفتر إيف. «اعثر على العين يا أزرافيل».

لم تكن مجرد كلمات. بل بدا الأمر وكأن شخصاً ما طرق باباً مغلقاً داخل روحه... باباً لم يكن يعلم أصلاً بوجوده.

«الآن يمكنك أن تبدأ بالكلام»، قالها أخيراً في رأسه.

تنهد ثرين بصوت اختلط فيه التوتر والإنهاك:

«المشكلة يا إيثان... أنني لا أعرف من أين يجب أن أبدأ».

«من هذه الفتاة؟ ولماذا هي قادرة على معرفة كل ذلك؟»

«لا أعلم السبب بالتحديد، ولكنها تحمل قوة مميزة... فعلت كل ما بوسعي حتى أجعلك تلتقي بها».

«لماذا؟»

«لديك مهمة الآن، عليك أن تتقرب منها... إنها المفتاح لمعرفة تحركات أزرافيل وسيده».

«نعم، تقصد علي أن أستغلها، وأتلاعب بمشاعرها وأعرضها للخطر، من أجل أن تنجح في انتقامك».

«أجل، هذا يختصر الأمر بسهولة».

«أخشى أنك اخترت الشخص الخطأ يا ثرين... أنا لا أريد مساعدتك بعد الآن. لا أهتم إن كنا داخل محاكاة

أو سجن، ورغم كرهى الشديد لهذا العالم، اعثر على شخص آخر للقتال في حربك».

«يبدو أنك لا تفهم ما يحدث هنا».

«لا أريد الفهم... لن أستغل مشاعر فتاة بريئة من أجل أي شيء».

سكت ثرين قليلاً قبل أن يهمس ببرود:

«أنت أحمق».

لم يتبادلا أي كلمة حتى نهاية الطريق.

من الواضح أن ثرين تعدى خطأ غير مرئي، رسمه إيثان لنفسه.

وصلت سيارة الأجرة إلى زقاق منزل دوريان، خرج إيثان يمشي باتجاه الباب وإلى جانبه نوكس، عندما قال ثرين بدون سابق إنذار، والسخط يملأ صوته:

«أتعلم ما يثير اشمئزازي؟»

توقف إيثان في منتصف الزقاق، ينتظر ما سيقوله ثرين، قبل أن ينفجر داخل رأسه كأنه قنبلة موقوتة: «أنا لا أفهم... لم تمنع سرقة فولكوف وما فعلناه برجاله، لم تمنع أنني استحوذت على شخص ليقوم بحادث سيارة حتى أمنع محاولة اغتيالك... ولكن الآن أنت قلق على مشاعر فتاة سخيفة».

كوّر إيثان يده بقوة، وكأنه يحاول خنق الصوت الذي يتردد في رأسه، وقال:

«لا يهمني ما يثير اشمئزازك، لا تتصنع الفضيلة، أنا لم أدفعك للقيام بأي من هذا...»

أكمل إيثان طريقه باتجاه الباب وطرقه بوجه محتقن.

فُتح الباب، متيحاً له الدخول، ومن شدة غضبه، كان على وشك إغلاق الباب قبل أن ينسل نوكس عبره.

نزل دوريان ود. نورة الدرج بعجل، ولاحظا اشتعال ملامح إيثان الذي أخفق في إخفائها أمامهما.

حاول دوريان المزاح:

«موعد سيئ؟»

لم يجب، ومع كل ثانية تمر أخذ وجهه يتوهج باحمرار شديد.

قالت د. نورة بلطف:

«هل أنت بخير يا إيثان؟»

أجابها إيثان بصوت جاهد بجعله هادئاً:

«لا أعتقد أنني بخير يا دكتورة».

«ماذا حدث؟ هل إيف بخير؟»

«نعم، إنها بخير، ولكن...»

«ماذا؟»

روى إيثان لهما كل ما حدث معه عن دفتر الأحلام الخاص بإيف، وكيف أنها تعرف أشياء من المفترض ألا تعرفها.

وعندما أخبرهما بما أراده ثرين، قاطعته د. نورة: «قلت لك يا إيثان، لا يمكنك أن تثق به».

«نعم، لقد... كنت محقة».

وفي خضم حديثهما عن ثرين، تحدث دوريان بنبرة غير متأكدة، وهو يحك رأسه:

«أرجوكم لا تفهما ذلك على أنني آخذ صفه، ولكن... ثرين محق في شيء هنا».

استدارا معاً يحدقانه بنظرة باردة، رغم ذلك أكمل دوريان:

«نحن في مواجهة كيان لا نعلم أي شيء عنه أو عن القوانين التي تحكمه... وإيف هي الشخص الوحيد الذي يستطيع مراقبته بدون أن يعرف...»

لم يجب أي منهما، ولكن انحسرت ملامح البرود قليلاً على وجهيهما وهما يستمعان إليه.
«أعني أنها كالجاسوس لدينا، ولكنها لا تعلم أن كل ما يحدث حقيقي... تخيلاً معي لو كانت قادرة على تدريب تلك المهارة، ذلك سيساعدنا كثيراً».
قاطعت د. نورة:

«ولم نحن في مواجهة ذلك الكيان؟... لا أحد هنا يريد نهاية العالم على افتراض أنه محاكاة ما».
«لم أقل أننا نريد ذلك... ولكن أزرافيل يلاحق إيثان في كل الأحوال... أعني أنه يجب أن نفهم ما نتعامل معه هنا».

نطق إيثان أخيراً: «أنا أسف بشدة، لم أرد لأي منكما أن يقع في المشاكل. دوريان، هل تستطيع تأمين تذكرة طائرة وجواز سفر خاص للدكتورة؟ يجب أن ترجع...»
نورة: «ما الذي تتحدث عنه يا إيثان... أنا لم أفكر بتلك الطريقة، ولكن...»
صمتت للحظة، وكأنها تقلب الأمور في ذهنها، ثم أكملت:
«لا أريد لذلك الشيء أن يدمر الآثار، أنا هنا لإيقافه».

دوريان: «إيف متورطة بهذا الشيء كأي أحد منا... إن فكرتما بالأمر ملياً، هي تستحق أن تعرف كل ما يحدث. قد تكون في خطر إن اكتشف أزرافيل أنها تستطيع التجسس عليه».
خبط إيثان جبهته. كيف لم يفكر بذلك؟ كم كان أحمقاً! ربما ستكون إيف في خطر إن اكتشف أزرافيل أو سيده ما يستطيع القيام به.

ضحك ثرين بخبث:

«لا تملك أي خيار آخر...».

كانت الساعة تقترب من الساعة مساءً.

جلست إيف فوق سريرها، تسند ظهرها إلى الحائط، بينما استقر الحاسب المحمول فوق ساقها. لم تكن غرفتها مضاءة إلا بمصباح صغير قرب النافذة، مما جعل وهج الشاشة يبدو أكثر سطوعاً وسط العتمة.

على الشاشة، كانت نشرة إخبارية تعرض صورًا جديدة لانهيال الهرم.
تبدلت اللقطات بين فرق التنقيب، وأكوام الحجارة المتناثرة، وصور جوية للموقع المحاط بالحواجز
الأمنية.

تحدث المذيع بصوت جاد:
«ما زالت السلطات المصرية ترفض إصدار تفسير رسمي لما حدث داخل الهرم، بينما تستمر فرق
الخبراء بدراسة أسباب الانهيار المفاجئ...»
خفضت إيف الصوت قليلًا.
منذ عودتها من لقائها مع إيثان، لم تستطع إخراج الموضوع من رأسها.

الهرم.

الأحلام.

أزرافيل.

كلما حاولت إقناع نفسها بأن ما رأيته مجرد مصادفات، ظهر شيء جديد يجعل الأمر أكثر غرابة.
صدر صوت إشعار من حاسبها.
التفتت إليه دون اهتمام في البداية. كانت رسالة مجهولة.
عقدت حاجبها.
لم يكن هناك اسم مرسل.
ولا عنوان بريد إلكتروني واضح.
فقط ملف مرفق.
ترددت للحظة قبل أن تضغط عليه، فبدأ الفيديو بالعمل.
تجمدت ملامحها فورًا.
كان إيثان.
ظهر داخل جناح فندق فاخر، محاطًا برجال ضخام الجثة يرتدون بذلاتٍ فاخرة.
في البداية ظننت أن إيثان واقع في مشكلة حقيقية.
لكن مع مرور الثواني، بدأت تشعر بشيء بارد يتسلل إلى معدتها.
رجل يسقط فجأة.

ثم آخر.

دون أن يلمسه إيثنان.

أعادت المقطع مرة ثانية.

ثم الثالثة.

وفي كل مرة كانت تزداد يقيناً أن ما تراه غير منطقي.

انتهى الفيديو.

وصل إيميل جديد من نفس المرسل:

«إن كنتِ تريدين معرفة الحقيقة...»

تعالى وحدك.

إلى العنوان:

Winter Park Storage District

Building C

Unit 17

Winter Park, Florida

وتحت العنوان مباشرة:

«هو ليس كما تعتقدين».

دخلت الكلمات إلى ذهنها، ثم توقفت هناك، كأنها اصطدمت بجدار لا يمكنها تجاوزه.

مدّت يدها نحو هاتفها، غير متأكدة مما يجب فعله.

أول ما خطر في ذهنها كان الاتصال بإيثنان، لكن أصابعها توقفت فوق الشاشة.

إذا كان ما شاهدته حقيقياً...

فربما كان هذا الشخص يعرف شيئاً لا يريد إيثنان أن تعرفه.

فتحت الخريطة على هاتفها. ظهر العنوان في منطقة صناعية بعيدة نسبياً عن وسط المدينة. ظلت تحقق

فيه لثوانٍ طويلة. كان بإمكانها حذف الرسالة الآن وإنهاء الأمر كله... لكنها لم تستطع، وبقيت تحقق نحو

النافذة المظلمة بينما كان القرار يتشكل داخلها شيئاً فشيئاً.

أغلقت الحاسب بسرعة. أخبرها حدسها أن تتجاهل الرسالة وتحذفها، لكن الفضول كان أكثر إقناعاً من

الحذر هذه المرة.

بدلت ملابسها ونزلت الدرج.

«أمي، أبي، سأخرج قليلاً».

لم تنتظر حتى تسمع ردهما، انطلقت إلى أقرب سيارة أجرة على الشارع المقابل وانزلت داخلها. انعكست أضواء الشوارع على زجاج النافذة كأنها تتلاشى خلفها دون عودة. مرّت إشارة مرور ثم أخرى، وكأن الطريق يختبر صبرها عمداً.

وأخيراً وصلت إلى العنوان وترجّلت من السيارة بتردد.

أخذت تنظر، تتأكد إن كان هو المبنى الصحيح، ولثانية فكرت بالعودة لمنزلها ونسيان الأمر، لكن ببساطة كان هذا الأمر ينهش تفكيرها.

تقدّمت بخطوات هادئة إلى الباب الخلفي للمبنى، ذو لون أسود ومكتوب عليه Unit 17.

استنشقت نفساً عميقاً ليملاً صدرها، ثم دقت الباب ثلاث مرات.

فكرت في نفسها:

«ما الذي أفعله هنا؟»

ماذا لو كان الفيديو مزيقاً؟ ربما يكون فخاً لابتزاز إيثان...

سمعت خطوات بطيئة تقترب من الباب. كاد قلبها أن يخرج من أضلاعها عندما انفتح، ليكشف عن رجل ثلاثيني، ذو ملامح هادئة ونظرة ثاقبة، يرتدي معطفاً أسود:

«كنت أعلم أنك ستأتين... من هنا».

أزاح جسده، ليتيح لها الدخول، لكنها وقفت ساكنة تحديقاً به للحظات قبل أن تقول:

«من أنت؟»

ظل واقفاً مكانه بدون إجابة أو حركة، ينتظر دخولها، وعيناه الرماديتان ثابتتين بصورة مزعجة، كأنهما تدرسانها أكثر مما تتظران إليها.

«كيف تعرف إيثان؟»

«أخشى أننا لا يمكننا الخوض في هذا النقاش هنا».

لم تكن إيف متأكدة مما تفعله، ولكن فضولها قتلها، فعقدت عزمها لتعرف ما يخفيه هذا الرجل عن صديقها.

مشّت إلى داخل مستودع المشروبات الغازية... صار الهواء بارداً بعدما أغلق الباب، وشمّت رائحة بلاستيك قديم ومشروبات منسكبة على الأرض.

كان المكان هادئاً بشكل مريب. لمحت في زاوية قريبة طاولة عليها حاسب محمول وكرسيين بجانبها.

أشار الرجل إلى أحد الكراسي: «تفضلي بالجلوس».

دوى صوت معدن يتحرك في مكان بعيد داخل المستودع، جعلها تلتفت بسرعة ناحيته، ولكنها لم تر شيئاً.

جلست إيف، وجلس مقابلها لوشيان وهو يتحدث:
«أرجو أن تستمعي إلى كل شيء، قبل أن تقرري الرحيل... أو البقاء».
أومأت إيف موافقة على كلامه، وكأنهما يعقدان صفقة من نوع ما.
ضم لوشيان كلتا يديه وبدأ بالكلام. لم يكن يتحدث كمن يروي نظرية أو شائعة سمعها من مكان ما، بل
كمن يعرض حقائق رتبها بعناية.
بعد عدة دقائق، اتسعت عيناها تدريجيًا.
في البداية ظننت أنه يكذب.
ثم ارتسمت ملامح الصدمة على وجهها، حتى أنها استقامت وكانت على وشك الخروج وهي تمشي إلى
الباب.
لكنه قال لها شيئًا جعلها تتوقف وتستدير ناحيته. تبادلًا لحظة من الصمت جعلتها تغير رأيها وترجع إلى
الجلوس مقابله بحذر.

خفت حدة النقاش أخيرًا في مخبأ دوريان، لكن ذلك لم يجلب الراحة لأحد.
جلس إيثان فوق الأريكة مطرقًا رأسه، بينما تمدد نوكس بالقرب من المدفأة، وكأنه المخلوق الوحيد في
الغرفة الذي لا يحمل همًا في هذا العالم.
صدر اهتزاز مفاجئ من هاتف إيثان.
أخرج الهاتف دون اهتمام حقيقي، لكن ما إن وقعت عيناه على الشاشة حتى اعتدل في جلسته فورًا.
إيف.
كانت رسالة جديدة من رقمها.
شعر بشيء من الارتياح للحظة، ربما أرادت الحديث عما حدث في المقهى.
واختفى ذلك الارتياح بالكامل، واستبدله شحوب شديد في وجهه.

لم تحتو الرسالة سوى على سطرين:

«إن كنت تريد رؤيتها مجددًا...

تعال وحدك».

تحتها مباشرة ظهر عنوان لم يعرفه:

Winter Park Storage District

Building C

Unit 17

ظلّ يحدق في الكلمات لعدة ثوانٍ دون أن يرمش، ثم ظهر إشعار جديد.
صورة.

ضغط عليها، فتجمد الدم في عروقه.

كانت إيف، تجلس فوق كرسي معدني داخل مكان مظلم.

يذاها مقيدتان خلف ظهرها، وشريط أسود يحيط بمعصميهما.

لم يكن واضحًا إن كانت فاقدة للوعي أم لا.

لكن شيئًا واحدًا كان واضحًا تمامًا.

هذه لم تكن مزحة.

رفع رأسه وعينه تشعلان بهيجان. حينها لاحظ دوريان ود. نورة التغير الفوري في ملامحه.

«إيثان؟»

لم يجب، كأنّ عقله يرفض تصديق ما يراه.

أما ثرين، فقد كانت نبرته ساخطة على غير عادته: «أترى ما يحدث عندما لا تستمع إلي؟»

ثم وصل إشعار أخير.

رسالة قصيرة أخرى، هذه المرة كانت أبسط من سابقتها.

وأخطر بكثير.

«أمامك ساعة واحدة».

اشتدّت عضلات فكه حتى برزت عظامه، بينما راحت عيناه تبحثان بجنون عن أي حل. ونهض دفعة

واحدة حتى كاد يسقط الكرسي خلفه.

اقترب دوريان بسرعة منه، وهو ينتزع هاتفه المحمول من يده:

«إيثان... ماذا حدث؟»

لم يستغرق من دوريان بضع لحظات حتى فهم ما يحدث، ناول الهاتف للدكتورة وانطلق يجلب حاسبه المحمول.

وبينما كان إيثان يتجه نحو الباب، أوقفته بتروّ، بالرغم من أمارات الرعب التي ظهرت على وجهها:

«ماذا تظن نفسك فاعلاً؟»

أجاب إيثان بحق: «لقد أخذوا صديقتي».

«وهل ستندفع وحدك لإنقاذها؟ إنهم أشخاص خطرون».

ارتسمت في نظراته قسوة لم تعهدها د. نورة:

«لدي كيان يتلاعب بالبشر ويسمع كل ما يفكرون فيه».

وقبل أن يخرج أضاف:

«ولن أكرر أخطاء الماضي مجدداً، لن أبقى أحداً حياً بعد كل ذلك».

شهقت د. نورة، واتسعت عيناها بصدمة. لم تعرف أي الأمرين أقلقها أكثر: اختطاف إيف أم النبيرة التي خرجت بها كلمات إيثان.

فتح دوريان الحاسب بسرعة، وبدأ يتتبع مصدر الرسالة أولاً، قبل الانتقال إلى كاميرات المنطقة.

حاول أن يطمئنهما:

«لا تقلقي يا دكتورة، إنه غاضب فقط... دعينا نساعدته حتى لا يتعرض لأذى».

أومأت له: «كيف؟»

«حسناً... قبل أن يصل إيثان إلى هناك، يجب أن نراقب تسجيلات الكاميرات في هذه المنطقة...»

«لحسن الحظ، إنها منطقة غير مكتظة، سنستطيع كشف أي شيء بسرعة أكبر إذا زدنا سرعة العرض».

وبعد دقائق، سحب د. نورة يد دوريان في محاولة للفت انتباهه:

«كيف توقف هذا الشيء؟»

التفت إلى الشاشة أمامها، وأوقف عرض الشريط بعد أن لمح فتاة تنزل من سيارة الأجرة.

أعاد عرض الشريط بشكل أبطأ هذه المرة، وراقب إيف وهي تمشي بخطوات مترددة ناحية المبنى. يبدو

أنه تم استدراجها إلى هناك.

وفي الخارج، كان إيثان يسرع للعثور على سيارة أجرة، ولكن فجأة توقفت سيارة أمامه وفتح الباب.

قال ثرين في رأسه: «اركب».

من الواضح أن ثرين لا يريد تضيق الوقت أيضاً، فقد استحوذ على سائق السيارة.

ركب إيثان على الفور، وهو يفكر بكل الطرق الممكنة للاستطلاع وكيفية اقتحام المبنى.

تردد صوت ثرين في رأسه:

«أرى أنك تريد القتل الآن».

انتظر عدة لحظات قبل أن يتابع:

«هذا غريب...»

لم يتحمل إثان تهكمه وأجابه بحدة:

«وما الذي يهمك؟ ظننت أنك لا تبالي بأرواح البشر».

ضحك ثرين بقسوة: «نعم، ولكنني على الأقل لا ألتظاهر بأنني أفضل من ذلك».

طبق إثان أصابعه بقوة حتى آلمته راحته، ولكن ثرين لم يتوقف عن كلامه المستفز، كأنه يحاول أن يقول

له شيئاً لا يمكن أن يقال إلا في هذه اللحظة.

«هكذا يبدأ الأمر دائماً. قوانين وأخلاق ومبادئ. لكن عندما يؤخذ شخص عزيز عليك، تختفي كل تلك

الأشياء».

لم يكن إثان منتبهاً للطريق وهو ينظر إلى النافذة، فقد كان فورانه يزداد كل لحظة يستمع إلى كلام ثرين:

«ما الذي تريده مني؟»

رد ثرين بخفوت:

«أريدك أن تعرف من أنت حقاً».

لم يتكلم أيٌّ منهما لدقيقة، قبل أن يقول ثرين أخيراً:

«من يموت هنا سيولد من جديد... هنا».

كان لآخر كلمات قالها وقع شديد على إثان، حتى إنه نسي غضبه وقال:

«ما المفترض أن يعنيه كل هذا؟»

«يعني أنك تمنح الموت أهمية أكبر مما يستحق».

كاد إثان أن يسأله ويتابع الحديث الذي طالما أراد الخوض فيه مع ثرين، ولكن هاتفه رن في جيبه.

«ماذا؟»

تشوش صوت دوريان قليلاً من خلال الهاتف، إلا أنه كان قابلاً للفهم:

«لقد تأكدنا من وجود إيف هناك... لقد استدرجوها بطريقة ما».

«حسنًا... شكرًا».

«لكن لا أستطيع معرفة عدد الأشخاص في الداخل».

«لا يهم».

«أعلم أنك غاضب الآن، ولكن هذا الشيء الوحيد الذي يمكنهم من التغلب عليك رغم القوة التي تملكها...

لذا تصرف بحكمة».

«حسنًا، حسنًا».

أغلق هاتفه المحمول وأعادته إلى جيبه.

رغم صحة ومنطق كلام دوريان وتحليله الذكي للوضع، إلا أن إيثان لم يبال بأيٍّ من هذا، كان يريد فقط معاقبة كل شخص مسؤول عن فعل ذلك.

وبعد طول انتظار، وصل إيثان إلى أمام المبنى، وترجل من السيارة بهدوء.

«ثرين، أريد معرفة من في الداخل».

«لك ذلك».

استند إلى السيارة يفكر بايف، تأكله إحساس بالذنب بسبب جرها لهذه الأمور. كل ما حدث كان خطأه، كان يجب عليه ببساطة الابتعاد عنها.

عاد صوت ثرين إلى ذهنه:

«هناك شيء غريب يا إيثان»

رد إيثان بسرعة:

«هل هي بخير؟»

«إنها تتناول قطعة من الكيك وتشاهد فيديو سخيًّا على هاتفها».

«ماذا؟»

«هناك شخص آخر، ولكنه لا يبدو أنه يخيفها».

«ما الذي يفعلانه؟»

«جالسان بهدوء فقط... إنه نفس الشخص الذي حاول قتلك سابقًا».

جلس إيثان على حافة الرصيف، يتأمل قطعة من الورق تتدحرج بفعل الهواء. ما الذي يحدث؟ لم يكن أيُّ من هذا منطقيًّا بالنسبة له... صديقه مع الشخص الذي حاول قتله.

«هل يمكنك معرفة ما يفكر به؟»

«لا أستطيع ذلك، لم أستطع الاستحواذ عليه من قبل أيضًا».

«ما الذي يحدث هنا؟»

«لا أعلم، هذا مزعج بالفعل».

استقام إيثان. كان هناك أمر واضح يجب القيام به: التأكد من سلامة إيف وإخراجها من هنا، حتى لو كان سيواجه قاتلاً محترقًا وجهًا لوجه.

تردد صوت ثرين في رأسه بينما يقترب من الباب الخلفي بخطوات متهورة:

«هذا حمق، ما الذي تفعله؟»

«لا أستطيع الوقوف بهذا الشكل، أريد أن أعرف ماذا يحدث هنا».

«وأنا لا أستطيع تركك، تدخل وحدك مع هذا الشخص».

سمع صوت خطوات أقدام خلفه. كان سائق السيارة الذي استحوذ ثرين عليه يمشي باتجاهه بعينين خاليتين.

وصل السائق إلى إيثنان ودفعه من أمام الباب ليدخل أولاً. تبعه إيثنان بحذر ونظر حوله يتفحص المكان. كان مجرد مستودع للمشروبات الغازية، وفي زاوية بعيدة شخصان يجلسان على الطاولة. دقق إيثنان، فأتضح أنهما إيف ولوشيان. أخذ الثلاثة يتبادلون النظرات، وعمّ صمت غريب بينهم جميعاً، بينما كان السائق يحدق في الفراغ بكتفين مرتخيين وملامح جامدة. كسرت إيف الصمت:

«من هذا الرجل يا إيثنان؟»

«أعتقد أنه عليّ أن أطرح نفس السؤال عليك... إيف».

وأشار إلى لوشيان، يرمقه بنظرة كره شديد.

«هو من أراني من تكون... أيها الكاذب».

تابعت بصوت تخلله غضب مكتوم:

«لقد رأيت ما فعلته برجال صاحب الكازينو... حتى أنك سرقت ماله».

«ما حدث للهرم كان بسببك، كل ما فعلته يلاحقك... لا أعلم لم وثقت بك».

ردّ إيثنان بحق:

«لا، أنت لا تفهمين...»

«لا أريد فهم شيء، كل ما تقوله هو كذب... أنا لا أستطيع فهم ما تكون حتى».

تحدث ثرين في رأسه:

«لا أصدق أننا أتينا إلى هنا من أجل هذه الدراما».

كان لوشيان يجلس بجانبها وهو يضم يديه إلى صدره بهدوء. لمح إيثنان شبح ابتسامة على وجهه، وكأنه انتصر فيما يريد، قلب إيف ضده بدون أي سلاح أو مواجهة. تساءل من يكون هذا الشخص، وكيف كان قادراً على التلاعب بالأشخاص بتلك الطريقة.

«هيه، من أنت... وماذا تريد مني؟»

رفع لوشيان رأسه:

«كنت أريد مقابلتك والتحدث...»

استهزأ إيثنان بشكل واضح بكلامه:

«تريد التحدث بعدما حاولت قتلي؟»

وأخذ يضحك ضحكة خالية من المرح.

تشنجت إيف في مقعدها للحظة. يبدو أن لوشيان لم يفصح عن هذه المعلومة لها، وقال لها سريعًا:
«أنا آسف... أخفيت هذا لأنني أردت أن تتقي بي».

استقامت إيف وابتعدت عن الطاولة، ولكنها أبقت مسافة أيضًا بينها وبين إيثان وذلك الرجل الغريب الذي يقف بشكل محير.

ضحك ثرين:

«أعتقد أنها ستعاني من مشكلات في الثقة لزم من طويل بعد هذا».

أكمل لوشيان كلامه برزانة:

«لا نية لي بإيذاء أيٍّ منكما... أريد فقط منع فولكوف من الوصول للعين».

«أجل، ولكن أرى أنك تسعى للعين أكثر من أي أحد آخر... لدرجة أنك تتلاعب بفتاة بالكاد وصلت سن الرشد لتقابلني».

تدخلت إيف أخيرًا وهي تقول بضيق:

«اصمتا... يا إلهي، لا أفهم ما يحدث هنا».

عاد صوت ثرين، ولكن نبرته تغيرت بشكل كبير:

«إيثان، هناك مشكلة كبيرة...»

فكر إيثان:

«ماذا الآن؟»

«لقد نسينا نوكس في منزل دوريان».

«إذًا؟»

«غطاؤنا الوحيد ضد أزرافيل».

غاصت كلمات ثرين داخله وكأنها تطعنه في صدره.

«يجب أن نخرج من هنا... إنه قادم».

«ما الذي تعنيه؟... من؟»

أمعن لوشيان النظر ناحية إيثان، الذي بدا عليه الرعب الآن، مما جعله يصاب بالحيرة بسبب الخوف غير المنطقي الذي أصاب إيثان في هذه اللحظة.

أردف إيثان، يهمس وكأنه سيسمعه:

«أزرافيل...»

تغيرت ملامح وجه إيف كأنها تلقت صدمة قوية على وجهها. لاحظ لوشيان ذلك أيضًا واستقام يحاول أن يفهم... وكأنهما يعرفان شيئًا خطيرًا لا يعرفه هو... من أزرافيل؟ ما الذي يتحدثان عنه؟

بدأت درجة حرارة المكان ترتفع بشكل سريع، رغم أن المكيف الخاص بالمستودع كان يعمل.

«علينا أن نخرج حاليًا... أنتما لا تفهمان. سنتكلم فيما بعد».

قال لوشيان باستغراب، يمسح قطرة العرق من على جبهته:

«حسنًا، لنذهب إذًا».

بينما كان ثلاثتهم يخرجون من الباب، سمعوا صوتًا قويًا، وكأن إحدى قوارير المشروبات الغازية انفجرت من فرط الحرارة. وقبل أن يخرج إيثان، لمح يدًا طويلة شاحبة معلقة في الهواء، تزداد حجمًا كما لو كانت تخرج من العدم، فسقط قلبه عميقًا في صدره.
سمع ثرين يقول في رأسه:

«إيثان، سألقي هنا قليلًا... إنها الطريقة الوحيدة».

استقر كل منهم في مقعد داخل السيارة، ووصل إلى آذانهم صوت عالٍ غرس الرعب في أعماقهم:
«ثررين».

في تلك اللحظة، أدرك إيثان أنه عالق في مأزق لا مخرج واضح له.
لم يحتج لوشيان أكثر من عدة ثوانٍ حتى يشغل محرك السيارة وينطلق بها مسرعًا على الطريق.
أخذ يردد في ذهنه وهو يضع يديه على رأسه:
«ثررين... ثرين».

ولكن ثرين للمرة الأولى لم يجب إيثان.

في الجهة المقابلة من المدينة، جلس دوريان وإلى جانبه د. نورة يراقبان ما يحدث على الشاشات.
تمكن دوريان من اختراق الكاميرا الخاصة بالمستودع. كانت إيف مع رجل فقط هناك... ولم يوح المشهد بأي اختطاف.

عندها دخل إيثان مع شخص لم يعرفوه، كان يتصرف بشكل مريب. وبعدما سمعوا جدالهما الحامي، حدث شيء لم يتخيلوا أبدًا أن يشهده.

عقب خروج المجموعة من المكان، بدون ذلك الشخص الذي يتصرف بغرابة، بدأت قوارير المشروبات الغازية بالانفجار حوله.

ظهر ما بدا أنه يد طويلة شاحبة غير بشرية معلقة في الهواء، تكبر كل لحظة، وكأن شخصًا يولد من تلك البقعة في الهواء.

لم تتحمل د. نورة مشاهدة ما يحدث، وخرجت من الغرفة وهي تضع يدها على فمها، تاركة دوريان يتابع الشاشة مشدوهاً.

وبعد انتهاء مجريات الأمور على الشاشة، قرر دوريان حذف كل التسجيلات الخاصة بالمستودع والكاميرات الخاصة في الشارع، لكنه احتفظ بنسخة على حاسبه ليربها للمجموعة. دق الباب حينها. في الخارج كان إيثنان، إيف ولوشيان، جميعهم خارجاً يقفون وعليهم علامات الرعب. فتح لهم دوريان القفل الإلكتروني ليندفعوا إلى الداخل. ونزل ليقابلهم، التقى بالدكتورة نازلةً على الدرج، لكنها لم تنبس بحرف واحد، فقط تهبط الدرج وبالكاد قدماها تحملانها.

أخيراً التقوا جميعاً في الردهة أسفل الدرج وأخذوا يحدقون ببعضهم. كان واضحاً أن لا أحد منهم يريد الحديث، غير أن دوريان رأى أن يكسر هذا الصمت؛ فالشيء الذي على وشك أن يريهم إياه... ضرورة لابد منها.

«أرجو منكم جميعاً أن تتبعوني إلى الأعلى، بالأخص أنت يا إيثنان، عليك أن ترى هذا».

رفع إيثنان رأسه بعينين غائرتين ووجه شاحب، وأوماً له.

لم تكن إيف بحالة أفضل. قررت اللحاق به، الشخص الوحيد الذي تعرفه بين هذه المجموعة الغريبة. تبعهم لوشيان وهو يحاول فهم ما يحدث.

«وأنت أيضاً يا دكتورة... تتذكرين، نحن في هذا معاً».

استجمعت د. نورة شجاعته وصعدت تلحق بهم بدون كلام.

وصل إيثنان أولاً إلى آخر الدرج وفتح الباب، فقفز نوكس بين يديه وهو يتشمم رائحته. استرخى كتفاه المشدودان لحظتها وهو يجلس.

توزع الجميع للجلوس في أنحاء الغرفة وهم ينتظرون ما لدى دوريان ليقوله. جرّ الطاولة التي عليها حاسبه المحمول إلى المنتصف حتى يتسنى للجميع مشاهدته.

شغل مقطع فيديو وابتعد عن الشاشة. لم يكن هناك شيء جديد أول دقيقة، ولكن بعدها تحركت د. نورة وكأنها على وشك القفز، حين ظهرت هذه اليد في الهواء، أطرافها تنتهي بزوايا مستحيلة، كأن المفاصل مجرد خطأ متكرر.

شهقت إيف، حاولت فهم ما تراه أولاً... أفنعت نفسها أن الصورة مشوشة، ثم أدركت أنها ليست مشوشة، بل مستحيلة.

رؤية ذلك المشهد الذي تشكل فيه مخلوق وهو يخرج من الفراغ، يقف بطول يفوق المترين، كأن جسده لا ينتمي إلى مقياس البشر، بل إلى شيء أكبر وأقدم.

بنيتة قوية بشكل غير طبيعي، عضلاته لا تبدو مشدودة بل «مشكلة» بدقة مقلقة، كأنها صُقلت.

جلده كان هادئاً بشكل مزعج، بلا عيوب واضحة، وكأنه لا يعرف معنى الندوب أو الزمن.
من الواضح أن الجو في الغرفة تغير بشكل كبير، حتى أنفاسهم أصبحت مسموعة أكثر من اللازم. عندها
صدر صوت هادر من الشاشة:

«ثرين».

أكمل الكائن وهو يمشي بانسياب نحو الرجل الواقف الذي يبدو أنه لا يستوعب ما يحدث:
«هذا يكفي».

انطلق صوت آخر عميق وهادئ، يجتاحه الكره. علم إيثان أن هذا صوت ثرين:
«إذا قتلت هذا الشخص، ستفقد أثري حلاً».

توقف أزرافيل عن الاقتراب واستقر في مكانه.

«أنت تخدم الشخص الخطأ يا أزرافيل».

«سيد العوالم لا يُقاوم... بل يُستعاد إليه كل شيء».

بقيت الجملة معلقة في الغرفة أكثر مما ينبغي لها أن تبقى.

«غريب...»

تنحج السائق ورفع رأسه، يفتح فمه على مصراعيه كأنه يضحك.

«القوانين... لا تنطبق عليّ كما تظن».

للحظة، لم يعد أحد متأكداً إن كان ما يروونه ما يزال يحدث بالفعل.

«ماذا تريد يا ثرين؟»

ارتفع صوت ثرين، يغمره حقد قديم:

«الانتقام».

تابع وصوته يزداد قوة كل ثانية تمر:

«حامل الروحين قادم... جعلتُ الطريق ينحني له حتى يسير بلا مقاومة».

تجمّد المشهد على حافة شيء لا يمكن تفسيره. لم يجرؤ أحد على الحركة، وكأن أي صوت قد يستدعي
كارثة أخرى.

«وعندما يتحرر...»

ضحك أزرافيل بعنف هزّ جدران المستودع:

«كلام المهرطقين القداماء».

تلاشى صوت ثرين وهو يقول:

«إنه حتمي».

لم يعد هناك ما يُقال... وكأن الكلمات تفككت قبل أن تولد.

انهار السائق على الأرض بغير قوة. نظر أزرافيل إلى الجسد الضعيف أمامه كأنه يقرر ما يجب عليه فعله.

ثم استدار حوله وتلاشى في الفراغ.

ضافت عينا لوشيان وهو يراقب أزرافيل على الشاشة. كان معتادًا على تقييم الأشخاص خلال ثوانٍ:

الطول، البنية، طريقة الحركة، نقاط الضعف.

هذه المرة لم يجد شيئًا.

وصل مقطع الفيديو إلى نهايته. للمرة الأولى، لم يعد ما حدث مجرد فرضية يحاولون تفسيرها، بل حقيقة رأوها بأم أعينهم.

اتجهت أنظار الجميع إلى إيثان، وكأن هالة جديدة تشكلت حوله.

شعر بالضغط من نظرات المحيطين به، بالأخص إيف، مما جعله ينهض ويخرج من الغرفة غير متأكد من الشخص الذي يجب عليه أن يكونه بعد اليوم.

لم يتكلم أحد، وكأنهم ينتظرون أحدًا ليشرح لهم ما حدث في التو.

حتى صوت مروحة الحاسوب بدا مرتفعًا بصورة غير طبيعية.

رغم الرعب الذي شهده جميعًا منذ قليل، إلا أن د. نورة أصرت أن تعود إيف إلى منزلها. لم تكن تريد أن يقلق والداها عليها، قالت بصوت متحشرج:

«عليك العودة للمنزل يا عزيزتي».

لم تحتج إيف، ولكنها بقيت تنظر إلى الباب الذي خرج منه إيثان.

تطوع لوشيان لاصطحابها في سيارته، لكن لم يقبل أي منهم بذلك، مما جعل دوريان يرافقها:

«لا نستطيع أن ندعك تخرج من هنا. حاول أن تفعل شيئًا، وثرين سيتكفل بالباقي».

لم يكن دوريان متأكدًا إن كان سيعمل هذا التهديد ضد لوشيان أو لا.

ردّ عليه لوشيان، يفرد ذراعيه ببساطة:

«أنا أتفهم ذلك...»

تلفتت إيف حولها وكأنها تبحث عن شيء ما، قبل أن تخرج خلف دوريان.

في الغرفة العلوية، كان إيثان يراقب إيف وهي تركب السيارة. أخذ يفكر كم من الأشخاص جرّ معه إلى

هذا المأزق، وتمنى لو أنه لم يعرفهم أو يلتقيهم، ذلك سيكون أكثر أمانًا لهم.

بعدما تأكد من انطلاق السيارة، أسدل الستائر، وجلس على الأريكة يسند يديه على ركبتيه.

ما الذي يجب عليه فعله الآن؟ لا يستطيع سماع ثرين في أفكاره مرة أخرى.

هل حدث شيء له؟

كيف عليه أن يتابع الطريق الذي رسمه ثرين له بدونه؟

كل هذه الأسئلة تعجّ في رأسه، تحتاج إجابة.
لم هو بالذات؟... حامل الروحين.
حاول مرة أخرى أن ينادي ثرين في رأسه، وبعد عدة محاولات أطرق رأسه أرضاً.
«ألا يمكن أن أحصل على لحظة من الهدوء؟»
قفز إيثان من مكانه، لقد كان ثرين يتكلم مجدداً في رأسه.
«لقد ظننت أنك تأذيت بطريقة ما»
«لا... بالطبع لا»
استرخى إيثان على الأريكة يتنفس الصعداء، غمره الارتياح وهربت ابتسامة من شفثيه.
«واضح أنك افتقدتني... ظننت أنني مزعج.»
حكّ إيثان رأسه: «لا، لم أقصد ذلك... أعني ما زلت مزعجاً بطريقة ما»
ضحك ثرين.
سمع إيثان صوت خرمشة والتفت سريعاً، كان نوكس يعبث بغلاف قطعة من الحلوى على الأرضية،
ورغم كل ما مر به شعر بخفة غريبة في جسده.
«هل عنيت كل ما قلت؟...»
«كل كلمة... أنت تعلم أنني أكره الدراما»
«نعم، كنت واضحاً جداً حول الدراما... ولكنك أنقذت ذلك الشخص رغم كل عدم اللامبالاة التي تظهرها»
«ماذا تقصد؟»
«لقد أوقفت أزرافيل عن قتل ذلك السائق»
«كان هذا ضرورياً حتى تهرب»
قال إيثان باستهزاء: «فعلاً...»

في اليوم التالي، قضت دنورة ودوريان وقتها في مراجعة التسجيل والخروج بنظريات عن طبيعة
أزرافيل، بينما كان لوشيان يراقبهما بمزيج من التسلية والاهتمام.
باتا يحاولان إشغال نفسيهما بعمل شيء مفيد، بدل الانكماش في مكانيهما يتربصان، علّم إيثان أنهما
يعطيانه مساحة شخصية للتفكير، ولكن شعر أنه بحاجة للتكلم معهما بعد كل ذلك، كما أنه كان مهتماً ب
لوشيان ودوافعه.

دخل من الباب وألقى التحية، رد عليه دوريان بسخرية: «صباح الخير، حامل الكأسين، هل يمكن أن تعد لنا القهوة؟»

«هيه... إنه منزلك أيها الفاشل»

ابتسمت له د. نورة: «كيف تشعر؟»

«أنا لا أعلم حقاً»

«هل إيف بخير؟»

«لقد تأكدت من ذلك، لكن لازلت قلقاً حوله» قالها يشير إلى لوشيان.

وافقته د. نورة: «أظن أننا جميعاً قلقون حوله.»

ابتسم لوشيان يستمع إلى حديثهم بدون أن يعلق وهو يجلس بوقار.

«ما اسمك على أية حال؟»

لم يتح دوريان له الإجابة حتى: «إنه لوشيان كروس... قاتل محترف يعمل بمفرده بدون أي انتماء...

أستغرب أنه تسلل لعصابة فولكوف.»

تكلم لوشيان أخيراً برزانة: «يبدو أنك قمت بفرضك المنزلي، أيها المخترق»

سأل إيثنان مرة أخرى: «لماذا أردت مقابلتي؟ ظننت أنك تريد قتلي»

تلاقت عيناها وتبادلا لحظة صمت قبل أن يكسرها لوشيان: «لا أريد لشخص كفولكوف الحصول على

العين، لكن...»

شبكت د. نورة أصابعها فوق الطاولة وهي تستمع إلى حديثهما بقلق، يبدو أن فكرة وجود قاتل محترف

في المنزل كانت تُعكر صفو تفكيرها.

«لكن ماذا؟»

«فولكوف جعلني فأر اختبار عندما أرسلني لقتلك، لقد أراد التخلص مني»

«لماذا يريد التخلص منك؟»

ابتعدت نبرة لوشيان قليلاً هذه المرة عن رزائنه المعتادة، وتوترت شفناه وهو يقول: «الأمر شخصي»

جاءت إجابته مقتضبة إلى درجة أغلقت الباب أمام أي سؤال آخر.

«هذا لا يبرر أنك لم تمنع في قتلي»

«هذا صحيح... ولكنك أيضاً سرقت ماله، كنت أظن أنك مجرم آخر في هذا العالم، لذلك لم أبال إن عشت

أو مت حينها»

قفز نوكس إلى حجر لوشيان وأخذ يفرك جسده بمعطفه الطويل، ابتسم الأخير وأخذ يداعبه برقعة.

أكمل: «فولكوف يحصل على قوة كقوتك... لا أستطيع السماح بذلك»

«لماذا؟»

«لأنه جشع ومتعطش للقوة... كما أنه سيمنعني من استرداد ما هو لي»
تردد صوت ثرين في رأس إيثان: «لا أثق به، ولكن أعتقد أننا في حاجة لشخص مثله»
تدخلت د. نورة بحذر: «لنفترض أن هذا صحيح، كيف نثق بك؟»
«لا تستطيعون الوثوق بي، لو كنت مكانكم لما وثقت، ولكن كل ما حدث البارحة وشهدناه جميعاً جعلني شريكاً لكم... حتى وإن كنت شريكاً غير مرغوب به.»
أردف لوشيان: «هناك شيء آخر... كان بإمكانني أن أذكر إيف لفولكوف... ولم أفعل.»
لم يجد أحد رداً على ذلك، تبادل إيثان ود. نورة نظرة سريعة دون تعليق، ثم تنهد دوريان وهو يسند ظهره إلى الكرسي:
«سواء وثقنا به أم لا، لدينا مشكلة أكبر»
أدار الحاسب المحمول نحوهم.
«ثرين يتحدث عن حامل الروحين وكأنه نبوءة تمشي على قدمين»
«أقترح أن نبدأ بمعرفة ما الذي نتعامل معه أصلاً»
مرر يده في شعره بتوتر.
«بصراحة؟ لم أعد مهتماً بمن حاول قتل من»
ثم نظر مباشرة إلى إيثان.
«أريد أن أعرف لماذا ثرين أشار إليك بحامل الروحين»
أجابت د. نورة: «حسناً... إذا أردنا تفسيراً منطقياً، بسبب أن هناك وعيان داخل نفس البنية العصبية»
عقدت كفيها وهي تضغط على كلماتها:
«بمعنى آخر... خلل في النظام. ازدواج في الإدراك، أو ما يشبه انفصاماً على مستوى أعمق من الوعي»
ضحك إيثان: «أنا لست مجنوناً يا دكتورة، أعني جميعنا رأينا أزرافيل»
رفعت د. نورة عينيها نحوه بهدوء، ليس استنكاراً، بل تصحيحاً دقيقاً:
«لم أقل إنك مجنون»
«أعني ثرين يمكن أن يكون أنت، تعبيراً عن قوتك في سماع الأفكار والاستحواذ على الآخرين... لا أرى كيف يمكن لوعيين أن يسكنوا نفس الجسد»
قاطعها دوريان: «جميل. إذاً نحن بين خيارين: إما الكون قرر فجأة كسر قواعده، أو أن شخصاً ما كتب هذه القواعد من الأساس»
تحركت نظرة إيثان بينهما. لم يكن مرتاحاً لفكرة أن يصبح «تفسيراً» بدل أن يكون شخصاً، لكن الشيء الذي رآه... لم يترك له مساحة للإنكار أصلاً.

أخيراً تكلم لوشيان: «في العادة، عندما ينقسم الإنسان، يصبح أضعف. هو يناقض ذلك.»

أضاف دوريان: «رائع... نحن نناقش الآن هل صديقنا تجربة أم نبوءة»

لوشيان: «أنتم لا تبحثون عن الحقيقة، بل عن تفسير آمن»

كان لكلمات لوشيان وقع عميق على الجميع، مما جعلهم يصمتون وكأنهم يقلبون ما سمعوه في أذهانهم.

قال ثرين بانز عاج: «كل واحد منهم يراك بطريقة مختلفة... المضحك أنهم لا يملكون صورة واضحة عن أنفسهم»

ضغط إيثان على صدغيه دون وعي، كأن رأسه لم يعد يتسع لما يسمعه، شعر أنه في حاجة للانزواء وحده.

لاحظ لوشيان ذلك وحاول أن يغير مجرى الحديث: «أنا جائع حقاً»

وافقه دوريان: «معك حق، لم نأكل شيئاً من البارحة»

وبينما كان دوريان يطلب البييتزا على الهاتف، تبادل لوشيان وإيثان نظرة قصيرة، كأن كليهما قرر دون اتفاق أن يؤجل الحكم على الآخر.

نوّهت د. نورة: «هيه، دوريان... إيف قادمة، تأكد أن تطلب لها طعاماً أيضاً»

غاص قلب إيثان في معدته. لم يكن متأكداً من رغبته في مواجهتها الآن.

رنّ جرس الباب، فتصلب جسد إيثان لوهلة.

«وصلت.» قالتها د. نورة وهي تنهض من مكانها.

نهض فوراً قبل أن يفتح أحد الباب.

«سأحضر أكواباً إضافية»

نظر إليه دوريان بريية: «لدينا أكواب»

«إذن سأفحص شيئاً في الأعلى»

«إيثان...»، لكنه كان قد ابتعد بالفعل.

بعد لحظات سمع صوت الباب يُفتح.

ثم صوت إيف.

توقف مكانه عند أعلى الدرج دون أن يلتفت، كان يعرف ذلك الصوت جيداً.

ولهذا السبب تحديداً لم يرد أن يواجهه الآن، وكالعادة تهكم ثرين: «إذا تقتحم مكاناً فيه قاتل محترف بدون وسيلة دفاع عن النفس، ولكنك لا تزال تتردد للقاءها»

«أنت فعلاً مزعج»

«أعلم ذلك»

الفصل التاسع

قضى إيثان النصف ساعة الأخيرة في غرفة دوريان، مغلقًا الباب على نفسه، وكأن هذا سيمنع إيف من القدوم والتحدث إليه. كان يعلم أنها ستأتي، وأن محاولته تفاديها ستبوء بالفشل.

قطع ثرين سلسلة أفكاره: «لقد وصلت إلى منتصف الدرج، أعتقد أنه لديك سبع ثوانٍ»

فكر إيثان بسخط: «هل تستمتع بذلك؟»

ضحك ثرين بدون إجابة.

راح إيثان يصحح تسريحة شعره بسرعة ويعدل هندامه، ثم توقف فجأة وكأنه أدرك مدى سخافة ما يفعله.

دق الباب مرتين، توجه نحوه ليفتحه، محاولًا الظهور بأقل قدر ممكن من علامات الهلع على وجهه الشاحب.

«أهلاً...»

رفعت إيف حاجبها قليلاً أمامه، وحدثت به بتعبير سخرية واضح: «ما الذي تفعله هنا وحدك؟»

«لا شيء»

«هل يتحدث معك؟»

«من؟»

أشارت لجبهتها بطريقة سخيفة: «أعني... ثرين»

حكّ إيثان مؤخرة رأسه، وهو يأمل ألا يظهر كالمجنون أمامها: «نعم... ولم يكتشف بعد كيف يصمت»

علّق ثرين: «وكان هذا سيجعلك رائعاً أمامها»

سألت إيف بتردد: «هل صحيح أنه يستطيع سماع الأفكار؟»

لم يكن إيثان متأكدًا كيف يجيبها على هذا السؤال؛ لأن إيف ولوشيان هما الشخصان الوحيدان اللذان لا يستطيع ثرين سماعهما أو الاستحواذ عليهما، ورغم عدم إجابته لها، تابعت: «هذا مخيف»

«ما هو؟»

«أن أعرف أن هناك شخصًا آخر يسمع ما أفكر فيه الآن، هل يستطيع سماعي؟»

ابتعدت خطوة إلى الخلف، وكأنها تختبر فكرة لا تعجبها.

تأمل عينيها اللتين تسبحان بالفضول للحظة، وأجابها: «لا... هناك استثناءات. هو لا يستطيع سماعك لسبب ما»

أجابت سريعًا بحماس: «حقًا؟»

«نعم...»

أشاحت بنظرها سريعاً عنه: «لكن لم أنا بالذات؟»

«هناك لوشيان أيضاً، ثرين لا يستطيع استخدام قوته معكما... لا أعلم لماذا»

لم تستطع إيف إخفاء الارتياح الذي بدا عليها سريعاً، هذه المرة سألتها إيثان: «كيف عرفتِ بأمر قوته؟»

سكت قليلاً، ثم أكملت: «نحن لم نتحدث عن الأمر»

ارتسمت ابتسامة على شفثيها، لم يستطع كبح نفسه وبادلها الابتسام رغم شكه: «دوريان أخبرني البارحة قبل أن يتأكد من وصولي للمنزل»

«ذلك الواشي»

«إنه شخص مضحك حقاً... هيا، تعال. لقد وصلت البيتزا»

أغلق إيثان باب الغرفة ونزل الدرج بجانب إيف، ترك بين يده ويدها مسافة دقيقة كأنها محسوبة. وعند آخر درجة، سرقه شعرها الأسود المتراقص خلف ظهرها، فكاد يفقد توازنه.

ضحكت إيف بنعومة قبل أن تسبقه للمطبخ، حيث كان الجميع يتحضر لتناول الطعام.

جلست د. نورة بجانب دوريان يناقشان النصوص التي ترجمتها الدكتوراة سابقاً، بينما استقر لوشيان على مقعد بعيد نسبياً عنهما، وهو يلعب نوكس الذي يعبث بزوايا معطفه.

تلاقى عينا دوريان وإيثان لحظة دخوله مع إيف، تلوّنت كلماته بسخرية لم يحاول إخفاءها: «أخيراً...»

وصلت طيور الحب. البيتزا لم تعد تحتل الانتظار»

أنبته د. نورة: «دوريان...»

«آسف... لا أستطيع مقاومة إغظة حامل الكأسين»

«لا تقلق، لو فقدت قدرتك على إزعاجي، سأعتبرها نهاية العالم الحقيقية»

ضحكوا جميعاً، حتى لوشيان بدا مستمتعاً ومرتاحاً معهم. يبدو أن السخرية كانت محاولة ناجحة لكسر ما عجزوا عن تفسيره.

وبعد انتهائهم من تناول الطعام وتبادل المزاح، أسكتتهم د. نورة: «إيف لديها شيء لنقله»

اتجهت أعين الجميع إلى إيف، حتى نوكس توقف قليلاً يتأملها، وهو يهز ذيله خلفه.

ابتلع الهدوء الغرفة بانتظار ما لديها، فأخرجت دفترها من حقيبتها بيدين ترتعشان، كأنها غير متأكدة مما تقوله.

تكلمت أخيراً: «أعتقد أن هذا يمكن أن يفيدكم»

تفحص الدفتر كلّ منهم على حدة، لم يستغرق الأمر كثيراً، فقد فهم الجميع الآن أن إيف استطاعت بطريقة ما سماع أزرافيل يتحدث إلى كيان ما أشدّ رعباً منه.

بان عدم التصديق عليهم، حتى إن دوريان تمنى أن تكون هذه واحدة من نظريات المؤامرة التي يحب إثبات البحث بها.

إيف: «أريد أن أكون واحدة منكم، أريد المشاركة... لأن التظاهر بأن شيئاً لم يحدث غير ممكن بالنسبة لي»

هز إثبات رأسه بعدم تصديق.

سألها دوريان: «المشاركة بماذا بالضبط؟»

د. نورة: «لا نعلم بما نحن منخرطون به... كل ما نعرفه، على حد قول ثرين، أن هذا العالم مجرد سجن لنا، وهو يريد إنهائه»

لوشيان: «السؤال الحقيقي يجب أن يكون هو: ماذا بعد هذا العالم؟ إن كان كل هذا حقيقياً.»

إيف: «أنا أثق بإيثان»

دوريان: «نعم، ولكن ما الذي يجعلنا نثق بثرين؟»

انطفأت الأصوات حول مائدة الطعام، فقد كان وقع الأسئلة المصيرية التي يجب الإجابة عليها هائلاً. الوحيد الذي لم يتكلم بعد هو إثبات. كان يستمع لهم فقط، كره أن يكون مركزاً لحوارهم دون أن يملك شيئاً يضيفه ليحجب أسئلتهم.

قطعت إيف الصمت: «لا أعلم، أرى أن هذا يجعلنا بطريقة ما فريقه... أعني، فكروا بالأمر. كل ما حدث سابقاً جمعنا هنا... كل شخص في هذه المجموعة لديه خبرة أو مهارة من نوع ما يستطيع فيها مساعدة إثبات»

د. نورة: «إيثان، ما رأيك؟ لقد كنت هادئاً لوقت طويل»

دفع إثبات صدره من أمامه، ووضع يديه على رأسه يفرك صدغه بأصابعه، يبدو أن هذا كان كثيراً عليه. أيّ إجابة غير متأكد منها يمكن أن تكلفه أرواح أصدقائه في مواجهة أزرافيل، عدا عن فولكوف الذي يتربّص لهم الآن.

«أنا آسف، ولكن لا أظن أنني أعرف ما يجري حقاً هنا. ثرين لا يقول لي كل شيء... هذا ليس سبباً لعدم ثقتنا به، فقد ساعدني كثيراً سابقاً... أعتقد أن لديه سبباً يجعله لا يقول لنا كل ما لديه.»
سأله لوشيان: «هل ثرين يفعل كل ما تطلبه منه؟ أم أنه يتصرف أحياناً على هواه؟»
«هذا حقاً سؤال جيد...»

توقف إثبات لدقيقة كاملة يحاول تذكر موقف واحد تصرف فيه ثرين من تلقاء نفسه بدون أن يخبر إثبات. «في الحقيقة، كان دائماً يتصرف بناءً على ما أريده. إنه لم يحاول إيقاف رجال فولكوف حتى قلت له أنني أريد ذلك...»

«في المرة الوحيدة التي تصرف فيها من تلقاء نفسه كانت عندما منعك من قتلي»

كان واضحًا أن سؤال لوشيان طُرح ليثير نقطة غفل عنها الجميع: «هذا يلخص الأمر، أعتقد أنه لو كنت مكانكم لوثقت بثرين... بالإضافة إلى أنه واجه أزرافيل حتى نستطيع الهرب» وافقه الجميع، عدا د. نورة التي بقيت صامتة، كأنها تقلب الأمر في ذهنها. إيف: «د. نورة؟»

د. نورة: «حسنًا، لا يزال لدي بعض الشك في دوافعه... لكنني هنا لأساعد إيثان بأي طريقة أستطيع» إيف: «هذا يحسم الأمر إدا، لقد ذكرت، يا دكتورة، شيئًا عن ترجمة النصوص القديمة التي كنت تناقشينها أنت وإيثان»

مرر دوريان عدة نسخ من الورق المطبوع على الحضور، كان فيها كل ما ترجمته الدكتورة حتى الآن عن حامل الروحين وعين ماعت. انشغل الجميع بالنسخ المطبوعة، تنتقل أعينهم بين الأسطر، وبين الحين والآخر كان أحدهم يتوقف عند فقرة معينة ليعيد قراءتها، وكأنه يحاول انتزاع معنى خفي من بين الكلمات. وما إن انتهوا من الاطلاع الأولي عليها حتى بدأت الأسئلة والتعليقات تتقاطع حول الطاولة، ليتحول الصمت إلى نقاش جاد حول ما قد تعنيه تلك النصوص لهم.

عندها أشارت إيف إلى فقرة في منتصف الصفحة.

«أنا مهتمة بهذا... عين ماعت»

التفت الجميع إليها.

«النص يقول إنها ترى الحقيقة كما هي، أليس كذلك؟»

هزت د. نورة رأسها.

«هذا أقرب تفسير توصلت إليه. لكنها لا تبدو مجرد أداة أو قدرة عادية»

سأل دوريان: «هل هي شيء يمكن امتلاكه؟ أم شخص؟»

اعترفت الدكتورة: «النصوص تتحدث عنها كما لو كانت مفهومًا أحيانًا، وكائنًا أحيانًا أخرى.»

مرر لوشيان إصبعه على إحدى السطور.

«هنا مكتوب أن عين ماعت تكشف الزيف مهما كان شكله... ربما لهذا السبب هي مهمة»

ابتسم دوريان بسخرية خفيفة:

«رائع، عين سحرية تكشف الأكاذيب وحامل للروحين. هل هناك شيء في هذه النصوص طبيعي

أصلًا؟»

تجاهلت إيف تعليقه، وهي تعيد النظر إلى الأوراق.

«كما هو موضح في النص، أن الشخص الوحيد القادر على حمل عين ماعت بدون أن يجن، هو حامل

الروحين»

«لقد عرفنا ذلك، ولكن يبقى السؤال الأهم: ما هي العين وأين نعثر عليها؟»

«انظروا إلى آخر الصفحة رجاءً»

قرأ الجميع نفس الجملة الأخيرة المكتوبة بخط د. نورة في آخر الصفحة:

«حيث تتقاطع ظلال الشواهد الحجرية التي بناها الملوك في أطراف الأرض، هناك تنتظر العين إلى

السماء»

بدا السطر الأخير كأنه اختار اللحظة المناسبة للظهور.

كانت عقارب السباق تتحرك بتأنٍ، حتى وإن لم يدرك المتسابقون ذلك بعد.

لمع الضوء في الغرفة بشكل أقل دفئًا وأكثر صلابة، كأنه مصمم ليمنع أي فكرة من الهروب قبل أن تُفحص حتى النهاية.

جلس فولكوف مع أليكسي أمام شاشة كبيرة ممتدة على الطاولة، تتوزع عليها صور لرموز هيروغليفية، التقطت في غرفة مظلمة، من المؤكد أن أليكسي حصل عليها بعد اختراقه البريد الإلكتروني لإيثان. أشار بيده نحو الملف المفتوح، ثم قال بلهجة حاسمة: «أريد قراءة دقيقة. لا تخمينات. فقط معنى مباشر» قال أليكسي: «إنه على وشك الوصول، يا سيدي»

أوما فولكوف له بعدم صبر، وتابع ينظر إلى الصور، وعيناه تلتهمان الشاشة بشره. بعد أن دق الباب مرتين، أشار فولكوف لأليكسي ليفتحه سريعًا. دخل الدكتور فيكتور راينهارت بخطوات هادئة وواثقة، الرجل الذي أمضى ثلاثين عامًا في فك النصوص الجنازية المصرية دون أن يخطئ في ترجمة موثقة واحدة. ألقى التحية بلكنة ألمانية.

فولكوف: «د. راينهارت، شكرًا لقدمك. تفضل بالجلوس هنا رجاءً»

«أليكسي، أحضر بعض المشروبات والمقبلات»

«سيدي»

خلع د. راينهارت معطفه الجلدي الربيعي الأسود، وجلس بجانب فولكوف أمام الشاشة. وضع الحقيبة الخاصة به تحت الكرسي، وركزت عينه على فولكوف بنظرة لم تخلُ من الشك.

«سيد فولكوف، تبدو عجولاً جداً... ما الذي يجعل هذه النصوص مهمةً إلى هذه الدرجة؟»
ابتسم فولكوف بحدة، بالنسبة له هو من يطرح الأسئلة هنا: «إنها هواية غريبة فقط»
أجابه د. راينهارت كأنه لم يصدقه: «إذن أمل أن تكون هواية تستحق هذا القدر من السرية»
ضحك فولكوف بخشونة: «أظن أننا سننجم سريعاً»
«سأبدأ إذاً، أرجو الحصول على بعض الخصوصية»
توقف راينهارت عند أول صورة لثانيتين.
عقد حاجبيه.

ثم فتح الحقيبة وأخرج نظارته دون أن يقول كلمة.
نهض فولكوف من كرسيه، تاركاً الدكتور أمام الشاشة. أغلق الباب خلفه، وعاد الهدوء الذي يسبق الاكتشافات المهمة إلى الغرفة.
في الردهة، كانت كيو تنتظر وحدها، جالسة تدخن سيجارها المعتاد.
سألها فولكوف: «أين لوشيان؟»
أجابته بملل واضح: «لا أعلم... ربما لديه شيء آخر يفعله بدل ملاحقة الأساطير»
لمعت عينا فولكوف بغضب لحظة، قبل أن يستعيد نفسه ويقول بلهجة محايدة: «أساطير؟ ألم تشاهدي التسجيلات معنا وما زلت لا تصدقين؟»
نفضت سيجارها بغير مبالاة دون أن تجيب، لم يكن فولكوف متأكداً إن كانت عنيده بطبيعتها أم أن الواقع نفسه يفشل في إقناعها كل مرة.
«أعتقد أنها مضيعة للوقت، ماذا لو كان مخادعاً فقط»
«لا، أنا أعلم ذلك، إثبات لم يستخدم أي خدع»
«حقاً؟ هناك مائة طريقة للغش في لعبة البوكر، ماذا عن رجالك الأغبياء؟ ربما سممهم بطريقة ما عندما كان في جناحك يتلقى اللكمات.»
«إنه ليس بهذا الذكاء ليفعل ذلك، كما أن السم سلاح النساء.»

ألقت كيو عليه نظرة أقل ما يمكن القول عنها أنها متعالية: «كما تريد»
يبدو أن نقاشهما وصل إلى نهايته بعد رد كيو الأخير، قرر فولكوف النزول إلى المطعم ليتناول العشاء مع رجاله... لكنه أرسل أليكسي ليبقى مع د. راينهارت في حال حدوث أي مستجدات، وكان محقاً، فبعد تناول العشاء اندفع أليكسي ناحيته يهمس بأذنه:
«سيدي، يجب أن تصعد للأعلى»
رفع فولكوف عينيه عن طبقه.

تبادل نظرة قصيرة مع أليكسي.
ثم نهض من مقعده دون أن يكمل وجبته.
مشياً باتجاه المصعد: «هل اطلع على الترجمة التي لدينا؟»
«نعم، ونجح في استكمال الأجزاء الناقصة.»
دخلا المصعد وهما يتابعان نقاشهما: «جيد جداً، وهل ترجمته تشابه ترجمة الدكتورة؟»
«نعم، إلى حد كبير، ولكنني لست متأكداً من آخر عدة أسطر»
«سنرى ما لديه»
اندفعا يخرجان من المصعد، وعبرا الردهة إلى أمام الغرفة... فتح أليكسي الباب ليدخل فولكوف، حيث
كان عدد من المراجع موزعاً بشكل فوضوي على الطاولة.
«د. راينهارت، ما الذي توصلت له؟ هل هناك موقع محدد؟»
«ليس بالضبط، ولكن أعتقد أن لدي خطأ»
«ما الذي تعنيه؟»
اقترب فولكوف مع أليكسي من الطاولة، ورفع ورقة كان يشير لها د. راينهارت.
قرأ السطور.
ثم أعاد قراءتها.
وفي المرة الثالثة ازدادت التجاعيد بين حاجبيه بدلاً من أن تختفي.
«لدي نظرية، يا سيد فولكوف، وأعتقد أنك ترغب بسماعها»

«الأهرامات؟»

كان هذا ما توصلت له د. نورة في محاولتها لفك لغز السطور الأخيرة من النصوص.

«نعم، أعتقد ذلك. اقرأوا السطور الأخيرة مرة أخرى»

أعاد كل منهم تأمل الكلمات الأخيرة:

«حيث تتقاطع ظلال الشواهد الحجرية التي بناها الملوك في أطراف الأرض، هناك تنتظر العين إلى

السماء»

شخر دوريان: «ظلال الشواهد في أطراف الأرض؟ يبدو كأمر مستحيل، أعني، ظلال الأهرامات ماهي

بأية حال؟ وكيف لها أن تتقاطع؟»

عقدت د. نورة حاجبها، كأنها تفكر بكل طاقتها، بينما كان لوشيان يمرر أصابعه على السطور، يقرأها

بتمعن للمرة الخامسة، حتى قال: «ربما لا يقصد النص ظلالاً حقيقية»

«ماذا إذن؟» سأل دوريان.

د. نورة: «هذا صحيح بالفعل... إننا نتعامل مع استعارة من نوع ما.»

بدأت تتمتع قبل أن تتدخل إيف، وعلى وجهها ابتسامة تعالٍ: «ليس علينا أخذ الكلمات بشكل حرفي»

طقطقت أصابعها وأكملت: «تقاطع الظلال يمكن أن يكون امتداد تلاقي الخطوط المرسومة من كل هرم

على الخريطة»

ساد الصمت بينهم.

لم تعجب د. نورة حقيقة أن أول خيط منطقي جاء من شخص لم يدرس الآثار يومًا.

أما إيثنان فاكتفى بالنظر إلى إيف دون أن يعرف لماذا بدا الأمر طبيعيًا أكثر مما ينبغي.

ضحكت د. نورة رغم ذلك: «لحسن الحظ، أنت في فريقنا»

أضاف لوشيان بنبرة إعجاب مبطن: «نعم، هذا معقول بالفعل»

وبينما كانوا منشغلين في رسم خطوط التقاطع، سأل إيثنان ثرين في ذهنه: «ثرين، لقد كنت هادئًا لوقت

طويل... ما الذي تفكر فيه؟»

«كم من الوقت يمكن أن يستغرق البشر لقلب مفاهيمهم رأسًا على عقب؟»

«والى ماذا توصلت؟»

«ليس بالوقت الكثير، في أية حال، القادم لن يكون سهلًا»

تهكم إيثنان: «هذا مريح بالفعل، لقد كنت بحاجة إلى ذلك... لماذا لا تساعدنا؟»

«هل تريدني أن أجالسكم كالأطفال وأفعل كل شيء، أم تفضل أن يكون لكم دور فعلي فيما يحدث؟»

وفي هذه اللحظة علا صوت خيبات الأمل، لأن المجموعة لم تصل إلى نتيجة.

لا توجد نقطة تقاطع واحدة لجميع الأهرامات على الكرة الأرضية.

كانت الشاشة أمامهم مليئة بالخطوط المتشابكة التي تربط بين مواقع الأهرامات حول العالم، لكنها لم تُنتج شيئاً سوى مزيد من الفوضى.

تنهد دوريان وهو يمرر يده في شعره.

«رائع... قضينا ساعة كاملة لنثبت أننا لا نعرف شيئاً»

أغلقت د. نورة الحاسوب المحمول بخيبة أمل.

«بل أثبتنا أن تفسيرنا ناقص»

نهض لوشيان من مكانه فجأة.

التفتت الأنظار نحوه.

«إلى أين أنت ذاهب؟»

تأمل الشاشة للحظات، ثم التقط معطفه: «أنا ذاهب لفولكوف»

رفع دوريان حاجباً.

«ماذا؟»

«لأرى ما توصل إليه، فهو مثلكم يسعى للوصول إلى العين... وما زال يعتقد أنني في صفه»

وقف دوريان بسد الباب: «لا يمكن أن نتركك تغادر هذا المكان»

د. نورة: «أعتقد أن ذلك يجب أن يكون خيار إثبات إن كان سيسمح له بالذهاب»

ترقب الجميع إثبات وما لديه ليقوله:

«أرجو أن ترجع لنا بمعلومات مفيدة، يا لوشيان»

زفر دوريان بعدم رضى، ولكنه ابتعد عن طريقه ليتركه يغادر.

داعبت إيف نوكس الذي أخذ يتقلب على المقعد بجانبها، ثم نهضت وأمسكت حقيبتها الجلدية.

«أعتقد أنني سأغادر أيضاً»

أومأت د. نورة برأسها: «يبدو أننا لن نصل إلى شيء الليلة على أي حال»

تقدمت إيف عدة خطوات نحو الباب قبل أن تلتفت إلى إثبات.

«هل أنت ذاهب؟»

عقد حاجبيه: «إلى أين؟»

«ستقّاني إلى المنزل»

نظر إليها للحظة.

رفعت كتفيها: «هل لديك مانع؟»

تردد إثبات قليلاً: «لا»

ابتسمت ابتسامة صغيرة يصعب فهم معناها.

نخر دوريان: «أحياناً أشعر أنك لا تتخذ أي قرارات بنفسك»

«اصمت يا دوريان»

خرجت إيف إلى الممر دون أن تنتظر، تنهد إيثان، حمل نوكس إلى كتفه وأسرع للحاق بها. عندما أصبحا وحدهما تقريباً أسفل الدرج، أوقفها إيثان، ولم تقاومه أو يبدو عليها الدهشة: «لم أوافق بعد بمشاركتك فيما فعله.»

ضحكت بخفة وتجاوزته: «أن تكتب الأساطير باسمك لا يعني أن تبدأ بإصدار الأوامر إليّ، سأفعل ما أراه مناسباً»

عندما خرجا من الباب، أخذت ملامحه تنكمش تدريجياً، حتى لم يعد الغضب بحاجة إلى كلمات ليفهم. تجاهلته إيف تماماً. لم تلتفت إليه، لكن زاويتي شفيتها ظلّتا مرتفعتين طوال الطريق. تقدّما نحو الشارع الرئيسي وتابعاً طريقهما، قرر عندها إيثان عدم التكلم معها. نعم، كان سيقضي الخمسة عشر دقيقة التالية بالصمت حتى يصلا إلى منزلها.

اعتقد أنه يعاقبها بصمته، لكنها بين الحين والآخر كانت تلاعب نوكس وتتفادى النظر إليه، وبعد عشر دقائق من السكوت القهري الذي حكم إيثان به على إيف، مرّاً بمجموعة من الفتيات. لم تكتفِ بعضهن بالنظر، بل راح الفضول والإعجاب يتجولان على وجوههن دون استئذان.

لم يعلم إيثان السبب، هل كان نوكس الذي على كتفه هو المبرر لذلك، أم كان جسده الذي أصبح في الآونة الأخيرة أضخم وممتلئاً بالعضلات؟ نسي أن ملابسه أصبحت في اليومين المنقضيّين لا تلائمه.

كان ذلك غريباً بالفعل، لأن إيثان لم يدخل النادي في حياته... ما الذي يحدث إذًا؟ ابتلع ثرين ضحكته بالكاد، عندما كانت الغيرة تكتب نفسها على وجه إيف سطرًا بسطر. توقفت عن مداعبة نوكس، ألقت نظرة احتقار على مجموعة الفتيات وقالت بامتعاض: «ألا يمكنهن المشي بشكل أسرع؟»

لم يجبها إيثان، فقد كان شاردًا بعقله بعيدًا عن الواقع، حتى أنه بالكاد سمع ثرين يضحك في ذهنه. وصلا أخيرًا أمام منزل إيف.

«أنا آسفة يا إيثان... ولكن هذا مهم لي أيضًا، أريد معرفة لماذا أسمع هذه الأشياء في أحلامي» طرف إيثان قليلاً واستمع إلى بقية كلامها:

«أريد اكتشاف حقيقة نفسي، وأعتقد أنك تملك الإجابة على ذلك... لذا لا أستطيع ترك الأمر» اقتربت منه قليلاً وانتصبت على أطراف أصابعها محاولة الوصول لوجهه، توقفت للحظة تنظر في عينيه.

اشتعل وجهها حمرة من شدة الخجل، قبل أن تطبع قبلة سريعة على وجهه وتهرب إلى داخل منزلها دون أن تنتظر خلفها.

كانت قبلة صغيرة على خده، ولكنها زلزلت الأرض التي يقف عليها، فقد توازن للحظة وتراجع خطوة نحو الرصيف، يحاول تذكر ما فعلته إيف وهو يحك خده.

تكلم ثرين بسخرية في ذهنه: «حسنًا، عليّ أن أعترف، هذا لم يكن دراميًا بالكامل»

لثانية كان كل شيء طبيعيًا عندما كان إيثان يمشي على الرصيف، ولكن شعر بشيء يحرق يده بقوة.

رفع كفه أمام يده يبحث عن السبب، هل أمسك عقب سيجارة بالخطأ؟

ركز قليلاً، كان هناك رمز يرتسم على كفه ويحرقه بشدة.

رمز يشبه شيئاً رآه سابقاً في وقت قريب، لكن لم يذكر أين.

وفي غمضة عين اختفى كل شيء حوله، وكأن شيئاً سحبه في الهواء. قبل أن يفهم ما يحدث، كان الواقع

قد قرر أن يتوقف عن كونه واقعاً، ارتدى بسرعة البرق على الرمال.

رمال؟

ما الذي يحدث؟

سمع صوت زئير فوق رأسه، رفع عنقه إلى الأعلى يترقب، ليرى أمامه أسدين هائلين الحجم يتفرسانه

بنظراتهما ويقتربان من مكان سقوطه.

«ثرين، ما الذي يحدث هنا؟»

أدرك في هذه اللحظة أنه كان يقبض على شيء تخين في يده اليمنى.

وقف بسرعة البرق وسحب السيف الذي يحمله بيده، حتى أنه استغرب قدرته على التحرك بتلك الطريقة.

عندما قبض على مقبض السيف، شعر بخشونة الجلد الملفوف حوله. إحساس مألوف. مألوف إلى درجة

مخيفة. كأن يده أمسكت هذا السلاح آلاف المرات من قبل.

«ثرين؟»

قال ثرين بتأمل: «توقف عن إزعاجي، تعامل معهما فقط»

علت أصوات آلاف من البشر فوقه، وهم يهتفون بعنف على ما بدا أنه مدرجات عظيمة تطل على... حلبة

رملية كبيرة.

كانوا جميعاً ينظرون له ويضحكون، علا صوت هتافهم بشدة: «فالين... فالين... فالين...»

التفت إيثان حوله في محاولة لاستيعاب ما يحدث، لاحظ أن ملابسه تغيرت بالكامل.

كان يقف عاري الصدر، مع قطعة قماش صغيرة تغطي ساقيه، بالكاد تصل للركبة.

لمح بين الجموع رايات ملونة ترفرف فوق المدرجات. عرف ألوانها. عرف شعارها. بل وعرف أي

المدن جاءت لتشاهده يقاتل اليوم. لم يكن يعرف كيف. لكنه كان يعرف.

زأر أحد الأسود بحدة مرة أخرى، مما أعاد إيثان إلى المشكلة التي أمامه الآن. عليه أن يتعامل مع

حيوانات متوحشة، كل منها في حجم ثلاثة رجال.

«أين أنا بحق الجحيم؟»

وبدون سابق إنذار، قفز أحد الأسود في الهواء نحو إيثان. للحظة ظن أن أمره قد انتهى، ولكن جسده تحرك قبل أن يفكر. لوحت يده تلقائيًا بخفة ليفصل رأسه عن جسده بدون أي صعوبة تذكر.

«واو، كان هذا رائعًا»

أجابه ثرين: «لا يزال لديك واحد آخر.»

«لا شيء يرضيك، أليس كذلك؟ من هو فالين على أية حال؟»

«من الواضح أنه أنت، يا لك من أحمق»

لم يكن إيثان يملك وقتًا للتفكير بما قاله ثرين الآن، كان عليه أن ينجو بطريقة ما من الأسد الأشد ضخامة الآن.

وبعد عرض رائع ممتلئ بالشقلبات والحركات المدروسة، تمكن أخيرًا من القضاء على الأسد العظيم وزرع سيفه داخل جسده.

حتى أنه كان مستمتعًا بما يفعل: «لا أعلم ما يحدث، ولكن أعتقد أنني أستطيع الاعتياد عليه»

«إنها مجرد ذكرى، يا إيثان»

«ماذا؟»

«استيقظ»

اختفى العالم حوله مجددًا، يبتلعه الظلام.

شعر أن شيئًا داخله يرفض الاعتراف بأن ما حدث انتهى... كأن الأسد ما زال موجودًا في مكان لا يرى.

عاد إلى أرضية الرصيف الإسفلتية السميكة.

شعر بنوكس يلحق أذنه، وهو مستلقٍ بطريقة سخيفة على بطنه.

«هل أنت بخير يا صاح؟»

نفض إيثان رأسه ووقف بسرعة، يحكّ عينيه، يكافح لتثبيت قدميه.

«آه، نعم، أظن أنني انزلقت... شكرًا»

وبعد زوال التشويش الذي يحيط برؤيته، توضّح أمامه الشاب اليافع، وهو يحدق به بنظرات يتأكلها الاستغراب.

حمل نوكس إلى كتفه وانطلق بخطوات غير مترنة:

«ما الذي تعنيه بذكرى؟»

«هل عليّ أن أمضغ لك المعلومة ثم أعطيك إياها دائمًا؟»

أكمل ثرين بضجر: «كنت دائمًا تحب إلقاء نفسك للتهلكة... لا تزال كذلك»

«يا إلهي، أحتاج إلى شيء أشربه»

دخل إلى مقهى عشوائي لم يزج نفسه بالنظر إلى اللافتة حتى، وكأن قدميه اختارتا المكان بدلاً عنه.
اتجه إلى زاوية بعيدة قرب النافذة حتى لا يضطر أن يواجه أحدًا مباشرة.
جلس ببطء، ووضع نوكس على المقعد الذي أمامه، كما لو كان ضيفًا رفيعًا، لكن القط اكتفى بالالتفاف
على نفسه والنظر إليه بنصف عين.
«لا تنظر إليّ هكذا» تمت إثان وهو يسند رأسه إلى يده.
جاء النادل سريعًا ليسأله عن طلبه، ولكن إثان لم يعطه فرصة التكلم حتى، شعر أنه بحاجة شديدة إلى
شيء يشربه، وكأنه انتهى للتو من معركة متعبة مع الأسود.
«مشروب بارد بالفراولة، من فضلك»
أومأ النادل وغادر، بينما بقي إثان يتأمل الطاولة الخشبية، ولكنه لم يكن يتأملها فعلاً، كان يسترجع ما
حدث في الحلبة وكيف قام بالقتال.
«هل تستطيع الشرح الآن؟»
«لقد قلت لك سابقًا: من يمت هنا سيولد من جديد هنا أيضًا، ولكن سيولد بلا أي ذاكرة»
«هل تقصد التناسخ؟»
قاطعهما النادل وهو يضع كوب عصير الفراولة البارد أمام إثان، ثم انصرف، يرمق القط بنظرة تنم عن
انزعاج.
«سمّه ما شئت، يا إثان، ولكن هذه جريمة حدثت في الوجود»
«لا أفهم ما يزعجك إلى هذه الدرجة»
«حقًا؟... تخيل أن يحترق بيتك كل ليلة، ثم يقنعك أحدهم صباحًا أنك لم تملك بيتًا قط»
ارتطمت كلمات ثرين الأخيرة بشيء عميق داخله، لم تعد المسألة أرواحًا تولد وتموت، بل بشرًا تُسرق
منهم حياتهم وهويتهم مرة بعد مرة.
تجرع نصف كوبه في رشفة واحدة، وسأل ثرين:
«ولكن لماذا أذكر حياتي السابقة؟»
لم يجبه ثرين، يبدو أنها إحدى الأمور التي يريده أن يكتشفها بنفسه.
رفع نوكس كفه يحاول العبث بالمنديل الذي على الطاولة، راقبه إثان وهو يفعل ذلك، وشرع يفكر كيف
لمخلوق بسيط ولطيف أن يحميه من قوة لا يمكن إيقافها تقريبًا كأزرافيل.
وتذكر فجأة أن كفه آلمه قبل أن يرى الذكرى المتعلقة به.
عندما كان يعيش كفالين، مصارع الحلبة الرملية الذي يقاتل الوحوش.
رفع يده إلى مستوى نظره لا إراديًا، وأخذ ينظر إلى الرمز الذي حفر في جلده.
«لم يكن هذا على يدي من قبل»

كان الرمز مألوفًا جدًا، رآه من قبل، ولكنه لم يكن قادرًا على التذكر. عقد عزمه على أن يريه للدكتورة نورة.

ولكن ما الذي جعل هذا الرمز يظهر الآن بالذات؟ نعم، لقد ظهر بعد أن قبلته إيف على خده. تساءل إن كان لذلك علاقة بالأمر.

تكلم ثرين بخبث: «ربما يجب أن نختبر هذه الفرضية»

«ربما يجب أن تصمت الآن»

تجرع إثبان ما تبقى من كأسه، ودفع حسابه للنادل صاحب المزاج السيئ.

توجه إلى الخارج ومعه صديقه ذو الفراء على كتفه، قوبل بنفس الهمسات والضحكات في كل مرة يراه الناس مع نوكس.

وعندما وصل لخارج المقهى، شعر برغبة عارمة في الركض وتحريك جسده، كأنه لسبب ما أصبح أكثر نشاطًا وعلى وشك الانفجار من كثرة الحيوية التي في داخله.

لم يفهم ما سبب كل هذه الطاقة الآن، أو سبب نمو كتلته العضلية بهذا الشكل المفاجئ. هل تذكر من كان في حياة سابقة كمقاتل قوي غير جسده، حيويته، شخصيته واندفاعه؟

هل كان التذكر مفتاحًا لكل هذا... كل تلك الأسئلة تعجّ في رأسه الآن... ماذا لو تذكر حياة أخرى امتلك فيها مهارات مختلفة؟ هل سينالها تلقائيًا؟

غلبه الحماس. أراد تذكر كل الحيوانات التي عاشها سابقًا، كل الخبرات والقوى التي اكتسبها على مدار آلاف السنين والحيوات التي عاشها سابقًا.

طوال حياته كان يكتفي بالنجاة من يوم إلى آخر، لكن شيئًا تغير. للمرة الأولى لم يكن يبحث عن طريق فحسب، بل عن غاية، وكانت تلك الغاية واضحة بما يكفي لتشعل فيه شغفًا جعل المجهول يبدو وعدًا لا تهديدًا.

ضحك في نفسه، كل تلك الأشياء أخذت تفكيره حتى أنه لم يدرك أنه كان أمام باب منزل دوريان. فلة صبره دفعته لاختيار الطريق الأقصر، حتى لو لم يكن منطقيًا. أمسك بحافة المبنى وقفز، لكن ما فاجأه لم يكن ارتفاع الجدار، بل سهولة الأمر. تحرك جسده قبل أن يفكر، بخفة ودقة شخص أمضى عمرًا كاملاً في فعل ذلك.

كان يتسلق كأنه نينجا منسي من حياة أخرى، وكلما ارتفع أكثر شعر بابتسامة تتسلل إلى وجهه؛ لم يكن الأمر مجرد قدرة جديدة، بل إحساسًا غريبًا بأنه عاد إلى مكان يعرفه.

للمرة الأولى منذ وقت طويل لم يكن يفعل شيئًا لأنه مضطر إليه، بل لأنه أراد ذلك. كان يشعر بخفة غريبة، كأن الجاذبية نفسها أصبحت أقل إصرارًا عليه.

وصل وأخيرًا إلى النافذة المفتوحة وقفز منها إلى الداخل، بينما ظل نوكس فوق كتفه يراقبه بهدوء.

هبط على الأرض بهدوء، ثم نظر حوله بابتسامة طفل اكتشف لعبة جديدة، قبل أن يلاحظ د. نورة التي كانت تحديق به بصدمة.

«يا إلهي، إيثنان، ماذا تفعل؟»

ابتسم إيثنان بزهو: «لا أعلم حقًا، رغبت فقط في التسلق»

ثرين: «يا لك من متباهٍ»

وضعت د. نورة كوب القهوة الفارغ من يدها على الطاولة، واقتربت خطوتين، تنفرسه من خلف نظارتها. لم تقل شيئاً في البداية.

كانت عيناها تنتقلان بين وجهه وكتفيه وذراعيه، وكأن عقلها يرفض تسجيل ما تراه.

رفعت نظارتها ببطء ومسحت العدسات، ثم أعادتها إلى وجهها، وكأنها تمنح عينيها فرصة ثانية لتكذيب ما تراه.

بقي إيثنان ينظر إليها بتعبير تسلية واضح على وجهه، للحظة لم يعرف هل كان سعيدًا لأنه أصبح أقوى... أم خائفًا لأنه لم يفاجأ بذلك.

«ماذا؟»

تمت.

نظر إيثنان إلى نفسه ثم إليها.

رفعت رأسها إليه.

«المشكلة أنك كنت قبل ساعات شخصًا آخر»

ضحك إيثنان: «نعم، لاحظت ذلك»

تجاهلت سخريته.

وضعت نورة أصابعها على ذقنها وهي تفكر.

«هل حدث شيء؟»

تردد إيثنان قليلًا.

ثم رفع كفه أمامها.

«في الحقيقة... نعم»

تغيرت ملامحها فورًا عندما رأت الرمز.

لكن قبل أن تسأله، سمعوا صوتًا من خلفهم.

«هل أنا الوحيد الذي يرى أن المشكلة الأكبر هي أنه دخل من النافذة؟»

كان دوريان واقفًا عند الباب، يحمل كيسًا من البطاطس المقرمشة، ويقلب نظره بين النافذة وإيثنان.

«لحظة...»

اقترب منه قليلاً.

«ما الذي حدث لك؟»

أشار دوريان إليه بيده، وبدأ يحك رأسه لثوانٍ معدودة قبل أن يقول:

«لا أعتقد أن أخذ المنشطات سيساعدك ضد أزرافيل»

ضحكت نورة رغم محاولتها إخفاء ذلك.

أما إيثن فنظر إلى جسده مرة أخرى.

«هل الأمر بهذا الوضوح؟»

رد دوريان فوراً:

«نوكس نفسه يبدو وكأنه بدأ يحترمك أكثر»

نظر الجميع إلى القط الرابض فوق كتفه بهدوء.

أطلق زفيراً بضيق.

«كنت أعلم أنك ستقول شيئاً غيبياً»

اقتربت نورة منه، وهي لا تزال تحقق في إيثن.

«الأمر ليس مزحة، يا دوريان»

اختفت ابتسامة دوريان قليلاً.

«أعرف»

هز كتفيه، ثم أضاف: «لكن على الأقل، إن حاول أزرافيل قتلك الآن، ربما سيحتاج إلى بذل مجهود أكبر»

قاطعته د. نورة بنبرة حازمة: «إيثن أرني كفك»

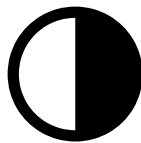
مدّ لها يده لتتفحصها، بينما قفز نوكس إلى الأرض واتجه نحو صحن الماء الخاص به.

خفتت حركة الغرفة قليلاً، ولم يبقَ سوى صوت مضغ دوريان للبطاطس المقرمشة، وهو جالس على

مقعده الجلدي القديم أمام الحاسب المحمول.

كان الرمز المحفور على كف إيثن دائرةً منقسمة إلى نصفين؛ أحدهما مظلم، كأنه يحمل بقايا أثرٍ قديم لم

يُمحَ تماماً، والآخر أملس ونقي، فارغٌ كمرآة تنتظر انعكاس شيء لم يعد موجوداً.



روى إيثان لهما ما حدث بعد أن رافق إيف إلى منزلها، متجنبًا ذكر القبلية. في البداية ظهرت الدهشة على وجهيهما، ممزوجة بشيء من عدم التصديق. لكن عندما وصل إلى تفاصيل الحلبة، وإلى الأسود الهائلة التي واجهها، توقف دوريان عن المضغ تمامًا، وبقيت قطعة البطاطس معلقة بين أصابعه للحظات. حين انتهى إيثان من رواية كل شيء، توقع أن تنهال عليه الأسئلة، ولكن قوبل بالصمت.

هبطت الطائرة الخاصة على المدرج مع أول خيوط الفجر. لم ينتظر فولكوف مراسم الاستقبال أو الإجراءات المعتادة، وما إن توقفت العجلات حتى فُتح الباب الجانبي، لينزل بخطوات ثابتة إلى أرض المطار. سخونة الهواء جعلت من برودة المقصورة ملاذًا صعبًا تركه. وقف ثلاثة رجال بانتظاره عند أسفل السلم، يرتدون سترات تكتيكية سوداء وسماعات اتصال صغيرة. مدّ أحدهم له حاسبًا لوحيًا. نظرة واحدة سريعة كانت كفيلة بفولكوف لإلقاء الأمر، فالصبر لم يعد خيارًا متاحًا له الآن، خصوصًا أنه في مواجهة كيان لا يفهمه. «هل الموقع مؤمن؟» «نعم، سيدي» «والفريق؟» «ثلاثون رجلًا كما طلبت» أعاد الجهاز إليه دون كلمة إضافية. لم يعد يرى المطار ولا الرجال ولا الرحلة. كل ما بقي أمامه هو الشيء المدفون في نهاية هذا الطريق. في الطرف البعيد من المدرج كانت ثلاث مروحيات تنتظر، ومحركاتها تدور بالفعل. ملأ هديرها الأجواء، مبتلعًا بقية الأصوات حوله.

صعد فولكوف مع د. راينهارت إلى المروحية الأولى، بينما توزع رجاله على المروحتين المتبقيتين.
كانوا مدججين بالأسلحة بصورة مبالغ فيها لمهمة يفترض أنها أثرية.
بنادق هجومية.
معدات رؤية ليلية.
متفجرات.
ودروع ثقيلة.
كأنهم يستعدون لاقتحام حصن معادٍ، لا موقعًا منسيًا تحت الرمال.
بعد دقائق كانت المروحيات الثلاث تحلق فوق امتداد شاسع من الأرض القاحلة.
«آمل أنك على حق، يا دكتور»
رمقه د. راينهارت بطرف نظارته دون أن يتكلم. كان التوتر يتأكله من الداخل؛ لقد جعل فولكوف ينفق
ثروة طائلة بناءً على نظريته.
راقب فولكوف الأفق، بينما شرع راينهارت يقرأ الترجمة الخاصة بالموقع للمرة الخامسة، كأنه يخشى أن
يكون قد ارتكب خطأ فادحًا.
وأخيرًا ظهرت وجهتهم.
ارتعد راينهارت.
أما فولكوف فارتفع طرف فمه.
تلك الابتسامة التي لا تظهر إلا عندما يقترب من شيء قرر امتلاكه مسبقًا.
خفضت المروحيات ارتفاعها تدريجيًا قبل أن تهبط وسط سحابة كثيفة من الغبار.
قفز الرجال إلى الأرض فورًا وشكلوا طوقًا آمنًا حول الموقع.
لم يكن المكان ملفنًا للنظر.
مجرد آثار قديمة مهجورة تبدو كعشرات المواقع المنسية الأخرى.
تقدمهم د. راينهارت بخطوات متعثرة بالكاد تلامس الأرض، وقادهم إلى فتحة حجرية ضيقة تنحدر إلى
الأعماق.
اشتعلت المصابيح وبدأت المجموعة بالنزول عميقًا، عبر درجات قديمة نُحتت داخل الصخر منذ زمن
بعيد. كلما هبطوا أكثر، انخفضت الحرارة واختفى ضوء النهار خلفهم.
لم يبقَ سوى دوائر الضوء البيضاء التي ترسمها المصابيح فوق الجدران.
مرت الدقائق ببطء.
ثم انتهى السلم.

انفتح أمامهم ممر طويل غارق في الظلام، وفي نهايته وقف باب حجري ضخم، نُقشت عليه دائرة مقسومة إلى نصفين متطابقين.

لم يكن أجمل ما في المكان ولا أكثره تعقيداً.

بل أكثره غرابةً، كأن وجوده هنا لا ينسجم مع بقية الموقع.

أطلق راينهارت زفرة ارتياح مسموعة. لم يبدُ أن أحداً سمعها، فقد استحوذ هذا المكان على انتباهه بالكامل.

«لقد وصلنا، يا سيد فولكوف»

تقدم فولكوف بضع خطوات.

رفع يده ولمس سطح الحجر البارد.

سأل أحد الضباط:

«هل نحاول فتحه؟»

تمعن في الرموز المرسومة على الباب للحظات.

ثم استدار دون أي اهتمام بالنقوش أو التاريخ أو الأسرار المدفونة خلفه.

«فجّروه»

تدخل راينهارت فوراً: «ولكن، سيد فولكوف، يمكن أن يتضرر محتوى الغرفة في الداخل، وأن يتسبب

ذلك بانهييار فوق رؤوسنا»

أجابه فولكوف بحق: «إن لم تكن لديك طريقة لفتحه، فسأفجره»

صمت راينهارت وابتعد خطوة عن فولكوف، وهو يشعر بالعجز. لم يكن لديه أي طريقة أو فكرة لفتح

الباب.

أوماً فولكوف لرجاله، فبدأت الأوامر تتردد عبر أجهزة الاتصال.

تحرك المختصون بسرعة، تُبنت الشحنات على امتداد الشقوق القديمة، وتراجع الجميع إلى الخلف.

لمع الضوء الأحمر المنطلق من جهاز التفجير على وجه فولكوف القاسي، وبدأ العد.

«ثلاثة...»

«اثنان...»

«واحد»

دوى الانفجار داخل الأعماق كهدير وحش مستيقظ، ارتجفت خلاله جدران الموقع، وتساقط الغبار

والحصى من السقف.

اندفعت موجة من الهواء البارد لتضرب وجوههم عند تحطم الباب، وانقشعت سحابة الدخان بشكل

تدرجي، بينما سعل البعض وأخذ آخرون يلوحون بأيديهم ليعيدوا الغبار.

رفع فولكوف مصباحه نحو الظلام الذي ظهر خلف الركاب، وأعطى الأمر بالتقدم. تقدّمت المجموعة بحذر في الغبار المتصاعد من الانفجار. ولأول مرة منذ آلاف السنين، اخترقت أشعة المصابيح هذا الظلام. ثم توقفت الخطوات فجأة. لم تكن هذه الغرفة مجرد مقبرة أو مخزنًا للكنوز. كانت أشبه بمزار. امتدت القاعة أمامهم دائرية، شاسعة وصامتة، ترتفع جدرانها إلى الأعلى حتى تضيق في العتمة. نقوش حجرية تغطي مساحات واسعة من الجدران، لكن الزمن محامعها، تاركًا أشكالًا غامضة كأنها تراقب الوافدين من كل جهة. في وسط القاعة، وقفت مسلة سوداء شامخة، منحوتة من حجر داكن يلمع تحت الضوء الخافت. ورغم مرور القرون، ظل رأسها الذهبي يلتقط شعاع المصابيح ويعكسه ببريق خافت، أشبه بوميض عين في الظلمة.

تحت المسلة مباشرة، ارتفع هرم حجري صغير لا يتجاوز ارتفاعه أمتارًا قليلة، تصعد إليه درجات ضيقة من الجهات الأربع. وعلى قمته استقر مذبح غريب. لم يكن كموائد القرايين المصرية المعروفة، بل أقرب إلى مذبح كنيسة قديمة، صنّع وفق قواعد لا تنتمي لأي دين معروف. فوق ذلك المذبح، استقرت العين. بحجم الكف، جامدة، متحجرة. كأنها وُضعت هناك عمدًا لتحقق في السقف منذ الأزل. كان بؤبؤها موجّهًا نحو الأعلى، نحو فتحة دائرية صغيرة في قبة القاعة، فتحة لا يعلم أحد كيف وصل إليها ضوء شاحب بعد هذا العمق تحت الأرض. حول الهرم، تناثرت بقايا هياكل عظمية بشرية في أوضاع مختلفة. بعضها ممدد كأنه مات في سلام، والبعض الآخر تجمّد في هينات توحى بالرعب أو التوسل. جماجم فارغة استقرت عند قواعد الجدران، وعظام متفرقة غطاها الغبار حتى صارت كأنها جزء من أرضية القاعة. لكن أكثر ما أثار القشعريرة لم يكن الموتى، بل ذلك الإحساس الغريب بأن كل شيء في الغرفة – المسلة، الهرم، والمذبح، وحتى الهياكل – قد وُضع في مكانه بدقة لخدمة هدف واحد: حماية العين. هذا لم يكن سببًا لإيقاف فولكوف، الذي تحرك بخطوات سريعة يتسلق الدرج الصغير لقمة الهرم. «سيدي! كن حذرًا!»

ولكن فولكوف وصل بالفعل أمام المذبح، يحدق بالكرة الذهبية قبل أن يمد يده الثخينة ليتحسس سطحها الأملس.

ترددت يده قليلًا قبل أن تمس العين. كان شكلها، رغم صغر حجمها، مهيبًا، حتى بالنسبة لشخص كفولكوف.

تلاحقت الأفكار في ذهنه: ما نوع القوة التي سيحصل عليها عندما يلمس الكرة؟ هل سيترك كل من في الغرفة حيًا يعرف سر قوته؟ ما الذي سيفعل بعد الحصول على القوة؟ تملكه إحساس غريب، ليس الخوف، وإنما يقين أن الظلام يترصده.

وبعد ثوانٍ امتدت كأنها دهر، قرر أن يلمس الكرة أخيرًا.

بعيدًا عن حدود العالم الذي عرفه البشر، حيث لا تصل أصوات المدن ولا آثار الحضارات القديمة. هنا، لم تكن الجبال مجرد صخور، ولم تكن الظلال مجرد غياب للضوء. كان فيلوم جالسًا على كرسي منحوت من حجر يتلون بحسب زاوية النظرة إليه، وأصابعه الطويلة تراوح مكانها على ذراع الكرسي بإيقاع متباطئ، كمن يعدّ أنفاس عصور مضت. قال أزرافيل، وهو يقف على بعد خطوات من درجات العرش: «عثرت على العين» لم يتحرك فيلوم، لكن الظلال حول قدميه اهتزت للحظة كالماء حين تُلقى فيه حصة. رفع رأسه باستحسان: «جيد... أحضرها إلي»

لكن أزرافيل لم يبرح مكانه. بدت القدمان النحيلتان وكأنهما جذور شجرة عجوز تغرز في الصخر، وهو يخفي نظراته. مكث صامتًا برهة، ثم قال: «لقد حصل على جزء من قوتها بالفعل» انطلق هدير كالرعد يصم الأذان، حتى أن صوت أزرافيل خفت قليلًا رغم هيئته. تجمّد الجو بينهما كالزجاج المتشقّق. «سيدي»

نظر فيلوم إلى قبضته التي انقبضت على ذراع العرش، حتى بدت العروق البارزة كجذور تغطي الحجر. لكنه أرخى قبضته تدريجيًا، كمن يبتلع غضبًا بحجم محيط في جرعة واحدة، ورد أخيرًا، ولكن لم يكن في صوته غضب، بل خيبة هائلة:

«أحضرها إلي... لا خيار لدينا»

وقبل أن يختفي أزرافيل من المكان، أضاف فيلوم أخيرًا:

«لا تخالف القوانين... أنت تفهم ذلك»

«بالطبع»

الفصل العاشر

«حصل على العين؟»

«هذا ما قاله، وهو في طريقه إلينا»

«كيف؟!»

لم يعد وجه لوشيان مرآةً لرباطة جأشه. فقد انسحبت سكينته لتفسح مجالاً لدهشةٍ أخرجته عن صمته. وضع كأسه بتؤدة، وكأنه يمنح نفسه مهلةً قبل مواجهة نظرة كيو. كانت موسيقى الجاز تنساب برقة، لكنّها بدت في أذنيه نوازاً ساخراً؛ ففي هذا المقهى الأنيق، كان العالم ينهار أمامهما، ولم يكن هناك لحناً قادراً على تضييد جرح تلك الحقيقة.

سألته كيو، وفي عينيها العسليتين لاح بريق من الأمل. لوشيان، ذلك الرجل الذي يسبق الجميع بخطوة، كان الآن أمام خيار صعب.

«إذن... ما الذي ستفعله الآن؟»

كانت الثريات الكريستالية تبعثر الضوء على وجوههما كشظايا زجاج، وفي كلّ مرّة تنتهّد فيها كيو، كان البخار المتصاعد من فنان قهوتها يتلوى كأنه يهرب من حقيقة حديثهما. النادل يرتدي بدلته السوداء المخملية بحساسية مفرطة، يمسح طاولةً مجاورة للمرة العاشرة، وكأن نظافته المرصية تهزأ بفوضى الأسرار التي تتساقط بينهما.

التقت عيناها أخيراً. تبادلًا التحديق لوهلة قبل أن يجيبها لوشيان:

«هذا يعتمد...»

«على ماذا؟»

«لننتظر الآن فقط قدومه، أريد أن أرى ما حصل عليه»

نظرت إليه بازديادٍ شحذ جمال وجهها، فغدا كالسيف، لا يكتمل رونقه إلا حين تبرز حدته التي تخيف وتُبهر في آنٍ معاً:

«هل يمكن أن تتوقف عن كونك غامضاً للحظة... نحن في هذا معاً»

ابتسم لوشيان لها:

«ربما أفعل ذلك أحياناً، حتى أرى هذه النظرة على وجهك»

أدارت وجهها عنه، لمح فيه للحظة شبح ابتسامة سريعة أخفتها بالكاد:

«شارف على الوصول، يستحسن أن نرجع للفندق»

أوماً لها وتركها تذهب وحدها. لم يكن يريد لأحد أن يعرف أنه يقابلها، ليس الآن بالذات. ما يوشك على فعله جعل أطراف أصابعه تتلمس حافة الطاولة، كمن يتشبّث بحبل، قبل أن يدرك أنه ليس هناك حبل ولا طاولة ولا عودة.

ابتسمت نادلةٌ لزبونٍ في الطرف الآخر، وانطلقت ضحكةٌ مكتومةٌ من طاولةٍ خلفه، لكنّ كلّ هذه الحياة المُنفلة كانت تدور في مدارٍ موازٍ، لا يتقاطع مع مدارهما الممتلئ بالخوف والترقب. نهض لوشيان من مقعده، وركب في سيارته متجهاً إلى فندق فولكوف. وفي طريقه أدار مفتاح الراديو، فملأت النغمات الهادئة المقصورة. كان الطريق شبه فارغ في هذه الساعة المتأخرة، سيارةٌ أجرة تمرّ من بعيد، ثم درّاجٌ يندفع كظلٍّ هارب، فلا شيء يشبّه تفكيره سوى إشارات المرور التي تتقلب بين الأحمر والأخضر.

عند مفترق طريق، توقّف ليدع قطعةً سوداء تمرّ عبر الشارع. نظر إليها طويلاً، وابتسم ابتسامةً مرّة. كان يتمنّى لو أنّ الخرافات هي ما يخيفه الآن، لا ما ينتظره في جناح الفندق. وصل إلى أمام المدخل، لكنه لم ينزل فوراً. ظلّ جالساً خلف المقود، ينظر إلى الواجهة المضاءة، يعدّ أنفاسه، يحاول أن يتذكّر أيّ دور سيلعبه في الدقائق القادمة. دخل من الباب إلى صالة الاستقبال المعتادة، حيث يقف بضعة رجال معاً يرتدون ملابس باذخة. أخذوا يرمقونه بنظرات حادة.

لكنه لم يعيرهم أي انتباه، وتوجه بخطوات واسعة نحو المصعد الذي يقع في آخر الردهة. فُتح باب المصعد أمامه، ومعه انبثق ضوء خفيف من السقف ورائحة عطرية خفيفة. علم أنها رائحة عطر كيو الخاصة.

صقّى ذلك ذهنه، فاستعاد تركيزه بالغاية التي أوصلته إلى هذا الباب. وصل إلى أمام قاعة الاجتماعات الخاصة بفولكوف، توقف ثانيةً يلتقط أنفاسه. ثم دفع الباب دون أن يطورق.

كانت القاعة فسيحة، مفروشة بخشب داكن وإضاءة برتقالية دافئة تناقض برودة الرجال الجالسين حول الطاولة المستطيلة. في وسطها، وضع فولكوف يديه على جانبي كرة ذهبية صغيرة، كأنّه يحميها أو يختبرها. نظرته لم تكن نحو لوشيان، بل مثبتة على الكرة، وكأنّه يسمع منها شيئاً لا يسمعه الآخرون. إلى جانبه، جلس رجل ذو ملامح أجنبية ونظارات مدورة، يمسح جبينه المتعرق كل بضع ثوانٍ. ما الذي حدث؟ من المفترض أن يكون فولكوف سعيداً بما حصل عليه، ولكنه بدا مستاءً لسبب ما. هل قوة العين حقيقية؟ هل هناك سرٌّ أو طقس خاص لتفعيل قوّتها؟ أخذ لوشيان يتساءل في نفسه. رفع فولكوف نظره إليه:

«لوشيان... أين كنت؟»

مشى لوشيان باتجاه أقرب كرسي وجلس عليه. رفع أكمام قميصه وكأنه يأخذ وقته عمداً ليختبر صبر فولكوف.

«كان لدي شيء مهم أفعله...» توقف قليلاً، «شيء يهمني»

ردّ فولكوف بشيء من التملل:

«حسناً، هذا يمكن أن يؤجل...»

أشار إلى الكرة الذهبية وأكمل:

«يبدو أن لدينا مشكلة، إنها لا تعمل»

شعر لوشيان ببعض الارتياح، ولكنه لم يبين ذلك، وحافظ على ملامحه الهادئة الجافة وقال:

«عذراً... ولكن ماذا توقعت أن يحدث عندما تحصل عليها؟»

أضاف لوشيان دون أن ينتظر رد فولكوف. كل ما كان أسرع في تنفيذ خطته كان أفضل. عليه أن يتصرف بدقة وذكاء:

«أعتقد أنني أستطيع مساعدتك بإطلاق قوة العين»

تأمل فولكوف عيني لوشيان بفراصة، ثم نظر إلى الحروق على ساعديه:

«وكيف ستفعل ذلك؟»

نزلت إيف من سيارة الأجرة وانطلقت تركض نحو الزقاق المؤدي إلى شقة دوريان.
كانت المعلومات التي تحملها أهم من أي شيء آخر؛ عليها أن تقول لإيثان ما رأيته عن أزرافيل وسيدته.
كادت أن تسقط عندما وصلت إلى أمام الباب وطرقته بعنف.
لم يستغرق دوريان أكثر من نصف دقيقة قبل أن يفتح الباب لها ويرميها بنظرة دهشة.
كانت تلهث والعرق يتصبب من وجهها:

«ل... لقد... عثر عليها»

هز دوريان رأسه:

«من؟»

«العين... ع... عثر عليها»

وبينما كانت إيف تسند يديها إلى ركبتها، تحاول أن تلتقط أنفاسها، حضر إيثان ود. نورة خلف دوريان:
«ما الذي يحدث هنا؟»

سحبت د. نورة إيف إلى الداخل وأخذتها إلى أقرب أريكة:

«هل أنت بخير يا عزيزتي؟»

وقف إيثان قرب الممر، بينما بقي دوريان عند الباب.

جلست إيف وهي بالكاد تتنفس:

«أنت لا تفهمين... أزرافيل... لقد رأيته يتكلم مع سيده»

«ماذا؟»

«لقد عثرا على العين»

اخترقت الكلمات سكون الغرفة كالصاعقة، فتجمّد الجميع في أماكنهم، واتسعت العيون في ذهول.
بقيت يد د. نورة معلقة في منتصف الطريق نحو إيف، غير قادرة على مواساتها أو طرح السؤال الذي
يخيفها.

أما إيثان، فتعلقت عيناه بها، يحاول أن يجد في ملامحها أي علامة تخبره أن ما سمعه ليس حقيقياً.

انطلق مواء نوكس عند أقدامهم، ولكن هذه المرة كان صوته يحمل حزناً غريباً وخوفاً مكتوماً، كأن
غريزة قديمة فيه أخبرته بأن شيئاً مظلماً يقترب.

وفجأة راحت الغرفة تزداد حرارة بسرعة كبيرة، وانفجرت عبوة مشروب غازي كانت موضوعة على
الطاولة أمامهم.

«إيثان؟ ما الذي يحدث؟»

سأله دوريان، ولكنه كان يعلم أن سؤاله في غير محله؛ ليس: ما الذي يحدث؟ ولكن: لماذا يحدث هذا هنا؟

الهواء في منتصف الغرفة أصبح مضطرباً، كأن شيئاً غير مرئي يشق طريقه عبره. انحنت الظلال على الجدران نحو نقطة واحدة، ثم بدأت ملامح جسد أزرافيل تتشكل داخل الفراغ أمامهم، ومعه حرارة الغرفة تزداد بشكل رهيب، حتى أن جميع من في الغرفة كاد يختنق.

سقطت د. نورة من على الأريكة وهي تشفق، ولم يتحرك أحد لمساعدتها. لم يكن لأنهم لا يريدون، بل لأن أجسادهم رفضت الاستجابة. أمامهم لم يقف مجرد شخص... بل شيء جعل غريزتهم تصرخ قبل عقولهم.

لم يخطر في بالهم سوى تفسير واحد... لقد جاء أزرافيل لينهي حياتهم.

طفا أزرافيل في الهواء وتحركت نظراته بينهم، لكنها ثبتت على إيف أخيراً.

اقترب منها قليلاً وببطء شديد، جعل الهواء الذي تتنفسه في صدرها يضيق... أمسكها من ساعدها

المرتجف وبدأ يرتفع نحو شق في الفراغ كان يتوسع شيئاً فشيئاً.

صرخت إيف:

«لا!!!»

نطق أزرافيل بكلمة واحدة كانت مشبعةً بحزنٍ جعلها تبدو كأنها اعتراف لا مجرد صوت:

«آسف»

اندفع إيثان بشكل غريزي نحوها وحاول إمساك يدها التي انزلقت من أصابعه، وصلت إلى السقف مع

أزرافيل الذي شرع يختفي خلال الشق، ومعه إيف تصرخ.

انغلق الشق في بدون أن يترك أي أثر يذكر. انهار إيثان على ركبتيه، لم يجد معنى لكل القوة الجسدية التي

اكتسبها عند مواجهة أزرافيل، جسده وعقله ارتكبا أفطع خيانة، شعر بالعجز واحتقر نفسه بسبب ذلك...

نظر إلى أرضية الشقة المتربة والأسئلة تنفجر برأسه واحدة تلو الأخرى: كيف عثر أزرافيل عليهم ولم

أخذ إيف بدلاً عنه؟ من المفترض أنه يلاحقه هو، حامل الروحين.

«ثرين... ما الذي حدث للثو؟»

«رغم كل ما فعلته... لقد عثر عليها رغم كل ذلك»

انقبض صدر إيثان عند سماع كلمات ثرين. لم يكن يفهم شيئاً مما يحدث، ولكنه كان متأكداً الآن أنه يغرق

في الظلمة وقد سحب أصدقاءه معه إلى القاع.

التفت إلى د. نورة؛ كانت غائبةً عن الوعي، ولكن ما طمأنه أنها كانت تتنفس، وإلى جانبها نوكس يلحق

خدها بلطف. بينما كان دوريان متيبساً واقفاً عند الباب، وقد ابتلع الشحوب وجهه النحيف.

ما الذي سيحدث الآن؟ هل سيأتي أزرافيل لأخذهم واحداً تلو الآخر كما خطف إيف، أم أنه كان يريد

فقط؟

في هذه اللحظة بالذات، اقتحم الشقة ما يقارب ٢٠ رجلاً؛ بعضهم دخل من الباب، وآخرون حطموا النافذة وعبروا خلالها إلى غرفة المعيشة، حيث يجثو إيثان مذهولاً.

كانوا مدججين بالأسلحة النارية، يوجهونها نحوه، بينما تعثر دوريان على الدرج نتيجة دفع الباب من قبلهم.

وكان ما حدث منذ عدة دقائق لم يكن كافياً، الآن هم في مواجهة عصابة. التقت عيناه بشخص منهم كان ينظر إليه بشزر.

«لوشيان؟! ... كان عليّ قتلك»

لم يجبه لوشيان، اكتفى فقط بتفحص أنحاء غرفة المعيشة... يبدو أنه أدرك حدوث شيء غريب قبل أن يصل هو ورجاله.

وقف إيثان وهو يستشيط غضباً كبيراً على وشك الفوران وإحراق كل شيء حوله.

«ثرين... سأقتلهم جميعاً»

وقبل أن يأتي بأي حركة، ورغم تصريحه غير المنطقي بفعل شيء كهذا، خاصة أنهم كانوا جميعاً مدججين بالأسلحة، قال ثرين:

«أخشى أنه يجب علينا فعل ذلك في وقت آخر»

بدأ كف إيثان بإحراقه من جديد، وأدرك أنه على وشك أن يرى ذكرى أخرى، ولكن كان هذا الوقت في غير محله؛ هو على وشك الغياب عن الوعي، وحوله هو وأصدقائه رجال يوشكون على قتلهم.

«لا... ليس الآن»

ولكن إيثان انهار على الأرض وفقد وعيه.

فتح إيثان عينيه ليجد نفسه مستلقياً على سرير خشبي مرتفع عن الأرض، ارتكز على أربع قوائم منحوتة، وشُدَّ سطحه بشرائط جلدية متقاطعة تهدلت قليلاً بفعل السنين. عند رأسه استند مسندٌ خشبي مقوّس، صقله احتكاك الأعوام حتى غدا أملس كالعاج، بينما تراكم الغبار في الزخارف المحفورة على جانبيه. قفز من سريره يتلفت حوله، يبحث عن رجال العصابة الذين اقتحموا شقة دوريان للتو، ولكنه وجد نفسه في مكان مختلف كلياً.

كانت الغرفة صغيرة، شُيّدت جدرانها من الطوب، وغطتها طبقة رقيقة من الجص الأبيض الذي تشققت أطرافه مع مرور الزمن. تسالت خيوط الشمس من نافذة ضيقة قرب السقف، فأنارت الغبار العالق في الهواء.

وعلى الجدار المقابل استقرت منضدة منخفضة تعلوها آنية فخارية للماء، وكأس من الطين المتيبس، ومصباح زيتي صغير تفوح منه رائحة الزيت القديم. تدلت من وتد خشبي قطعة كتان مطوية بعناية، بينما افترشت الأرض حصيرة من البردي المنسوج، وقد بهت لونها من كثرة المشي عليها. لم تكن الغرفة فاخرة ولا فقيرة؛ كانت هادئة وعملية، لا تضم إلا ما يحتاجه صاحبها ليقضي ليلته ويستعد ليوم جديد.

«عليّ العودة لإنقاذ أصدقائي، لا أحتاج هذا الآن»

لم يجبه ثرين.

«أين أنت؟ لم لا تجيبي عندما أحتاجك؟»

لكم إيثان الحائط الذي تشقق منذراً بحدوث انهيار فيه. استيقظ في عالم لا يعرف فيه من هو، أين هو، أو في أيّ عصر هو.

«تباً لذلك السافل»

انطلقت الكلمات من فمه غريبة على مسامعه، ولكنها مألوفة بالوقت ذاته، كان يتكلم بلغة لم يعرف أنه قادر على التكلم بها.

نظر إلى صدره العاري والمزور القصير الذي كان يرتديه يلتف حول خصره، تلطخت حوافه ببقع من التراب والطين الجاف.

اندفع نحو الباب ليخرج، كان في حاجة شديدة لمعرفة أين هو الآن، عليه العثور على طريقة للعودة إلى الاستيقاظ بدلاً من الغوص داخل الذكريات.

عندما فتح الباب، ضربه ضوء الشمس الساطع على وجهه، ولبرهة لم ير شيئاً أمامه، ثم توضحت الرؤية شيئاً فشيئاً.

أمامه امتدت قرية من البيوت المنخفضة، بجدرانها الخشنة وأسطحها المسطحة، بينما كان الناس يسرون في الطرقات بثياب من الكتان الأبيض، غير مدركين للصدمة التي مزقت ذهنه.

بعضهم كان عاري الصدر مثله، وآخرون ارتدوا أزياء مشابهة بخطوط ذهبية.
إلى جانبه ركض عدة أطفال يلاحقون بعضهم ويتضحكون عبر ما يشبه سوقاً صغيراً، ثم رفع عينيه نحو الأفق... وهناك، خلف البيوت والنخيل، ظهر ما جعله يتوقف عن التنفس.
كان هرمًا هائلاً ينتصب في الصحراء، يلامس السماء بحجمه المهيّب. لم يكن صورة في كتاب أو أثراً مهجوراً يزوره السائحون؛ كان حديث البناء، كاملاً، أبيض الحجارة تحت ضوء الشمس.
عرفه قبل أن يسمح عقله لنفسه بالتصديق.
هرم خوفو.

غمره إحساس غريب بضرورة الذهاب إلى الهرم، حيث صور الرموز في الغرفة السرية، هناك حيث بدأ كل شيء أول مرة قابل فيها إيف.

وفي تلك اللحظة، تقلص قلبه بعنف، وغمره ألم حارق يشبه وخز إبر كثيرة تنتشر في جسده. انهمرت دمعاً من عينيه، بينما كان يستعيد في ذهنه كيف انترعت صديقه منه عنوةً، وهو واقفٌ مذهول، لا يمتلك من الأمر سوى عجزه الموجه.

ولسبب لم يفهمه، قدماه الحافيتان أخذتا بالتحرك نحو الهرم، وكأنه يُقاد إلى هناك.
عبر السوق الكبير وزحام الناس، متلفئاً حوله يتفحص كل تفصيل صغير خاص بهذا الزمن، كصوت مطارق النحاس القريب وهي تشكل الأواني.

رائحة الخبز الساخن الخارج من الأفران الطينية ملأت أنفاسه، بل جعلته جائعاً، عدا عن السلال المليئة بالتمر والعنب أمام الباعة وهم ينادون على بضائعهم.

في طريقه رأى رجلاً جالساً خلف منضدة يسجل شيئاً على ورق البردي، وكاد أن يصطدم بامرأة تحمل جرة ماء فوق رأسها بتوازن ثابت.

ارتج الماء داخل الجرة حتى ظن أنها ستسقطها، لكنها استعادت توازنها بحركة اعتادتها منذ سنوات.
رمته بابتسامة قصيرة، ثم واصلت سيرها كأن شيئاً لم يحدث، بينما بقي هو ينظر إليها مندهشاً من سهولة ما فعلته.

تمنى لو كانت إيف معه تستطيع رؤية ما يراه الآن.
اقترب من الهرم الآن ووصل أمام البوابة القريبة، كان واقفاً تحت مظلة من القصب يقي نفسه من أشعة الشمس الحارقة.

رأى عند المدخل حارسين يحمل كل منهما رمحاً طويلاً، يفسحان الطريق باحترام لكاهن عجوز يمشي بخطوات متعبة متثاقلة.

ولكن العجوز توقف فجأةً وأدار رأسه ليوأجهه من بعيد، وكأنه يعلم بوجوده... نظر إليه إيثان بارتياح، وهو يشير له بأن يقترب.

قال العجوز: «تعال هنا يا عنخ»

خطى إيثان نحوه بدون تردد، وهو يفكر بغرابة الاسم الذي ناداه به ذلك الكاهن، وعندما اقترب أفسح له الحراس المجال ليقف داخل الساحة الخاصة بالهرم.

بدون أي كلمات إضافية، أكمل الكاهن المشي داخل الهرم، مشيراً لإيثان اللحاق به.

المدخل بدا مختلفاً تماماً عن رحلته السياحية، لقد كان واسعاً ومضيئاً بشعلات متوهجة على الجدران،

ولكن الحر لم يتغير... تبع إيثان الكاهن الذي صعد إلى درج، ووصلا إلى القاعة الكبيرة.

خُيِّل إليه أن القاعة خاوية، غير أن ضخامة المكان جعلت الأشخاص القلائل المنتشرين فيها يبدو كأنهم تلاشوا بين جدرانه.

كان يقترب من الغرفة السرية التي أرشده ثرين إليها أثناء رحلته سابقاً، ولدهشة إيثان، توقف الكاهن

أمامها مباشرةً، وتلفت حوله كأنه يتأكد أن لا أحد ينظر إليهما، فقد كان الجميع مشغولاً بالتنظيف وتغيير الشعلات، وبعضهم كان يتلو صلوات خاصة.

تظاهر الكاهن بأداء الصلوات لعدة دقائق حتى ابتعد هؤلاء الناس عن المكان.

وضع يده على حجر في الجدار وضغطه بقوة، فصدر صوت احتكاك قوي، وانزاح حجر كبير كاشفاً عن الفوهة التي دخل منها منذ أسابيع مضت.

همس الكاهن دون أن يلتفت له: «ادخل».

دخل إيثان عبر الفوهة ومشى عبر الممر المظلم مترقباً. أجفل عندما سمع الفوهة تغلق مجدداً، لكنه استعاد نفسه وأكمل إلى الحجرة السرية التي كانت مضاءة بأربع مشاعل زيتية صنعت من الفخار، واستقرت كلُّ منها على نتوء خاص في كل جدار صُمِّم خصيصاً ليحملها.

تفحص إيثان النقوش المحفورة بعناية. بدت حديثة وجميلة، ولوهلة نسي أنه محبوس داخل الغرفة لوحده هناك.

لفت انتباهه وعاء طيني موضوع في إحدى زوايا الغرفة، يحتوي على مسحوق أبيض غريب.

ركع إيثان بقدم واحدة وحمل الوعاء، ثم وقف مجدداً، ولكن ما فعله بعدها هو ما أثار دهشته... أخذ يرش المسحوق على الأرض ليرسم دائرة، ثم يقطعها في المنتصف تماماً، وحولها رسم باستخدام المسحوق رموزاً غريبة.

انتهى أخيراً من الرسم على الأرض واستقام، ثم ردد الكلمات التالية: «باسم من حفظ التوازن الأول،

أعلن حضور من كسر الميزان ولم ينحن للنظام، التأثير الذي لم يخضع...»

صمت برهة قبل أن يقول: «أظهر نفسك».

لم يلبث إنهاء لفظ الكلمة الأخيرة حتى ارتجت الدائرة التي على الأرض كأنها استيقظت، ومعها ازدادت

حرارة الهواء داخل الغرفة حتى كاد إيثان أن يختنق... انبثق من الفراغ جسد يتشكل، كان بطول إيثان

تقريباً، ولكنه أكثر شحوباً وبياضاً، ذو عيون حمراء بلون الدم، كأن شيئاً داخله لا يزال ينزف منذ زمن طويل. ملامح وجهه طاغية وحادة، مع ابتسامة ساخرة تعلو وجهه.

انطلق منه صوت مألوف جداً، داوم إثبات على سماعه داخل رأسه: «نعم، نعم، يا لك من ساحر قدير! ألا يمكن أن نغير مكان اجتماعنا؟»

نظر ثرين حوله وأكمل: «هذا المكان؟ لا تزال تصرّ على أنه مقدس... مملّ فعلاً».

نفض عنخ الغبار عن جسده وسحب نفساً عميقاً:

«هل عثرت عليها؟»

«أرى أنك لم تفتقدني». اتسعت ابتسامته أكثر... «نعم، ولكن أزرافيل يحرسها».

انطلقت الكلمات رغماً عن إثبات وهو يتكلم مع ثرين. كانت فقط ذكرى لا يستطيع تغييرها... عاودت الأفكار بالانفجار داخل رأسه: لماذا يرى هذا الآن؟ ما المغزى من كل شيء؟ هل كانا يخططان منذ آلاف السنين للحصول على عين ماعت؟

«حتى لو حصلنا عليها، لن نستطيع استخدامها إلا بسحرٍ قديم جداً، وهذا له ثمن بالطبع».

أجابه عنخ بجدية: «أنا جاهز... أريد الخروج من هذا السجن بأيّ ثمن».

تبادلا لحظة صمت لاذع، حتى أن ثرين توقف عن المزاح الآن، وقال بوقار: «حسناً، لنفعلها. روحان، جسد واحد».

للحظة لم يفهم إثبات ما كان يحدث. أصبح جسد ثرين عبارة عن غبار، ولكنه يحمل نفس الملامح. أخذت ذرات الغبار بالتغلغل في جسد عنخ والتفت حوله تغطيه، وراح يصرخ من شدة الألم، وبصق دماً من فمه، ثم سقط أرضاً يتلوى.

وبعد مرور عدة دقائق، وهو ما يزال على الأرض، سمع صوت ثرين داخل رأسه: «إنهم قادمون».

انطلق صوت الاحتكاك مجدداً معلناً عن فتح الفجوة المؤدية للغرفة. سمع صوت خطوات عديدة تتجه نحوه... خمسة رجال يحملون رماحاً، ومعهم الكاهن الذي فتح له الباب مسبقاً.

«اعتقلوا هذا المهرطق».

رغم ألم عنخ، استقام بصعوبة ووقف يواجههم، ولكنهم طوقوه، ولسبب ما لم يجرؤ أحد منهم على الإتيان بحركة، وكأنهم يخشونه.

بسط عنخ كفه، وعندها صرخ الكاهن العجوز: «لا، لا تدعه يفعل ذلك!»

ولكن الأوان قد فات. انفجرت من كف عنخ رشّة نار كالمطرقة العملاقة. طُبق المشهد بلون البرتقالي الدموي، وارتفع زفير النار كأنين الجحيم، في لحظة اجتاحت فيها الحريق كل زاوية من حوله، ولم يبق سوى صوت الطقطقة والصراخ المتحجر.

نظر حوله إلى الجثث المتفحمة، واتجه يعبر الممر بأقصى سرعة يستطيع التحرك بها.

ولكن عند المخرج كان ينتظره عشرات الحراس، وهذه المرة لم ينتظر أحدٌ أو يتردد، بل قاموا بطعنه فوراً، الواحد تلو الآخر، حتى لم تبقَ فيه قوة تُبقّيه على قدميه. ابتلعت الظلمة عيني إيثان، وراح الفزع يسيطر على عقله، لكنه سمع صوت ثرين مرة أخرى وهو يقول بوقار: «الموت ليس النهاية يا صديقي».

الفصل الحادي عشر

ابتلع الليل الأفق، ولم يبقَ من السماء سوى كتلة سوداء تتلوى فوق المحيط الأطلسي كوحشٍ يبحث عن فريسته. كانت الرياح تعوي بلا رحمة، تدفع الأمواج إلى الارتفاع حتى بدت وكأنها تريد ابتلاع السماء نفسها، فيما كانت قطرات المطر تنهال كالسياط على سطح الماء.

ومع كل ومضة برق، كانت العتمة تنشق للحظة، كاشفةً عن بحرٍ هائجٍ لا نهاية له، قبل أن يعيده الظلام إلى غموضه. أما الرعد، فكان أشبه بقرع طبول حربٍ قديمة، يتردد صداه عبر الفراغ وكأنه يوقظ شيئاً ظل نائماً في أعماق المحيط لقرون.

لم يكن الخوف في تلك الليلة نابعاً من العاصفة وحدها، بل من ذلك الإحساس الخانق للأنفاس... الإحساس بأن المياه تخفي سراً لا ينبغي للبشر أن يقتربوا منه، وأن قوةً ما كانت تشق طريقها عبر الظلام، مستترةً خلف ستار المطر، منتظرةً اللحظة المناسبة للظهور.

وفي عرض الأطلسي، حيث تنتهي الخرائط ويبدأ المجهول، طفت إيف في الهواء، وكل عضلة في جسدها تنقبض توتراً. كانت في فسيح البحر، ولكن فوقه وإلى جانبها يطفو أزرافيل ممسكاً بيدها.

بدا أن الجاذبية لم تعد تؤثر بها، حتى إن المطر الهاطل تفادها؛ كانت جافة تماماً. ولكن ما أثار تساؤلها ودهشتها، رغم رعبها، هو: لماذا أحضرها أزرافيل لهذا المكان؟ لماذا المحيط... ما الذي جعله يأتي بها إلى أكثر مكان تخافه؟

نظرت إليه وجسدها يرتعد حتى اصطكت أسنانها:

«أر... أرجوك»

بقي أزرافيل هادئاً، ولم ينطق بأي كلمة، كأنه ينتظر أمراً ما...

لمحت إيف بعيداً قارباً ينازع، يشق صدر البحر كجرحٍ صغيرٍ في جسدٍ هائل، يضيع بين جبالٍ من الماء لا تهدأ. كانت الأمواج ترتفع كجدرانٍ سوداء مبللة بالزبد، ثم تنهار فوقه بعنفٍ كأنها تريد ابتلاعه بالكامل.

على متنه، كان البحارة يتشبثون بالحبال والألواح الخشبية كأنهم يتشبثون بالحياة نفسها. وجوههم مبللة بمزيج من المطر ورذاذ البحر، وعيونهم نصف مغمضة من الريح التي تصفعهم بلا رحمة. لم يكن هناك صوت واضح سوى صراخ الرياح، وهدير الماء، وصرير الخشب الذي يئن تحت ثقل العاصفة.

انتابت إيف رغبة لحظيةً بالصراخ، ولكن حتى لو سمعها هؤلاء الأشخاص في هذه العاصفة، كيف سيتمكنون من مساعدتها ضد هذا الكائن؟

يبدو أن لا أحد يستطيع مساعدتها الآن. تمتّ لو بقيت بجانب إيثان، تمتّ لو لم يحدث أيّ من ذلك. ولكن هل كانت ستلتقي به مجدداً بدون أن يجعله ثرين يأتي لزيارة الأهرامات؟

فكرت إيف: يا لها من مصادفة! مدرستها تقيم رحلة للطلاب المتفوقين، وفي نفس الوقت يقرر إيثان أن يأتي لاستكشاف الأهرامات... لا، هذه ليست مصادفة. أيقنت في قلبها أن هذا كله فعل ثرين... يبقى

السؤال بدون إجابة: لماذا؟

التقت أزرافيل إليها أخيراً، وتأملها بتمعن بوجهه الملائكي. قطع الصمت، وفي صوته حزن شديد استشفته إيف:

«هو يرغب بمقابلتك... ولكن علينا أن نتبع القوانين التي وضعت»

«ماذا؟»

«لن نسمح لثرين بالحصول على ما تملكين.»

لم تفهم إيف ما كان يتحدث عنه: قوانين؟ أيّ قوانين؟ وما الذي يريده ثرين منها؟

ترك أزرافيل يد إيف:

«إنها الطريقة الوحيدة»

وفي ثانية، أخذت تُسحب إلى الأسفل بسرعة كبيرة، كأن قوانين العالم طبقت من جديد. مدّت يدها إلى الأعلى، تحاول التشبّث بأي شيء، حتى الهواء حولها. سقوطها لم يكن كالسقوط من مرتفع، بل أشبه بالسقوط إلى عالم مختلف.

لحظة اخترق جسدها سطح المياه المتموج بعنف، اختفى صوت العاصفة والرياح الهائجة، واستبدل ذلك بصوتها المكتوم وهي تصرخ وتنازع داخل الماء. فتحت عينيها بصعوبة، فرأت ذلك الظلام المألوف يحيط بها من كل جانب.

أضحت تهوي إلى الأسفل، بشكل أسرع، مع حركات يديها الجنونية في محاولة عقيمة للسباحة إلى الأعلى.

هل سأموت هكذا؟

هل هذه هي النهاية حقاً؟

أمي... أبي... إيثان...

تذكرت وجهه في عقلها... الطريقة التي دائماً ينظر بها إليها. كيف يجعلها تضحك.

أريد رؤيتهم مجدداً.

ولكن لا، لن تكون هذه نهايتها... لن تستسلم لخوفها. هناك قارب قريب منها، ستجد إن قاومت ذلك الخوف الذي يربكها، ذلك الخوف الذي يشلها... عليها أن تنجو من أجل عائلتها، من أجل إيثان.

شعرت بلحظة من الصفوة، فتوقفت فوراً عن الحركة واسترخت. كانت تعلم أن الأوكسجين ينفد منها، عليها أن تسبح للأعلى وتختزل طاقتها.

يد تدفع إلى الأمام، ويد تدفع إلى الخلف... هكذا، نعم.

أخذت تصعد شيئاً فشيئاً، ولكنها كانت قد هوت إلى القاع بالفعل. لن تموت الآن بعد أن تغلبت على خوفها... ليس هكذا.

حاولت بكل ما بقي من طاقتها الاستمرار، ولكن الهواء راح ينفد من رئتيها، وتخدرت يداها... غمر دفء غريب صدرها.

رغم كل ما حدث، رغم أنها ستموت الآن، أحسّت بالهدوء والسلام يتغلغل في روحها.

أغلقت عينيها أخيراً، تبتسم لنفسها، وكأنها تحررت من عبء هائل يكبل روحها.

بينما كانت إيف تواجه أعمق مخاوفها، سافر إيثان عبر عصورٍ مضت في ذاكرته، حيث كانت بلاد الشام تموج بالحروب والعهود المكسورة، ارتفعت مدينةٌ تحرسها قلعةٌ لا تنام. وبين أسطحها الحجرية وأزقتها الضيقة، كان نزار يركض نحو مهمةٍ سيذكرها التاريخ.

تراصت بيوتها كصفوف متلاحقة تشبّثت بالأرض لقرون، وتصاعدت منها أصواتٌ باعةٍ وصريرُ عجلات، لكنها كلها كانت تبدو بعيدة، مكتومة، كأنها تُسمع من قاع بئر. الجوُّ هنا أبردُ بكثير، يحمل رائحةً خشبٍ محترقٍ من مواقد لا يراها.

كانت ملابسه مختلفة: جبةٌ سوداء فضفاضة فوق قميصٍ من كتانٍ خشن، وحزامٌ جلديٌّ يضغط على خصرته، وفوق كل ذلك، غطاءً للرأس يُخفي معظم ملامحه، تاركاً فتحةً ضيقةً لعينه. في يده اليمنى، كان يشعر بوزنٍ مألوف: خنجرٌ طويل، نصله غائرُ الظلِّ كأنه يبتلع الضوء قبل أن يلمع.

ركض على حافةٍ سقفٍ من الطوب المشوي، ثم قفز إلى سقفٍ آخر، دون أن يُحدث صوتاً يُذكر. كان جسده يتحرك وكأنه يسبق إرادته: انحناءٌ هنا، التفاتةٌ هناك، القفزات المحسوبة التي تهبط على النقاط الأكثر ثباتاً في كلّ بناء. شيءٌ في عضلاته كان يتذكر درباً لم يخضه في هذه الحياة بعد.

توقّف للحظة على حافةٍ مئذنةٍ ضيّقةٍ، ورفع أنظاره نحو الأفق. هناك، فوق التلّة التي تتوسط المدينة، كانت القلعة تلوح كسبّ حجريّ ناتئٍ من قلب الأرض، شامخةً فوق البيوت والأسواق، تحرس المدينة كما لو أنها عينٌ مفتوحة منذ قرون. لَقَّها ضباب المساء الخفيف، فبدت كأنها منفصلة عن العالم، تحمل بين جدرانها أسرار ملوك وجيوش مرّت من تحتها.

«أتعرف هذا المكان؟» همس في ذهنه.

رد ثرين بخفوت:

«قلعة حلب»

«ما الذي فعله هنا في هذا المكان؟»

نظر إلى كفه الأيسر. كان الخنجر لا يزال هناك، ومعه وشاح حريري أحمر، ملفوف حول مقبض الخنجر، يحمل تطريزاً دقيقاً على حافته. لم يستطع قراءة الكتابة في الظل، لكن أصابعه عرفت شكل الحروف، كما لو أنها لامستها ألف مرة من قبل. كان وشاح القائد. علامة المهمة التي لا تُرفض. رفع بصره نحو القلعة القريبة أمامه، ثم إلى السماء التي بدأت تميل إلى الاصفرار. كان عليه أن يصل قبل غروب الشمس. قفز مجدداً، وهذه المرة، شعر ببرودة الخنجر تضغط على راحته، كأنه يذكره: لم يأت ليقاتل أحداً هنا. لقد جاء لينقذ ما قُدّر له.

هدفه رجل واحد... وإن أخطأ، فلن تشرق عليه شمس اليوم التالي.

غيّر اتجاهه سريعاً، وهبط متسلقاً نحو السهل المجاور، حيث تنتشر الخيام العسكرية.

لم يكن الرجل الذي جاء من أجله ملكاً، ولا أميراً عادياً.

كان قائداً تتقدّم جيوشه من مصر إلى الشام، حتى صار اسمه يتردد في الأسواق كما يتردد في مجالس السلاطين.

اقترب أكثر، متخفياً بين ظلال الخيام، بينما كانت أصوات الجنود تختلط بصهيل الخيول واحتكاك الحديد. توقّف نزار خلف أحد الأعمدة الخشبية، يراقب الخيمة الكبرى في وسط المعسكر. لم تكن الأكثر فخامة، ولم تحط بها مظاهر الترف التي توقعها من رجلٍ يحمل هذا القدر من السلطة، لكنها كانت الأكثر حراسة. تقدّم أحد الجنود إلى مدخلها وانحنى قبل أن يدخل. في تلك اللحظة، ظهر الرجل الذي جاء من أجله.

لم يكن يشبه الطغاة الذين رسمتهم الحكايات في ذاكرته. لم يكن محاطاً بالذهب، ولا جالساً فوق عرشٍ يطلب الطاعة. كان رجلاً هادئ الملامح، يحمل في عينيه تعب سنواتٍ من الحروب، وكأن هموم أمةٍ كاملة تستقر فوق كتفيه.

عرفه نزار قبل أن يسمع اسمه.

صلاح الدين الأيوبي.

للحظة قصيرة، تجمدت يده فوق مقبض الخنجر.

ولكن لم هذا التردد الآن؟ هل ولدت الرحمة من العدم في قلبه؟

شيء ما في أعماقه ارتجف، كأنها ذكرى قديمة حاولت أن تخرج من بين جدران النسيان.

ثم جاء صوت ثرين في عقله:

«هو يملكها»

خفض نزار عينيه نحو الخنجر.

لم يكن يعلم أن هذه الليلة لن تنتهي بموت رجل واحد... بل ببداية سلسلة من الأحداث ستغير مصير أرواح عبر القرون.

انساب نزار عبر الحراس الذين أخذوا بالابتعاد واحداً تلو الآخر. يبدو أن ثرين أبعدهم عن المكان. التف حول الخيمة المحددة، ثم دخل من الخلف...

استقبله هدوء غير متوقع، رغم كل الضجيج في الخارج.

تراقص ضوء المصباح الزيتي فوق رقعة كبيرة من الجلد المنبسطة على الطاولة، حيث جلس صلاح الدين بعينين معلقتين على خريطة للشام، يتتبع بأصابعه طرق الجيوش والمواقع، كما لو أنه يحمل ثقل البلاد فوق كفه.

إلى جانبه عدد من الرسائل المختومة بالشمع، بعضها من قادته، وبعضها الآخر يحمل أخباراً عن أسرار أعدائه.

تقدم نزار خطوة نحوه دون أن يصدر صوتاً يُذكر، وقبل أن تقع عيناه عليها، شعر بوخز بارد في صدره، كأنها تناديه. توقفت عيناه بشكل فوري نحو زاوية الخيمة. إلى جوار سيف القائد وعباءته، كانت ترقد كرة ذهبية بحجم اليد، يختفي جزء منها تحت قطعة من القماش.

«ما الذي يجعل هذا الشيء مميزاً للغاية؟»

انتفض نزار لبرهة عندما استدار نحوه صلاح الدين، يكلمه بثؤدة، كأنه يكلم شخصاً يتوقع قدومه.

تجمد في مكانه. الطريقة التي يتحدث بها معه، دون غضبٍ أو دهشة.

«هل... هل كنت تعلم بقدومي؟»

ابتسم صلاح الدين بخفة قبل أن يعاود الانشغال بالخريطة بلا مبالاة:

«توقّعت أن يأتي أحدهم»

«كيف؟»

«رأيت رجالاً يقتلون من أجلها قبل أن أعرف حتى حقيقتها»

اقترب نزار خطوة أخرى نحو العين، وفي نظراته فضول يحرقه.

«كيف حصلت عليها؟»

صوّب صلاح الدين نظراته الصارمة نحو عيني نزار، وتغيّرت ملامحه فجأة:

«لم أبحث عنها»

ثم التفت نحو الكرة الذهبية:

«وجدتها بين متاع أحد فرسان الهيكل...»

ضاقت عينا نزار: «ولماذا تحتفظ بها؟»

استقام صلاح الدين بسلاسة، ملتقطاً سيفه، مما جعل نزار يتراجع خطوةً إلى الخلف بسرعة.

«لأنني أعتزم تدميرها، إنها أخطر من أن تقع بين يدي البشر.»

أكمل صلاح الدين، وسيفه بيده، ولكنه لم يوجهه بعد نحو نزار:

«في البداية ظننت أنها مجرد أثر قديم... ثم رأيتُ ما يفعله وجودها بمن حولها.»

صك نزار على أسنانه:

«هذه الكرة ملك لي»

أبقى صلاح الدين سيفه بغمده، لكنه حقق به كما لو أنه رأى خلف القناع وجه رجلٍ آخر.

«وهنا تكمن المشكلة... كل من قال ذلك قبلك كان يظن الأمر نفسه»

خلف عيني نزار، كان شخص آخر يستيقظ...

اختفى كل شيء للحظة، وابتلعت الظلمة المكان بشكل مباغت. شعر إثنان كأنه يطفو داخل أفكاره الآن،

يراجع كل الحيوانات التي عاشها، كل القرارات التي اتخذها، منذ كان ساحراً في مصر القديمة. هل كان

يخطط لذلك لعصور مع ثرين؟ هل رغبته بالخروج من هذا المكان هي ما يدفعه، أم أنه ثرين، صديقه

عبر الأزمنة...

لا، إنه الفضول.

كسر القيود التي تجعله لا يدرك ماهية نفسه، أن ينسى هويته. إنها بالفعل أخطر جريمة حدثت في

الوجود... استطاع أن يرى سبب غضب ثرين وفهمه، حتى تذكر أنه غضبه أيضاً... كرس حيواته للتمرد

على هذا النظام. لا مجال للفشل الآن.

استعاد نفسه أخيراً. كان يقف على حافة مكان عالٍ جداً، الهواء هنا أرقّ من أن يملأ رئتيه. النقط نزار

أنفاسه بالكاد، والرياح تلم وجهه. يبدو أنه لا مخرج له الآن. سمع خلفه صوت عشرات الأشخاص

يقتربون منه وهم يصرخون:

«أين هو؟»

فشل في استعادة العين، والآن سيموت. للمرة الأولى، أدرك نزار أن وجود ثرين إلى جانبه لا يعني أنه لا

يُفقر.

تجمع الرجال حوله، تضيق الدائرة أكثر فأكثر، حتى لم يعد يرى سوى أطراف السيوف التي تعكس ضوء المشاعل الخافت في العتمة. لا طريق خلفه... فقط فراغٌ هائل يمتد إلى الأسفل، هاويةٌ تلتهم الحواس قبل أن تلتهم الجسد.

تقدم أحدهم نحوه، وصوت خطواته فوق الحجر كان أثقل من صليل الحديد. حاول أن يستدعي ثرين، أن يشعر بذلك الحضور الذي رافقه عبر العصور، لكن الصمت كان هو الإجابة الوحيدة. لا همس في عقله، لا يد تمتد من الظلام، لا قوة تنقذه.

«ربما ليس في هذه الحياة»

تراجع خطوة إلى الخلف.

ثم أخرى.

حتى شعر بأن كعب قدمه لم يعد يجد أرضاً تحته.

توقف الزمن للحظة.

نظر خلفه، فرأى الفراغ فقط. لم يكن القاع واضحاً، وكأن الهاوية نفسها تخفي ما ينتظره في الأسفل.

اقترب الرجل حامل السيف، ورفع نصله استعداداً للضربة الأخيرة.

وفي تلك اللحظة، لم يفكر نزار في العين، ولا في المهمة، ولا في ثرين.

فكر فقط: لا أريد الموت.

اندفع الرجل نحوه، وانعكس بريق السيف في عينيه. حاول نزار تفادي الضربة، لكن قدمه انزلقت فوق

حافة الحجر المحطم.

اختفى العالم من تحته.

لم يعد هناك صوت للجنود، ولا صليل للسيوف، ولا صراخ في السماء.

فقط الريح.

ريحٌ باردة مزقت ملابسه وصفعت وجهه، بينما كان يسقط.

حاول الإمساك بأي شيء، بأي حافة، بأي جزء من العالم الذي بدأ يبتعد عنه، لكن أصابعه لم تجد سوى

الهواء.

وفي داخله، تصارعت آلاف الذكريات.

وجوه لم يعرفها.

أماكن لم يزرها.

حيوات عاشها ونسيها.

الخوف من الموت لا يعدّ شيئاً يُذكر، أمام الخوف من فشله في معرفة من كان...

ثم خرجت صرخته ممزوجة بصوت الريح، وهو يهوي نحو الظلام.

بعد اقتحام شقة دوريان وخيانة لوشيان لهم، أضحت الأمور تسوء أكثر فأكثر، وكأن خطف إيف لم يكن كافياً، أصبحوا في مواجهة ما يقارب عشرين شخصاً مدججين بالأسلحة.

ومما زاد الطين بلة أن إيثنان، الشخص الوحيد القادر على إيقافهم، كان فاقداً للوعي، ومعه ثرين.

لم يكن أمامهم سوى الانصياع. أجبرهم أولئك الأشخاص على مغادرة الشقة، ثم دفعوهم إلى الصعود داخل سيارة مجهولة الوجهة، بينما كانت فوهات الأسلحة موجهة إلى رؤوسهم.

ولم يفوت بعضهم فرصة السخرية من إيثنان الملقى بلا حراك؛ فقد أطلقوا عليه ألقاباً ساخرة مثل: «ملك الإغماء» و«ذو الأعصاب الهشة»، بعدما فقد وعيه لحظة اقتحامهم للمكان.

حاول دوريان المقاومة. اندفع لحماية صديقه، لكن عددهم وقوتهم جعلاه عاجزاً عن فعل شيء. تلقى لكمّة قوية في معدته أجبرته على الانحناء، وحين سقط على ركبتيه وهو يكافح الألم، زمجر بصوت متقطع:

«كان علينا قتلك... أيها السافل»

لكن لوشيان لم يهتم بإهانات دوريان أو بسخريتهم من إيثنان. كان يعلم أن شيئاً ما حدث داخل الشقة، وأن هناك ما هو أهم من انتصارهم المؤقت.

بدأ يبحث في أنحاء المكان بقلق، وكأن شيئاً ما لا ينسجم مع الصورة أمامه.

نوكس اختفى أيضاً.

أما د. نورة فكانت غارقة في الرعب. وحين أجبروا على ركوب السيارة التي ستقودهم إلى مكان مجهول، صعد لوشيان معهم. لم تستطع أن تنظر إليه.

انسابت دموعها بصمت على خدها.

كان الألم أكبر من أن يُبكي.

لم تكن قادرة على الكلام، ولا حتى على مواجهة لوشيان بكلمة واحدة؛ الرجل الذي باعهم دون تردد.

شيئاً فشيئاً، تراجعت أضواء المدينة خلفهم، حتى غمر الظلام آخر مبانيها، وانحرفت السيارة نحو طريق ريفي لا يعرفون إلى أين يقود.

كلما طال الطريق، ازدادت الأسئلة في رؤوسهم: إلى أين يأخذونهم؟ ولماذا لم يقتلهم هؤلاء حتى الآن؟

ما الذي حدث لإيثنان؟

خفّت سرعة السيارة تدريجياً.

لم يبقَ حولهم سوى ظلام الريف وسكونه.

انعطفت السيارة عن الطريق الرئيسي، ودخلت مساراً ترابياً تحيط به الأشجار من الجانبين. كانت عجالاتها تثير سحباً من الغبار مع كل متر تقطعه، بينما كانت المصابيح الأمامية تشق طريقها بصعوبة بين العتمة.

وبعد دقائق، ظهرت في البعيد أضواء خافتة وسط الحقول.

أخذت ملامح المكان تتضح؛ مزرعة واسعة محاطة بسياح خشبي قديم، تمتد خلفه مساحات من الأرض المظلمة، وفي الجانب الآخر مبنى كبير يبدو ساكناً، كأنه مهجور منذ سنوات.

توقفت السيارة أمام البوابة الحديدية، فانفتح الطريق أمامهم. لم يكن هناك ما يوحي بالحياة سوى صوت الرياح وهي تمر بين الأشجار وصدى خطوات الرجال الذين نزلوا لاستقبالهم.

حدّق دوريان من النافذة محاولاً استيعاب المكان، لكن كل ما رآه أكد أسوأ مخاوفه.

لقد ابتعدوا كثيراً عن أي مكان يمكن أن يصل إليه أحد لإنقاذهم، ووجد نفسه يتمنى لو يظهر أزرافيل مجدداً.

فتح أحد المسلحين الباب وأمرهم بالنزول.

للمرة الأولى، شعروا أن الرحلة لم تكن سوى بداية لما ينتظرهم.

لحقت بهم عدة سيارات أخرى كان فيها بقية الأشخاص الذين اقتحموا الشقة.

نزل دوريان ود. نورة أمام المبنى المهجور، بينما بقي إيثان في السيارة، غارقاً في غيبوبته. اقترب منه اثنان من الرجال، وأخرجاه بلا مبالاة، ثم ألقياه على الأرض أمامهم.

ارتطم جسده بالتراب بصوت جعل د. نورة تنتفض في مكانها.

اتسعت عيناها وهي تنظر إليه بخوف، وكادت أن تندفع نحوه، لكن دوريان أمسك بيدها قبل أن تفعل.

قال بصوت منخفض، محاولاً طمأنتها:

«اهدئي... سيستيقظ قريباً»

لكنه، رغم كلماته، لم يكن متأكداً إن كان يحاول طمأنتها أم يقنع نفسه بذلك.

إيثان هو الأمل الوحيد الذي بقي لهم... والآن كان ملقى أمامهم بلا حراك.

تكلم أحدهم:

«سيصل الرئيس قريباً، من الأفضل أن تجهزوا المكان»

أوماً له عدة رجال، وذهبوا باتجاه المبنى، وفي خلال دقائق كان المبنى مضاءً من الداخل.

لمح دوريان إيثان يحرك يديه المقيدتين خلفه للحظة، وفي طرفة عين توقف عن ذلك. هل كان يتخيل

ذلك؟ هل هو لهذه الدرجة يائس ليتخيل هذه الأمور الآن؟

فكر في عقله:

«انهض أيها الأحمق»

في هذه الأثناء، وصلت سيارة فاخرة وتوقفت أمامهم مباشرة. الوهج الصادر عن المصابيح الأمامية للسيارة جعل من الرؤية أمراً غير ممكن.

وما إن انطفأ محركها حتى عمّ المكان صمتاً مفاجئاً، وكأن عشرات الرجال نسوا للحظة كيف يتنفسون. تمكن دوريان بالكاد من رؤية ظلّي رجلين وامرأة ترافقهما، وسمع أحدهم يقول:

«أحضرهم إلى الداخل.»

تردد صوت عدة خطوات ثقيلة نحوهم. التفت دوريان مرة أخرى إلى إيثنان، مما أثار دهشته أنه كان مستيقظاً، يحدّق بالأشياء التي حوله فقط. وعندما التقت عيناها، غمزه إيثنان. شعر دوريان ببعض الراحة. تمنى أن تكون خطته الاحتياطية قد نجحت؛ كان قد أرسل تعليمات للمختص الذي أصلح سيارة إيثنان بإجراء تعديلات عليها، دون أن يخبر أحداً. جعلهم رجال العصابة يدخلون قسراً داخل المبنى. مشوا عبر الممر المضاء بالمصابيح الكهربائية القديمة، ومالت أنوفهم رائحة العفن والخشب المبتل. وصلوا إلى حجرة واسعة تناثرت فيها أرائك ومقاعد قديمة، أما على الجدران، فتعلقت بضع لوحات مألوفة لرسامين مشهورين، وكأن أصحاب المكان حاولوا إضفاء لمسة من الفخامة على هذا المبنى المنعزل.

لكن لوحة واحدة جذبت انتباه دوريان أكثر من غيرها. كانت أكبر من باقي اللوحات، تصور عالماً غارقاً في الفوضى؛ ألسنة نار تلتهم الأرض، وأجساداً تهرب من مصير محتوم، بينما بقيت في الأعلى هيئة مضيئة تراقب كل شيء بصمت.

لم يعرف اسم اللوحة، لكنه شعر بشيء غريب تجاهها. لم تكن تبدو كعمل فني معلق على جدار، بل كتحذير قديم وُضع في المكان لسبب مجهول.

«إذا... استيقظت أخيراً»

لمع صوت ثرين في ذهن إيثنان كعادته، لكنه لم يجبه.

«لا أستطيع سماع أفكارك... هل أغلقت عقلك؟»

أكمل ثرين كأنه يكلم نفسه:

«إحدى المهارات التي تعلمتها في حيواتك السابقة... لم لا تجيبني؟ بدأت أشعر بالوحدة حقاً.»

أجابه إيثنان ببرود أخيراً، بينما كان الرجال يجزّونه نحو منتصف الغرفة، غير عالمين باستيقاظه:

«ما الذي فعلته، أيها الأحمق؟ إن كان ما أفكر فيه صحيحاً، سأنهيك.»

رد ثرين بشيء من الحذر في صوته، حاول إخفاءه، ولكنه كان واضحاً لإيثنان:

«هذه ليست الطريقة التي يخاطب بها صديقٌ صديقه»

«سأتعامل معك لاحقاً... أريد أن تحصى عدد الرجال هنا»

كان إيثان الآن ملقى على وجهه بجانب دوريان ود. نورة، وهما جاثيان، ولم يعجبه صوت لهاث د. نورة. علم أنه يجب عليه التحرك سريعاً.

أجابه ثرين بلا مبالاة:

«حسناً»

ارتفع صوت مألوف عرف أنه فولكوف:

«ما الذي حدث له؟ لِمَ هو مستلقٍ بهذه الطريقة؟»

ضحك بعض الرجال، وردّ أحدهم:

«غاب عن الوعي لحظة دخولنا... لا أقصد الإساءة، يا رئيس، ولكن هل هذا حقاً ما أحضرتنا من أجله؟»

تغيّر جو الغرفة فجأة، وهذا الجميع لدقيقة. من الواضح أن فولكوف لم يعجبه آخر تعليق، وهذا الضعف

الظاهر على إيثان لوّث صفاء انتصاره.

مرّت لحظة من الصمت قبل أن يقول بلهجة أمرة:

«أيقظه... الآن»

«سيدي»

عاد ثرين أخيراً:

«حفلة كبيرة بالفعل... عشرون رجلاً في هذه الغرفة، وعشرة في الخارج»

«هل هناك خط للغاز يمرّ من هذا المكان؟»

«لماذا تسألني عن هذا الآن؟ كم مرة يجب أن أبحث هنا؟»

«فقط نفّذ، وتوقف عن التذمر داخل رأسي»

ضحك ثرين:

«يبدو أنك ستستيقظ بطريقة لا تعجبك»

ومن حيث لم يدر، انسكبت كمية كبيرة من الماء البارد المثلج عليه، مما جعله ينتفض ويحاول الوقوف

فوراً، قبل أن يشعر بيد تضغطه نحو الأسفل. كان يستطيع كسر اليد في طرفة عين، ولكنه انصاع لذلك؛

عليه معرفة ما يواجهه قبل أن يتصرف.

اتسعت الغرفة حوله بما يكفي لتحوي عدداً كبيراً من الأشخاص، والكثير منهم يوجهون أسلحتهم باستهتار

نحوه هو ورفاقه.

أخذ إيثان يفكر في نفسه:

عدد كبير من الأشخاص.

مساحة لا تساعد على استخدام العنف أو السحر؟
تذكر سحر عنخ وقدرته على تحويل أي حيز إلى جحيم فعلي.
ماذا إذاً؟

تساءل في نفسه إن كان حقاً يستطيع فعل ذلك بمجرد تذكر حياته السابقة. تغييره الجسدي كان أثراً لذلك،
ولكن السحر لم يحلم في حياته بوجود شيء كهذا.
يجب التفكير بسرعة الآن. استخدام ما يعرفه، بالإضافة إلى قدرات ثرين. أهم هدف لديه الآن إخراج
أصدقائه من هذا المأزق الذي كان هو السبب فيه.
لا، ليس هذا وقتاً للشعور بالذنب. عليك التركيز.
تكلم فولكوف بجمود، وهو يرمق إيثان بنظرة متحفظة:

«أنا أملك العين؟»

توتر فكّ إيثان قليلاً.

العين... لقد حصل عليها.

كيف؟

متى؟

عاد صوت ثرين:

«هو يظن ذلك... لا يوجد أي خط للغاز يمر من هنا.»

كان ثرين غير مبالي بتصريح فولكوف، مما طمأن إيثان وجعله يركز مجدداً.

«هذا جيد»

سأله فولكوف أمراً:

«كيف تعمل؟»

قال إيثان، يلتفت نحوه بلا مبالاة:

«ربما يعرف كيف تعمل من أرشدك إليها.»

أضاف، منتقداً بنفس الأسلوب:

«لَمْ لا تسأله هو وتدعني وشأني؟»

وابتسم ببرود عندما انتهى.

اختفت الابتسامات المرسومة على ملامح جميع من في المكان، حتى إن أقربهم لإيثان لكمه على وجهه
بقوة.

تلقي إيثان اللكمة، وللعجب لم تؤلمه أو تهزه، ولكن كان من الضروري أن يتظاهر بأنها مؤلمة.
تراجع الرجل نصف خطوة دون أن يدري؛ اللكمة التي وجهها لم تنتج أي رد فعل طبيعي.

قال ثرين:

«لدي بعض الأخبار... دوريان لديه جهاز تحكم عن بُعد لسيارتك»

«رائع»

رفع إيثان رأسه، ولمح خلف فولكوف ألسنة اللهب المرسومة فيها. بدت أكثر اضطراباً تحت ضوء

المصابيح القديمة، حتى خُيِّل له أن النار لم تعد حبيسة القماش.

«كل لقاء نفس طريقة الترحيب... ألا تذكر كيف انتهى الأمر عندما فعلت ذلك أنت ورجالك؟»

اقترب منه فولكوف خطوة، بشفاه منحنية، لم يصل انحنائها إلى عينيه:

«هذا صحيح تماماً... لذلك دعوتهم معك»

أخرج سلاحه من جيبه بسلاسة، ووجه فوهته نحو صدغ د. نورة.

راحت د. نورة ترتعد برعب. جعل هذا المشهد إيثان يصك على أسنانه بقوة، ويشعر بحرارة هائلة في

يديه.

لا... ليس الآن. عليه أن يركّز.

تكلم إيثان سريعاً:

«لا داعي لهذا الأمر... فقط أرني العين»

توقف فولكوف برهة قبل أن يبعد سلاحه عن د. نورة، ثم يصحح مكان ربطة عنقه بأناقة.

«ولماذا عليّ فعل ذلك؟»

أجابه إيثان بقلّة صبر:

«ألا تريد معرفة كيف تعمل؟»

تناول فولكوف كأس النبيذ من أحد رجاله، وتفحصها قبل أن يرتشف منها كمية صغيرة.

التقت أخيراً إلى أحد رجاله:

«أحضرها إليّ»

قال ثرين بملل:

«حسناً... بما أنك تصرّ على الحلول العقلانية، المرأة الآسيوية ولوشيان يخططان لإعطائك العين... لقد

أحضراك إلى هنا حتى تحصل على العين.»

«ولكن لماذا؟»

«مجرد دراما رومانسية... هل يمكننا التركيز الآن؟»

حوّل إيثان نظره نحو زاوية الغرفة.

كانت كيو تقف خلف رجلين بترقّب، بينما وقف لوشيان إلى جوارها، يحدّق به بشزر.

لاحظ إيثان أن يد لوشيان مستقرة قريباً من جيبه، كأنه يستعد للتحرك. تمنى لو استطاع مخاطبة رفاقه بعقله فقط، لانقلبت موازين هذا الموقف.

حصر خياراته بسرعة... سيارة يمكن التحكم بها عن بُعد... لوشيان يتربص اللحظة المناسبة، وثرين والقدرة على السيطرة العقلية.

لم يكن ينقصه سوى... شرارة واحدة.

حضر رجل فولكوف، وفي يديه صندوق خشبي مغلق. تحوّل الجو المشحون إلى ترقّب الآن. فتح الصندوق ليخرج نفس الكرة الذهبية التي رآها إيثان عندما حاول التسلل إلى خيمة صلاح الدين الأيوبي.

اندفع الدم إلى عروقه بعنف، وانقبض قلبه بقوة.

ثرين لم يكن مبالياً، ولكن ها هي أمامه الكرة الحقيقية.

العين التي بحث عنها لعصور، الآن أمامه، ولسبب ما لم يشعر بأي رد فعل من ثرين.

لمعت الكرة بين يدي فولكوف وهو يقلبها تحت الضوء البرتقالي على الجدار.

يجب التصرف حالاً قبل أن يكشف فولكوف كيف تعمل. انتبه إليه الأخير وهو ينظر بشزر إلى العين. قال فولكوف:

«إذا؟»

همس ثرين:

«صديقك يقول إن السيارة ستصل في أي لحظة قريباً»

عليه أن يقول شيئاً يجعل دوريان يفهم ما يريده. صديق الطفولة الوحيد، عليه أن يفهم ما يريده... قرر إيثان الوثوق بحدس صديقه.

أجاب إيثان أخيراً:

«أحاول تذكر كيفية عملها... لا أشعر أنني بخير، وكأن رأسي اصطدم بأحد هذه الجدران»

واللحظة، رأى شبح ابتسامة صغيرة ترتسم على وجه دوريان قبل أن تختفي فوراً.

برزت عروق فولكوف على يده، جراء القوة التي يمسك بها كأس النبيذ الخاص به. من الواضح أن صبره يتلاشى، إلا أنه لم يفقده بعد.

«ثرين، أريدك أن...»

قاطعه ثرين، وقد اختفى التملل من صوته:

«أعلم ما تريد... كنا معاً لعصور»

ابتسم إيثان.

سمع كل من في الغرفة صوت سيارة مسرعة تقترب في الخارج، ومن ثم صوت إطلاق نار وصرخات، فقال إيثان سريعاً:

«لوشيان الآن»

وقبل أن يدرك أحد ما يحدث أو أن يقدر على الإتيان بأي حركة، أخرج لوشيان مسدسه (Glock 19) دون أن ينظر إليه حتى؛ يده تعرف مكانه قبل أن تفكر عيناه.

ارتفع صوت إطلاق الرصاص. وفي هذا الفاصل الزمني القصير، عندما تنبّه الجميع لما يحدث، دوى صوت ارتطام هائل في الجدار القريب من باب الغرفة، فاهتزت أرجاء الغرفة وتناثرت الصرخات في كل اتجاه.

في الوقت الذي كان فيه الجميع يحاولون استيعاب ما يحدث، كان لوشيان قد أنهى مهمته بالفعل؛ ثلاثة أجساد سقطت قبل أن يدرك أحدهم أن الخطر لم يأت من الباب، بل كان بينهم منذ البداية. لم يتغير شيء في ملامحه؛ لم يكن ينظر إلى من سقطوا، بل إلى الهدف التالي، وكأن ما حدث لم يكن أكثر من خطوة ضرورية.

استقام إيثان سريعاً، ممزقاً الحبال التي ربطت يديه، وحطم رقبة الرجل الذي كاد أن يطلق النار عليه، وجرده من سلاحه.

أخذ أقرب رجل من فولكوف يطلق النار على زملائه، وكأنه فقد السيطرة على نفسه. اختفى قناع البرود من على وجه فولكوف وهو يستعيد توازنه، وحل محله الصدمة التي أغرقت ملامحه. رغم هذا العدد الهائل من رجاله حوله، فقد خرجت الأمور عن سيطرته.

سحب إيثان أصدقاءه خلف الأريكة التي قلبها سريعاً عند تطاير الرصاص نحوه. لم يكن يريد أن يراهن الآن، رغم كل القوة والسحر الذي يعرفه.

وعندما تأكد من احتماء أصدقائه، نظر إلى كف يده الذي أخذ يتوهج كالجمر ومعه توهجت أحاسيسه بسعادة رغم كل الخطر المحدق به، أراد أن يستخدم السحر الذي أتقنه منذ آلاف السنين، لم يكن فقط ضرورياً، بل كان يريد تذكر حقاً ذلك الشعور، كاد الفضول أن يقتله قبل أن يفعل الرصاص المتطاير ذلك.

قفز بليوننة، ووجّه يده نحو مجموعة الرجال الذين كانوا يحاولون إصابة لوشيان، وهو يختفي ساحباً كيو معه خلف الخزانة. انتبهوا له سريعاً، ولكن ليست بالسرعة الكافية.

انطلقت دفقة من الوميض أعمتهم، قبل أن تنطلق خيوط اللهب من كفه، تلتهم كل ما تجده أمامها. وبعد كل هذه السنين والحيوات، عادت النار لتطيعه... ليست مجرد طاقة خرجت من كفه، بل جزءاً قديماً منه استيقظ أخيراً.

دائماً ما أحبّ كسر القواعد وابتكار طريقته الخاصة في التعامل مع الأمور، والآن كان يكسر قواعد الواقع الذي يعرفه.

لأن هذا هو مكنونه، هذا ما يجعله **عنخ**، **فالين**، **نزار**، **إيثان**... هذا ما يجعله هو فعلاً. بقي فولكوف ساكناً، رغم كل هذا الانفلات والجلبة.

حتى عندما سقط أول رجاله، وحتى عندما اجتاحت النيران الثاني والثالث... بقي ثابتاً في مكانه.

كان الجميع يهربون، يصيحون ذعراً، يحاولون النجاة... أما هو فكان يراقب فقط. ليست الشجاعة ما جعله ثابتاً، بل الذهول.

طوال حياته كان يؤمن أن المال، النفوذ، والخوف هي القوى التي تحرك العالم. لكن أمامه الآن كان يقف شيء لا يمكن شراؤه ولا تهديده.

لم يكن رجاله يرون سوى الموت.

أما فولكوف فرأى شيئاً آخر... فرصة لفهم قوة لم يملكها أحد قبله.

رأى أثراً من زمن أقدم بكثير.

قوة كانت موجودة قبل أن يولد هو.

ولكن كيف حدث ذلك؟

إيثان لم يلمس العين حتى. تحسس فولكوف الكرة الذهبية الملساء بين يديه... كيف؟

دوّت الطلقات، وتعالّت الصرخات، وامتدت ألسنة اللهب بين الأثاث والجدران.

إلا أنه فقد اهتمامه برجاله، وحوّل نظره نحو اللوحة المعلقة خلف إيثان.

العالم المشتعل...

البشر الهاربون...

والهيئة المضيئة التي تراقب الخراب من مكان عالٍ.

كانت الكلمة محفورة أسفل الإطار:

«الدينونة».

ثم عاد ينظر إلى **الوحش** الذي أمامه.

كانت النيران تلتف حوله، وكأن اللوحة لم تعد تصور نهاية العالم...

بل تروي ما يحدث الآن.

للحظة، اختلط الواقع بالرسم.

حتى خُيِّل لفولكوف أن الفنان لم يرسم خيلاً قط...

بل ذكرى.

ضاقت حدقتاه وهو يهمس لنفسه:

«ما الذي أيقظته؟»

وانعكس وهج النيران على سطح الكرة الذهبية بين يديه، بينما استمر إثبات في تحويل المكان إلى جحيم.

امتدت اللانهائية في أفق الإدراك، وانحنى الأثير لاستقبالها. لم تشعر بأنها وصلت إلى مكان جديد... بل إلى حيث تنتمي منذ زمن قديم قد نسيته.

كانت تعوم في بحر ذكرياتها، تراجع كلاً منها.

إلا أن السؤال الذي كان يراودها باستمرار: هل رحلت بغير وقتها عن ذلك العالم؟

ومن يقرر أصلاً الوقت المناسب للرحيل أو البقاء؟

فتحت إيف عينيها، وللحظة ظنّت أنها ما تزال تحت المحيط، ثم ضرب عينيها وهج أبيض ساطع.

كانت تقف وسط فضاء من الضوء، تمتد صفحاته البيضاء إلى ما لا تدركه العين. كل خطوة تخطوها

كانت تبدو عديمة المعنى، فالمسافات لا تتقلص، والفراغ لا ينتهي، وكأن المكان لا يخضع لقوانين العالم

الذي تعرفه... لكن في الوقت ذاته، أيقنت أنها زارت هذا المكان مرات عديدة.

كالحلم، نعم، يبدو هذا المكان كأحلامها التي قضت الكثير من الوقت داخلها.

نظرت إلى قدميها، فلم تستطع تحديد إن كانت تقف على أرض صلبة أم تمشي فوق صفحة من الضوء.

المحير في الأمر أنها تعرف بوجود لقاء شخص مهم هنا. لم تعلم كيف أو لماذا عرفت ذلك، ولكنها

علمت بضرورة لقاء هذا الشخص الذي لا تعرفه.

غمرتها الحيرة، ثم أدركت سريعاً: إن كان هذا المكان يشبه الحلم، فعليها فقط أن تركز على ما تريد.

تسلل إليها إحساس غريب بأن هذا المكان لا ينتظر منها أن تتحرك... بل أن تفكر.

وكان الأفكار كانت أرسخ من الخطوات، والإرادة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها.

أخذت إيف تفكر وتركز بشدة...

أريد لقاء ذلك الشخص.

من المهم أن ألتقي بذلك الشخص.

لم يحدث شيء. حكّت إيف رأسها قليلاً. هل فقدت مهارتها، أم فاتها شيء ما؟ ركزت مرة أخرى، وأعدت التفكير بتلك الأفكار، وبعد عدة محاولات، صدر صوت مواء خفيف من خلفها.

التفتت سريعاً، ليقع بصرها على... ويا للغرابة، إنه نوكس.

القط ذاته. كيف أتى إلى هنا؟

آخر ما تتذكره أنها غرقت وحدها في المحيط؛ لم يكن نوكس هناك.

تقدم القط نحوها كعادته بلطف وهدوء، كما كان يفعل دائماً عندما يراها.

انحنى قليلاً عند اقترابه منها وهي تبسم، وقد انبعثت الطمأنينة داخلها عند وصوله إلى قدميها. حلق بها دون أن يصدر أي صوت أو أن يرمش حتى، وبعد ثوانٍ طوال، التفت وبدأ يمشي. ساورها شعور، لسبب لم تفهمه، أن عليها اللحاق به.

«نوكس... أين تذهب؟»

راحت تلحق به خطوة بخطوة، وهي تنظر إلى ذيله المتراقص، وكأنه يتبع لحناً خاصاً به، مع أقدامه الصغيرة.

أسرع نوكس وأخذ يجري، لم يكن منها إلا أن تجري وراءه هي الأخرى، ولكنه كان أسرع منها. ومع كل ثانية كان يبتعد أكثر فأكثر في المساحات البيضاء. خشيت أن تفقد أثره، وللحظة أراد كل جزء من كيانهما اللحاق به.

«نوكس...»

بقي نوكس يجري دون أن يلتفت خلفه.

عندها خفت ضجيج أفكارها، ولم يبقَ في داخلها سوى رغبة واحدة صافية: ألا تدع نوكس يختفي. وفي اللحظة التي تلاشى فيها كل شك، أحست بأن جسدها لم يعد أسير الأرض، وكأن المكان استجاب ليقينها قبل أن تستجيب له هي.

قررت إيف اللحاق به مهما كلف الأمر. أريد اللحاق به...

قفزت في الهواء بكل ما تملك من قوة، وحلقت، وكأن التحليق جزء أصيل من كيانه... هي تستطيع

الطيران. هذا ما تعرفه. كان ذلك فقط ما تفكر فيه وتشعر به، ولا وجود لأي شك أو تردد يعيقها.

ازدادت سرعتها، ولحقت القط الذي يجري بمرح، وهي تحلق بجانبه، وكأنهما يلعبان لعبة الملاحقة. امتلأ صدرها بالحماس والبهجة.

نسيت أمر غرقها، وأزرافيل، أو أي شيء يعكر صفوها.

راح البياض اللامتناهي ينحسر شيئاً فشيئاً، حتى بدأت ملامح مكان جديد تتكشف أمامها، إلى أن وصلت لحد الأرضية البيضاء، وكأن المكان هنا مقسوم إلى نصفين.

النصف الآخر كان صخرياً مائلاً إلى اللون الرمادي، مع سماء صافية مزرقّة والقليل من الغيوم هنا وهناك... حتى أنها سمعت شلالاً ينسكب من مكان قريب.

اتجهت إلى مكان صوت الشلال، والنسيم الرطب يداعب وجهها، مع رائحة العشب المبتل. وصلت أخيراً إلى حافة الشلال، وهي تطفو في الهواء. نظرت إلى الأسفل لترى مساحة الماء الذي ينسكب فيه الشلال، وبجانبه يابسة ممثلة بالخضرة، يتوسطها ما بدا شخصاً يجلس على كرسي حجري كبير.

نزلت ببطء، تتجه نحو ذلك الشخص دون أن تشعر... تنزل ناحيته، ليس رغباً عنها، ولكن بيقين أن هذا هو الشخص الذي يجب لقاءه.

ما أثار استغرابها هدوؤها والطمأنينة التي تفيض داخلها، رغم ذهابها إلى مقابلة شخص لا تعرفه في مكان لا تعلم عنه شيئاً.

حطت إيف أخيراً على الأرض، تنظر إلى ذلك المخلوق الجالس على الكرسي الحجري.

كان ضخماً ومهيئاً؛ ورغم جلوسه، أدركت أنه يضاهي أزرافيل طولاً.

امتلك ملامح جميلة، ببشرة بيضاء شديدة الشحوب، وعينين تغمرهما الزرقة كمحيط لا قرار له.

ابتسم لها بلطف، وفي لحظة أدركت أنها تبادله الابتسام.

قالت بعفوية، وكأنها تعرفه منذ زمن بعيد:

«أهلاً»

قال فيلوم بصوت عميق دافئ، وهو يشير إلى نوكس، القط الذي يقف بجانبها:

«أرى أنك أحضرتِ صديقاً معك»

استولت عليها الدهشة. ظنّت أن فيلوم هو من أرسل القط ليأتي بها إلى هنا... سمعت نوكس يموء ونظرت إليه.

طرف بعينيه مرة، كأنه يودعها، وتلاشى...

سألت إيف بسرعة:

«أين ذهب؟»

«لا أحد يعرف بالفعل دوافع هذه الأرواح النقية...»

«أين أنا بالضبط؟ لماذا يبدو كل شيء هنا مألوفاً؟»

أكملت إيف دون توقف:

«هل أنا ميتة؟ أهذا مجرد حلم فقط؟»

نظر إليها فيلوم لبرهة، وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة، ثم قال بصوت هادئ:

«أنا أعتذر بشدة عما حدث، أيتها الصغيرة... ولكنها الطريقة الوحيدة للتحرر من ذاك العالم»

«ماذا تقصد؟»

«أردت قدومك إلى هنا، كان علينا حمايتك و...»

تردد لحظة.

«...حماية ما تملكينه»

«عن ماذا تتحدث بالضبط؟»

بقي سؤالها معلقاً بينهما. شعرت إيف أن الإجابة لكل شيء حدث تكمن هنا، لكنها لم تكن متأكدة إن كانت مستعدة لسماعها.

تحت السماء الخالية من النجوم، كان إيثان يفتك بما حوله، يعيثُ خراباً ويستبيح المكان، ليس لأنه غاضب، بل كان في مزاج جيد لتجربة سحره الذي تذكره الآن. مع جموع الرجال تتناوب بين محاولة قتله والفرار منه، بدا المشهد ساخراً على نحوٍ غريب، حتى اشتدت الفوضى داخل المبنى، وأصبح من الصعب التنفس من شدة الاحتراق والدخان. وفي طرفة عين، عادت ألسنة اللهب من حيث خرجت، وتمكن من إطفاء الجحيم الذي أيقظه منذ قليل. بقي الرماد فقط، ومعه فولكوف وعدد قليل من رجاله، وعلامات الصدمة تملأ وجوههم، بالإضافة إلى الحروق العديدة التي شوهدت أجساد من نجا منهم... ترك الجميع أسلحتهم وانطلقوا إلى سياراتهم، يجرون مرعوبين من إيثان، وهو يضم كفه ويبتلع آخر ألسنة اللهب التي خرجت منه منذ قليل. سارع متجهاً حيث يرقد دوريان، ود. نورة خلف الطاولة الخشبية المسودة من كثرة الحرارة.

«هل أنتما بخير؟»

«إيثان أنت مجنون» أجابه دوريان بحنق.

«آسف، ولكن اضطررت لفعل ذلك»

نظرت له د. نورة، وعلامات الهلع تغرق وجهها الرطب، ثم قالت أخيراً: «عليك أن تنقذ إيف» سقط قلب إيثان في صدره، فقد نسي أن صديقه خطفها كائن مرعب، أمامه دون أن يقدر على فعل شيء... ورغم استعادة قوته وسحره، إلا أنه شكّ بقدرته على مواجهة أزرافيل.

نفض رأسه سريعاً، واتجه إلى فولكوف الذي يقف ساكناً، وفي يده الكرة الذهبية، متشبثاً بها، يحدق إلى الخراب الذي حوله بذهول.

انتزعها من يده بقوة، ودفعه أرضاً بلا مبالاة...

«ما الذي يجعل هذا الشيء مهماً يا ثرين؟»

أكمل، والغضب يتصاعد تدريجياً في صوته، مستبدلاً السعادة التي شعر بها منذ قليل، عندما استعاد سحره دون أن يلمس الكرة حتى:

«لماذا كنا نلاحق العين على مدى عصور وحيوات مضت؟»

قال ثرين بخفوت بعد ثوانٍ:

«لأنها المفتاح لتحرير قوتك وذاكرتك»

«لكن لم ألمسها حتى في هذه الحياة، واستعدت الذكريات والقوى»

«إيثان...» تردد ثرين قبل أن يقول: «لا، لقد لمستها بالفعل في هذه الحياة... وهي لمستك أيضاً»

«ما الذي فعلته هذه المرة يا ثرين؟»

«ما هو ضروري فقط... كنا نفشل دائماً في الحصول عليها... كان عليّ فعل شيء حيال ذلك هذه المرة»

«أشرح...»

عقد إيثان حاجبيه، وهو يحدق في الفراغ للحظة، كأنه يخشى أن يعرف الإجابة قبل أن يسمعها. كان إحساسٌ قديم يهمس له بأن ما سيقوله ثرين سيغيّر كل شيء.

«سرقت قوة العين...»

أكمل ثرين:

«لكن الشخص الوحيد الذي يستطيع استخدامها هو أنت، هناك شروط خاصة لتفعيل السحر.»

«إذا؟»

تثاقلت أنفاس إيثان دون سبب، وكأن العالم كله ينتظر الكلمات التالية. ولمّا تكلم ثرين أخيراً، جاء صوته منخفضاً إلى حد بدا معه كل حرف اعترافاً.

«خبأت القوة داخل إيف»

«فعلت ماذا؟»

انكب إيثان على ركبتيه. لقد كان يشكّ بذلك لحظة استيقاظه في المزرعة، لكنه أمل أن يكون مخطئاً.

وكيف لا يكون ذلك صحيحاً؟ بدأ في استعادة ذكرياته عندما قبلته إيف، ومن ثم محاولته إمساك يدها عند اختطاف أزرافيل لها.

عندها اتضحت الصورة كاملة... لكنها كانت الحقيقة التي تمنى ألا تكون صحيحة.

ولهذا السبب اختطفها أزرافيل ليبعدها عنه، ليبعد القوة التي داخلها.

سأل إيثان أخيراً: «إلى أين أخذها؟»

رغم أنه كان يعرف الإجابة، إلا أنه احتاج أن يسمعها من ثرين، ليتأكد أن الكارثة لم تكن مجرد استنتاج من عقله.

«لقد رحلت عن هذا العالم»

ظلّ إيثان راكعاً، وقد انخفض رأسه حتى غطّى شعره عينيه. كانت أصابعه ترتجف فوق الركام، كأنها تبحث عن شيء ضاع منها منذ زمن.

ثم ضحك... ضحكة قصيرة، مكسورة، لا تشبه الفرح في شيء.

«كم مرة ستقرر عني يا ثرين؟» همس بصوت أثقل من الرماد الذي يحيط به. «كم حياةً أخرى ستسرقها مني وأنت تقنع نفسك أنك تنقذني؟»

شدّ قبضته حتى تشققت الأرض تحتها.

«سرفت قوة العين... ثم خبأتها داخل إيف... جعلتها تحمل لعنة لم تختبرها قط. وجعلتني أحبها... بينما كنت تعرف أن العالم كله سيطاردها بسببي»

ارتجف صوته لأول مرة.

«كنتُ أظن أن القدر هو من يسخر مني... لكنك كنت أنت القدر»

رفع رأسه، وقد احمرّت عيناه من الغضب والأسى.

«أخبرني... عندما وضعت تلك القوة داخلها، هل خطر ببالك أنها قد تضحك؟ أن تخاف؟ أن تحلم؟ أم أنها كانت بالنسبة إليك مجرد وعاء آخر لخطة جديدة؟»

صمت لحظة، ثم خرجت الكلمات من بين أسنانه كأنها تنزف.

«أردت تحرير الأرواح من هذا السجن... لكنك لم تتردد في التضحية بالروح الوحيدة التي جعلت السجن نفسه يبدو أقل قسوة»

انطفأت آخر شرارة نار بين أصابعه، بينما خرج لوشيان وكيو من خلف الخزانة التي كانا يحتميان بها، وفي عينيهما نظرات قلق نحو إيثان.

تقدما باتجاه فولكوف الملقى أرضاً، يحدق في السقف الخشبي المحروق للغرفة دون أن يصدر أي صوت يذكر.

صوّب لوشيان سلاحه نحو رأسه، يستعد لإطلاق النار، ولكن كيو أوقفته في لحظة من التردد.

قال لوشيان: «هذه الفرصة المثالية للتخلص منه»

أجابته كيو بصوت مرتجف:

«إنه والدي...»

«ظننت أن هذا ما تريدينه، بعد كل ما فعله بوالدتك»
«لقد حصد بذور ما زرع... أرجوك، لنرحل من هنا»
تنهد لوشيان، وهو يعيد سلاحه إلى مكانه في سترته الجلدية، ثم انطلقا، هو وكيو، خارجين دون أن يتكلما مجدداً.
تلكأت د. نورة على كتف دوريان، واقتربا من إيثان الراكع على قدميه بعيون دامعة. لم يبشر هذا أيّاً منهما بخير.
سألته د. نورة:
«هل... هل أنت بخير؟»
مسح إيثان عينيه، وأدار رأسه، في محاولة فاشلة لإخفاء وجهه عنهما، وقال بصوت يشوبه غضب بارد:
«ماتت إيف»
شهقا من هول الصدمة، وسأله دوريان سريعا:
«ك... كيف؟»
«ثرين خبا قوة العين فيها... وأزرافيل أخذها حتى لا...»
انقسمت أنفاسه في صدره، غير قادر على إكمال الكلمات... واستقام، يقف مديراً ظهره لهما... لم يعرف كيف يشرح لهما أنه خطط لعصور، على مدى آلاف السنين، ومعه ثرين، ليحرر كل الأرواح من هذا السجن... ولكن ثرين قرر أن يفعل شيئاً مختلفاً في هذه المرة.
عاد صوت ثرين:
«لم يكن لدي خيار آخر... لقد سجنني في عالم يشبه هذا العالم»
أكمل، وصوته يختنق غضباً:
«ولكن كنت وحيداً... أعيش في حلقة مفرغة لعصور... حتى عثرت على الطريقة الوحيدة للتحرر...»
«كل ما فعلناه، كل ما خططنا له، من أجل ألا يضطر أحد لعيش هذه المعاناة مراراً وتكراراً دون أن يدرك حتى أنه يعيشها... إنها أكبر جريمة في الوجود...»
توقف إيثان عن المشي، وهو ما زال يستمع لثرين لأول مرة يشرح نفسه وما يشعر به.
«ولهذا السبب هربت... لأنتقم... لأحطم كل شيء قام ببنائه... فيلوم الحارس... عدو الذاكرة... عدو الحرية»

في العالم الآخر كانت إيف ما تزال تقف بجوار الشلال، تستمع إلى فيلوم الحارس وهو جالس على العرش الحجري.

تناثرت قطرات الماء حول إيف من شدة اندفاع الشلال، وانعكس الضوء المنبعث من السماء عليها حتى شكلت قوس قزح صغيراً، إلا أن جمال المشهد لم يُثنها عن التركيز والحصول على إجابات مقنعة.

عاودت السؤال:

«هل أنا ميتة؟»

قال فيلوم بحذر:

«قبل أن أجيبك، لدي سؤال لك يمكن أن يساعدنا في إجابتك»

«ما هو؟»

«ما هو الموت بنظرك؟» نظر إليها بعينيهِ الزرقاوين، ثم التفت يراقب الشلال بهدوء، وكأنه يستمتع بالمشهد.

«آه، حسناً... لست متأكدة... أعتقد أن الموت هو أن يتوقف كل شيء في داخلك. أن تفقد القدرة على

الشعور والتفكير، وألا تكون موجوداً بطريقة ما... ربما هو عكس الوجود.»

ابتسم لها فيلوم:

«حسناً، سأطرح أنا سؤالك على نفسك الآن... هل أنت ميتة؟»

وللحظة اعتقدت أنه يخدعها، لكنها توقفت. راجعت كلماتها السابقة... لم تكن فاقدة للإحساس، ولم يتوقف وجودها. كانت هنا، تسمع، تفكر، وتسأل.

فأجابته وهي غير مصدقة أن سؤالاً واحداً كان كافياً ليغيّر طريقة رؤيتها للأمر:

«لا»

«ربما المشكلة ليست في الإجابة... بل في السؤال نفسه»

«لَمْ هذا العالم يشبه كثيراً الأحلام التي راودتني؟»

«ليس هناك شبه... إنه العالم ذاته»

«إذا كان ذلك صحيحاً، أيّ عالم هو الحقيقي؟»

لوح فيلوم بأصابعه الطويلة نحو الشلال، فتوقفت المياه في الهواء، كأن الزمن نفسه نسي أن يتحرك، ثم بدأت تتشكل في دوامات هادئة تدور حول بعضها، فابتعدت إيف خطوة عنها من هول المفاجأة.

«لا بد أن ذلك هو العالم الحقيقي، لا يمكن فعل شيء كذلك أو الطيران حتى...»

قاطعها فيلوم:

«لا يمكننا الحكم سريعاً... ماذا لو كان كل عالم له قوانينه الخاصة؟»

«لماذا أردت مقابلتني؟»

وقف فيلوم أخيراً، وتوقفت حركة الدوامات سريعاً، ثم عادت تنزل إلى البركة بجانب المساحة التي يقفان عليها.

بدا عظيماً وطويلاً حتى تبين لها أنه أطول من أزرافيل، أخذ يتقدم ناحيتها بخطوات بطيئة إلى أن أصبح أمامها:

«ثرين يريد تدمير كل ما بنيت، كنا في صراع دائم على مر الزمن إلى أن أسرته.»

ارتعد الهواء حوله، كأن غضبه قد صب في الأثير المحيط به لثانية، حتى استقر من جديد.

«ولكنه هرب... عين ماعت تملك القوة لتحرير كل الأرواح داخل ذلك العالم... لقد سرق قوتها ووضعها داخلك حتى يستطيع استخدامها لاحقاً.»

«ماذا؟ داخلي؟»

شعرت إيف بأن الكلمات لم تصل إلى عقلها فقط، بل إلى مكنونها... شيء كانت تمر به منذ زمن دون أن تفهمه.

«نعم، داخلك... أنت تحملين تلك القوة... ألا تذكرين رؤية أو سماع أشياء من غير المفترض أنك قادرة على سماعها؟»

تبادلا نظرة ذات معنى قبل أن تذكر إيف أنه كان نفسه الشخص الذي تسمعه في أحلامها... نفسه الشخص الذي يكلم أزرافيل ويعطيه التعليمات.

«حسناً، نعم...»

وهنا ابتعدت خطوة سريعة عنه، وتغيرت ملامحها:

«لكن لِمَ سجنّت كل تلك الأرواح داخل ذلك العالم؟»

أكملت وهي تبتعد خطوة أخرى، غير متأكدة من طبيعة المخلوق الذي أمامها بعد:

«يبدو لي أنك السجّان هنا»

أدار ظهره لها، ومشى يقترب نحو الشلال، يحني رأسه كأنه يراقب الماء المزرق، ثم بدأ يتكلم:

«أنا حارس هذا العالم... ربما لاحظت السرعة التي يمكن أن يتغير بها هذا العالم بمجرد النية والتفكير فقط.»

أدركت إيف أنه محق؛ فمنذ وصولها إلى هنا، كانت ترى العالم يتبدل بمجرد الإرادة.

انحنى نحو الماء ووضع يده عليه، لم يستغرق الأمر أكثر من ثانية حتى استحال الماء إلى حمم بركانية أخذت تذيب الحافة التي يقف عليها.

«ولكن ما علاقة هذا بسجن كل تلك الأرواح هناك؟»

«حسناً، أترين؟ هنا تكمن المشكلة، ماذا لو عاشت روح شريرة مختلة هنا... ما الذي سيحدث لهذا العالم ومخلوقاته في رأيك؟»

«سيتحول إلى جحيم؟»

«بالضبط... لقد رأيت ما يفعله البشر ببعضهم وبالكائنات الأخرى»

«لكن...»

«ماذا؟»

«ما ذنب بقية الأرواح؟ أعني الأرواح المسالمة»

أغلق فيلوم كفه، فعاد الماء إلى صفائه وانطفأت الحمم كأنها لم تكن. ظلّ صامتاً برهة، وعيناه معلقتان بالشلال، ثم وقف مجدداً واستدار يواجه إيف بملامح متعبة، وفي عينيه نظرة اعتذار.
قال بصوت خافت:

«لقد سألت نفسي هذا السؤال عبر قرون مضت...»

أكمل فيلوم:

«ذاك العالم ليس سجنًا حقاً...»

«ماذا تعني؟»

تنهد فيلوم:

«إنه مصفاة للأرواح»

«مصفاة؟»

«إذا كان العالم سجنًا وأنا حررتك فقط لأنني أريد ذلك... لم سأجعل أزرافيل يرمي بك في المحيط؟»
حكّت إيف رأسها:

«نعم، كان هذا غريباً... لم أأخذني إلى أكثر مكان كنت أخشاه؟»

«هذا لأنه حتى أنا لا أستطيع تحرير الأرواح، هناك قوانين يحكمها ذلك العالم، وللتحرر يجب أن...»
قاطعته إيف سريعاً، لقد فهمت الأمر الآن:

«تواجه أعرق مخاوفك؟»

«نعم... مواجهة أعرق المخاوف»

زمت إيف شفتيها:

«وهذا وحده يكفي؟»

«لا... مواجهة أكبر مخاوفك ليست سوى نصف الطريق... أما التحرر، فلا يكتمل إلا بالموت أثناء ذلك»

«ولكن ألا يعلم ثرين كل ذلك؟ أعني، لماذا يخاطر ويحرر كل تلك الأرواح؟»

«لأنه يؤمن أن الحدود والقوانين هي ما جعلت تلك الأرواح ترتكب كل الفظائع في ذلك العالم»

أكمل فيلوم بوقار:

«أنا أرى العكس تماماً...»

لم تعرف إيف من كان محقاً بينهما فعلاً.

ثرين... يؤمن أن الحرية حق لكل روح، حتى لو كان ثمنها الفوضى.

أم فيلوم... يؤمن أن السلام لا يمكن أن يوجد بدون قيود تحميه، حتى لو سُلِبت الأرواح جزءاً من حريتها.

الفصل الثاني عشر

توقفت السيارة عند حافة الشارع، فترجل إيثان ورفع رأسه نحو البرج الذي اخترق السماء كأنه رمحٌ من زجاج وفولاذ. كان شامخاً إلى حدٍ جعل قمته تختفي بين غيوم الغروب، بينما انعكست أضواء مدينة ميامي على واجهته الزجاجية، فبدت وكأنها نجوم حُبست داخل جدارٍ عملاق.

لم يختَر إيثان وجهته عبثاً؛ فقد كان يقف أمام Panorama Tower، أعلى ناطحة سحاب تلامس سماء فلوريدا، وكان العالم بأسره يتقلص تحت قدميه قبل أن تبدأ رحلته الأخيرة.

أخذ إيثان نفساً عميقاً، وظلّ يحدق في القمة.

«إنها الطريقة الوحيدة...» همس ثرين في ذهنه.

كان يعلم أن الطريق إلى الأعلى ليس مجرد صعود عبر المصاعد والسلالم، بل رحلة أخيرة نحو القرار الذي سيغيّر مصير العالم... أو ينهيهِ إلى الأبد.

خطا أولى خطواته نحو البرج، لكن قدميه لم تعودا مطيعتين كما اعتاد. مع كل خطوة كان البرج يبدو أطول مما كان عليه قبلها، حتى خُيِّل إليه أن قمته تبتعد عنه كلما اقترب منها. بدأ صدره يضيق شيئاً فشيئاً، وراح قلبه يطرق أضلاعه بقوة. ليست رهبة الموت هي ما يسيطر عليه؛ لقد اختبر الموت بطرق شتى عبر حيواته السابقة.

انبتقت من أعماق ذاكرته تلك اللحظة القديمة... السقوط، الفراغ، والعجز عن الإمساك بأي شيء.

ازدادت المسافة القصيرة بينه وبين المدخل، حتى بدت كأنها ممراً لا نهاية له.

مرّ بجانب شاشة إخبارية تعرض صورة إيف تحت عنوان «فتاة مفقودة»، بينما كان المذيع يناشد أي شخص يملك معلومات عنها التواصل مع الشرطة. لم يبطئ إيثان خطواته، لكنه شد قبضته بصمت، ومضى نحو مصيره.

بالرغم من أن المصعد لم يكن يبعد سوى أمتار، شعر أن كل خطوة تنتزع جزءاً من إرادته، وكأن البرج نفسه يختبر عزيمته قبل صعوده إلى قمته.

أغمض عينيه لبرهة، كأن الظلام وحده قادر على إخفاء الهاوية التي كانت تنتظره في الأعلى، ثم واصل السير حتى وصل لباب المصعد.

فُتح باب المصعد، وللحظة لمح إيثان ظل قطه نوكس في الداخل، ولكن ما إن رمش بعينه حتى اختفى.

تساءل في نفسه إن كان ما يزال قطه مختبئاً في منزل دوريان، وغمره الأسى، إذ كان يريد أن يراه مرة أخيرة قبل الرحيل.

شقّ عليه خروجه من منزل صديقه، فاضطر إلى اختلاق سببٍ أقنع به د. نورة ودوريان بأنه يريد قضاء بعض الوقت وحيداً.

وقبل ذهابه حاول البحث عن نوّكس، لكن دون فائدة...

«ربما خرج إلى الشارع وسيعود مجدداً...» فكر إيّثان، محاولاً أن يطمئن نفسه.

أغلقت الأبواب بسلاسة، ومع أول اهتزاز للمصعد شعر أن طريق العودة قد اختفى.

ارتفع صوت المصعد، معلناً عن الوصول للطابق الثلاثين...

«خمسون طابقاً تبقت لنصل للقمة»

«هذا ليس مضحكاً...»

«هل سمعتني أضحك؟»

لم يُرد إيّثان أن يكون آخر حوار بينه وبين ثرين مستفزاً.

«أظن أن... هذه نهاية رحلتنا»

«ربما...»

أضاء مؤشر الطابق السادس والسبعين، ومعه انقبضت كل عضلة في جسد إيّثان، فلم يعد يفصله عن السطح سوى طوابق قليلة.

«هل تريد إنقاذ إيف؟ أم لا؟»

ذكّره ثرين بالسبب الوحيد الذي يفعل كل ذلك من أجله.

«لا زلت لا أثق بك بعد كل ما فعلته...»

«نعم... ولكن ها أنت ذا مندفع لتقفز من أجلها»

«ما الذي سأواجهه هناك؟ كيف سأغلب على الحارس؟»

صمت ثرين برهة، بينما انفتحت أبواب المصعد أخيراً، فتوقف إيّثان متردداً ينظر إلى أرضية المصعد.

لاحظ حشرة فرس النبي تمشي على حافة المصعد وتتجاوزها.

«تحمل داخلك خبرة آلاف السنين، والمهارات التي تعلمتها خلال حيواتك هنا... أظن أنك ستكون بخير»

كاد المصعد أن يغلق، ولكن يد إيّثان أوقفته في آخر ثانية.

«شكراً... وفرت علينا لحظة درامية»

ضحك إيّثان. دائماً ما كره ثرين التعبير عن العواطف والمشاعر.

انطلق إلى آخر الممر، وبدأ صعود الدرج، مستعيناً بذلك النوع النادر من الدعم الذي يقدمه ثرين... دعم

خالٍ تماماً من أي دراما.

حين وصل إلى السطح، استقبلته رياح باردة صفعت وجهه بعنف، فتباطأت خطواته نحو الحافة بغير

إرادته.

«ظننت أننا سنقفز، أيها الأحمق»

«سنقفز؟ أتعني أنك قادم معي...»

«حسنًا، ربما سنفضي الأبدية ملتصقين... إذا نجحنا طبعاً»

«نعم... كم أتطلع إلى ذلك»

اقترب إيثان من الحافة حتى أضحى يقف عليها، وكل خلية في جسده ترتجف. نظر إلى الارتفاع السحيق، وواتته رغبة عارمة بالابتعاد عن الحافة.

لكن لا مجال للتراجع، ليس الآن بعد آلاف السنين، بعد كل ما ضحى به وكل ما حاول تحقيقه، لن يفشل هنا.

ليس قبل أن يمنح الأرواح حريتها ويعيد إليها ذاكرتها وهويتها.

ليس قبل أن ينقذ إيف.

دفع إيثان قدمه نحو الفراغ بكل ما لديه من إرادة... وهوى.

ارتجف الأثير في الوادي، واضطرب هدير الشلال لثانية خاطفة، ثم دوى الرعد في الأرجاء كأنه إنذارٌ مَرَق سكون العالم.

رفع فيلوم رأسه نحو السماء، وقد انعقدت ملامحه على غير عادته.

سألت إيف بقلق:

«ما الذي يحدث؟»

وفجأة انشق الفضاء بدوي مكتوم، وامتد صدعٌ مظلم في الفراغ. خرج أزرافيل منه كمن يعبر بين

عالمين، وما إن وطئت قدماه الأرض حتى قال دون مقدمات:

«وصل الثائر... لقد فشلت.»

حدّق فيه فيلوم طويلاً، ثم قال بصوتٍ منخفض:

«لا أفهم... لماذا ما زال يحميه؟»

عقدت إيف حاجبيها:

«الثائر؟ تقصد إيثان؟... ومن الذي يحميه؟»

لمع البرق في السماء، وازدادت كثافة الهواء حتى خُيِّلَ إليها أن العالم يحبس أنفاسه.

أجابها أزرافيل بوقار:

«المرشد الروحي الذي أوصلك إلى هنا... كان يحمي الثائر منذ البداية»

اتسعت عينا إيف:

«نوكس؟ القط الصغير؟»

انفجرت شفتا فيلوم عن ابتسامة باهتة لا تحمل شيئاً من الفرح:

«نعم... ومن سخرية هذا العالم أن تمتلك تلك الأرواح البريئة سحراً يفوق سحر حراس العوالم»

زمت إيف شفتيها:

«لا أفهم حقاً ما يحدث... لماذا نوكس يساعد إيثان إن كان ذلك يعني الفوضى في هذا العالم؟»

قال فيلوم بهدوء:

«قلت لك مسبقاً، لا أحد يعلم دوافع هذه الأرواح...»

ثم أضاف وعينه معلقتان بالشلال:

«ربما رأى شيئاً في إيثان، كما رأى شجاعتك وجدارتك في مواجهة خوفك»

«هل ستقاتل إيثان؟»

«ربما، لا أريد أن تأخذي جانباً... أنا أثق أنك ستفعلين ما هو صحيح»

اتجهت إيف إلى الماء أمامها، لم تعد ترى انعكاس وجهها فقط... بل رأت آلاف الوجوه التي لم تلتق بها

يوماً. أرواحاً عاشت في ذلك العالم، بعضها عانى، بعضها أخطأ، وبعضها ربما لم يحصل على فرصة

واحدة ليختار.

شعرت بمسؤولية كبيرة، تثقل كاهلها، هي من تمتلك قوة العين.

وفي مكان آخر من العالم ذاته، بعيداً عن الشلال، كان إيثان ما يزال يهوي عبر السماء، يضرب الهواء

بذراعيه وساقيه دون جدوى.

«هيه، ثرين... ما زلنا نسقط»

«ربما إذا نظرت إلى الأسفل ستري أننا في مكان مختلف كلياً»

«هل سنموت هنا أيضاً؟»

سأل إيثان وهو يهوي بسرعة هائلة نحو الأسفل، والهواء البارد يجلد وجهه بقوة.

«لا... كل ما عليك فعله هو أن تتوقف عن السقوط»

«ااوه... هذا ليس مفيداً على الإطلاق»

في جزء من الثانية، لمع في ذهن إيثان موعده مع إيف عندما كانت تخبره عن طريقة التحكم بالأحلام:
«عليك أن تردد ما تريده حقاً»

أغمض عيني، وفكر بعمق وتركيز:

«أريد التوقف عن السقوط»

ودون أي مقدمات اختفى الإحساس بالسقوط... لم يتباطأ ولم يقاوم الهواء، بل توقف ببساطة في منتصف الفراغ.

«أعتقد أن هذا العالم يعجبني أكثر»

«عندما ترى ما تستطيع فعله هنا، ستفهم السبب الذي جعلنا نحارب لتحرير أرواح ذلك العالم»

ظلّ إيثان للحظات يحدق في الفراغ تحته، غير مصدق أن العالم استجاب لرغبته بهذه البساطة.

حرّك يده، فارتفع جسده معه، وكأن الجاذبية لم تعد أكثر من فكرة يمكن تجاهلها.

«إذاً أستطيع الطيران؟»

«بدل أن تطرح أسئلة غبية، جرّب الطيران... لدينا عمل ننهي».

ثم تذكر سريعاً أنه هنا لينقذ إيف ويواجه الحارس فيلوم، فاستعاد جديته المعتادة وانطلق يحلق بسرعة شديدة، وكأنه فعل ذلك طوال حياته.

«إلى أين أذهب؟»

«نحن نبحث عن شلال»

«شلال؟ لماذا يختار فيلوم أن يكون عند شلال ما؟»

صمت ثرين لوهلة، بينما راقب إيثان أرواحاً لكائنات تجري تحته، وتعجب من أشكالها الجميلة الفضية وهي تلمع.

«لأن الشلال هو أكثر شيء أخاف فيلوم عندما كان إنساناً»

توقف إيثان في عرض الهواء بشكل خاطف.

«ماذا؟ فيلوم كان إنساناً؟»

«إنه أول روح تحررت من ذلك العالم...»

صمت ثرين لحظة قبل أن يكمل:

«فيلوم لم يبن السجن... كان أحد المسجونين فيه. نحن لا نعلم من بنى السجن»

تابع إيثان التحليق، لكن الكلمات بقيت معلقة في ذهنه.

فيلوم... لم يكن السجان الأول.

كان سجيناً مثله.

تساءل في نفسه عن السبب الذي يجعل فيلوم مصرًا على إبقاء الملايين من الأرواح محبوسة داخل ذلك العالم.

تابع إيثان تحليله، حتى وقع نظره على بريقٍ بعيد يلمع بين امتداد السماء، يعكس الضوء القادم من العالم المحيط به. ركّز بصره نحوه، ومع اقترابه بدأت ملامحه تتضح شيئًا فشيئًا... لم يكن سوى حافة شلالٍ عظيم.

«هنا...»

وقبل أن يباشر بالنزول، وبدون أي إنذار، انقبض الأثير من حوله، كأن العالم رفض وجوده.

وفي ثانية، ظهر أزرافيل خلفه، بقبضة قوية دفعته بعيدًا عن الشلال.

استعاد إيثان توازنه بصعوبة، بينما طفا أزرافيل في الهواء أمامه مستعدًا للقتال.

«أين هي؟»

قالها بصوت منخفض، إلا أن الهواء من حوله بدأ يتغير.

ارتجفت ذرات الأثير، وبدأت الحرارة تنتشر في الفراغ حتى تبخرت قطرات الماء المتطايرة من الشلال قبل أن تصل إليه.

لم يلاحظ إيثان ما يحدث؛ كان تركيزه كله مصوبًا على أزرافيل.

ارتفعت حرارة الهواء أكثر، وبدأ الضوء حوله ينحني قليلًا، وكأن العالم نفسه يتأثر بانفعاله.

أدرك أزرافيل التغير، فتراجعت ملامحه لأول مرة.

لم يكن الخطر في القوة التي يملكها إيثان... بل في أنه لم يكن مسيطرًا عليها.

وفي لحظة، اختفى إيثان من مكانه، كأنه اخترق الفراغ ليسمح له بالوصول، ثم ظهر أمام أزرافيل،

واندفعت قبضته نحوه بكل الغضب المكبوت داخله لآلاف السنين.

وحين أفلت الحارس من قبضته في اللحظة الأخيرة، سمع ضحكة منخفضة تخرج من أعماقه.

«من المهرطق الآن يا أزرافيل؟»

أيقن إيثان أنه يستطيع التغلب على سرعة أزرافيل، ولكن هدفه كان واضحًا؛ عليه أن يندفع بنفس القوة

نحو الشلال. بهذه الطريقة، لن يستطيع أزرافيل إيقافه.

ثم حدث كل شيء في لحظة واحدة.

اختفى من أمام أزرافيل، واندفع نحو الأرض كنيزكٍ هبط من قلب السماء.

التقت حوله سريعًا... وما إن وقعت عيناه على إيف، حتى وجد نفسه محاطًا بأغلال حديدية تلمع بلون

أرجواني، يوجّهها فيلوم بأصابعه الطويلة.

«دعها وشأنها...»

صرخ إيثان بعنف، وهو يحاول تحريك الأغلال، حتى إن إحداها انكسرت سريعًا تحت يده.

«إيثان، لا...» قالت إيف سريعًا، لكنه لم يجبها. فوران غضبه وغيظه المتراكم، وكرهه العميق لفيلوم، ابتلع صوتها.

غلى الهواء من حوله، كأن غضبه وحده يكفي لإذابة الأثير.

فانطلق من داخله شبحٌ أسود، واستقر خلفه.

رفع ثرين رأسه ببطء، وعيناه المتقدتان كالجمر تحدّقان مباشرةً في زرقة عيني فيلوم، الذي لم يُرح بصره عنه.

ضحك ثرين بهستيرية:

«أنا أفوز...»

أجابته فيلوم بصوت ثابت:

«من المبكر قول ذلك»

لف الصمت المكان، ولم يُسمع فيه سوى هدير الشلال.

صرخ إيثان مجددًا بعصبية، محطّمًا جميع أغلاله حتى استحالت رمادًا يتطاير:

«قلت لك دعها وشأنها...»

«ومن قال إنها أسيرة هنا؟»

«إيثان توقف...»

هدأ إيثان للحظة، ونظر إلى إيف.

«هل أنت بخير؟»

«نعم... ولكن كيف أتيت إلى هنا؟»

«قفزت...»

ارتسمت على وجهها أمارات الذهول، ولم تجد ما تقوله لوهلة.

«قفزت؟»

«من ناطحة سحاب... نعم»

أخذت تهز رأسها، غير قادرة على استيعاب ما سمعته.

«أنت مجنون»

صك إيثان على أسنانه:

«لقد أتيت من أجلك»

سكنت إيف، وعيناها معلقتان بإيثان، وكأنها تحاول إدراك التضحية التي قام بها من أجلها.

قاطعهما ثرين:

«لقد تلاعب بها حتى يسيطر على قوة العين»

«إيف... هيا لنذهب من هنا»
«لست متأكدة مما يجب فعله»
انبتقت أغلال أشد سماكة ولمعائًا من الأرض، وقيدت إيثان مجددًا.
«لن تذهب إلى أي مكان... ليس بعد»
«لا شيء يستطيع إيقافني، ولا حتى أنت... سأسترد الحرية لكل الأرواح»
أجابه فيلوم بهدوء:
«إذا كنت أتلاعب بإيف... فما الذي يفعله ثرين داخل رأسك؟»
أكمل بالنبرة نفسها:
«هذا العالم هش...»
قاطعها إيثان بحدة، واختفى من مكانه، ثم ظهر بسرعة تخطف الأنفاس، وفي يده كتلة لهب تعمي الأبصار.
«لست مضطرًا لسماعك تبرر أفعالك... سأنتهيك»
ولكن امتد في الهواء سيلٌ عنيف من الشلال، أطفأ النيران وألقى بإيثان بعيدًا.
«غضبك يعميك... اسأل نفسك: ما الذي سيحدث لعالم يتغير بالإرادة عندما تسكنه أرواح شريرة؟»
تراجع إيثان خطوة، وانطفأ الغضب في عينيه. يبدو أن هذه الكلمات تركته في حيرة من أمره.
نفض إيثان رأسه:
«هذا لا يبرر استمرار معاناة باقي الأرواح... تتكلم كأن هذه الطريقة الوحيدة»
صمت فيلوم، بينما ظل هدير الشلال يملأ الفراغ بينهما.
تدخل ثرين، وهو ما يزال يطفو جانب إيثان:
«القيود هي ما يصنع الوحوش يا إيثان... القوانين التي تمنح البعض الحق في التحكم بمصير الآخرين هي التي دفعت البشر إلى ارتكاب أبشع أفعالهم»
استعاد إيثان ملامحه العدوانية، لكنه هذه المرة لم يندفع بغضب.
راح يراقب فيلوم بحذر، يحاول فهم القاعدة التي تحكم هذه المواجهة.
القيود تخرج من الأرض... والشلال يتدخل كلما اقترب الخطر.
«إذن أنت لا تدافع عن نفسك...» تتمم إيثان. «العالم نفسه يفعل ذلك»
رفع يده، وتشكلت كرة من اللهب بين أصابعه. لم تكن هجومًا، بل اختبارًا.
قذفها نحو فيلوم بسرعة خاطفة، لكن قبل أن تصل إليه، تحرك الشلال بعنف، وانفجر سيل من الماء في الهواء، مطفئًا النيران.
بقي فيلوم في مكانه، هادئًا كما لو أن الهجوم لم يكن سوى نسمة عابرة.

ثم قال بصوت منخفض:

«أنت تؤمن أن الحرية ستنتقذهم... لكن أخبرني، أليست أعظم الفظائع في تاريخ عالمك من صنع أولئك الذين كانوا أحرارًا بما يكفي لارتكابها؟»

صمت إيثان، لأنه لم يجد إجابة سهلة.

لم تكن الأغلال ولا الشلال ما يمنعانه من التقدم... بل اليقين في عيني فيلوم.

كان ذلك اليقين أخطر من أي قوة واجهها من قبل.

تساءل إيثان إن كان الحارس الذي أمامه سجينًا... أم يحمي العالم من شيء لا يستطيع رؤيته هو.

ارتفع صوت ثرين: «الشك هو أول قيد تضعه على روحك»

وقفت إيف مشدوهة تراقب ما يحدث برهبة، حتى أنها لم تتمكن من مقاطعتهم أو التفوه بشيء، كرهت

نفسها لعدم قدرتها على اتخاذ قرار وتساءلت إن كانت حقًا تستطيع السيطرة على القوة المخفية داخلها.

قطع سلسلة أفكارها إيثان، وهو يحاول زلزلة الأرض تحت قدمي فيلوم باستخدام قبضته، ولكن فيلوم ظلّ

واقفًا في العدم، وكأن شيئًا لم يكن.

راح إيثان يشتعل غضبًا أكثر فأكثر، حتى أنه كوّن عدة كرات من اللهب وقذفها في وقت واحد في عدة

جهات، ولكن سيول الشلال صدها بسهولة.

استمرت المعركة طويلًا، وكلما ابتكر إيثان وسيلة جديدة لبلوغ فيلوم، سبقته مياه الشلال فأبطلتها.

بدأ إيثان يتعب، وشعر أنه يستنفد طاقته، ولكنه لا يستطيع الفشل، ليس الآن، بعد آلاف السنين وصل

أخيرًا لغريمه.

«أكره ذلك الشلال»

«يبدو أنه المشكلة هنا...»

نعم، الشلال هو ما يمنعه... فجأة لمعت فكرة في ذهنه.

بدل أن يستسلم لليأس، غمره الفضول لتجربة أمر ما.

ضحك إيثان أخيرًا رغم عدم قدرته على المساس بفيلوم:

«أتعلم، أظن أنني فهمت الأمر...».

رمقه فيلوم بنظرة استهتار:

«هل انتهيت؟»

«ليس بعد...»

شكّل إيثان كرة عملاقة من اللهب في يده، وتظاهر باندفاعه نحو فيلوم، ولكنه غير مساره في اللحظة

الأخيرة قبل أن تصفعه سيول الماء، اختفى...

ضاقت عينا فيلوم، وبحث عنه، يلتفت في الأرجاء...

ظهر أخيراً في أعلى الشلال، وفي يده كرة اللهب تذيب وتبخر كل شيء أمامها، راح إيثان يحيل مياه الشلال إلى بخار أمام عيني فيلوم، وللمرة الأولى منذ لقائهما ارتسمت ملامح الغضب على وجهه. ولكن إيثان اختفى مجدداً، وظهر خلف فيلوم، وكرة اللهب تتقدم نحو فيلوم بلا أي حماية، ليصل إليه أخيراً ويحرق جزءاً من وشاحه الأسود الطويل.

تفادى فيلوم كرة اللهب، ومن حيث لا يدري ظهر إيثان خلفه مجدداً، يلاحقه وهو يصرخ بعزم:
«ليس بعد»

حتى فقد فيلوم تركيزه وسرعته في تفادي كرات اللهب، وسقط أرضاً... ولكن النظرة في عينيه لم تتغير.
وقف إيثان أمامه، يلعب بكرة اللهب بين يديه:
«لقد خسرت...»

«أنا تماماً حيث أريد...»

«حقاً...»

«حتى لو كنت سأهلك في سبيل ما أعتقد أنه الشيء الصحيح»

زمّ إيثان شفتيه:

«أنا أحترم ذلك»

وجه كرة اللهب الأخيرة نحو فيلوم وأطلقها، فتلاشى الحارس عبر الأثير... تاركاً عباءته السوداء ذات الخيوط الذهبية ملقاةً على الأرض.

جثت إيف على ركبتيه، وتساقطت قطرات الندى من عينيه لتغرق وجهها الناعم...
«إيثان، ما الذي فعلته؟».

ترددت كلمات فيلوم لها في عقلها:

«أنا أثق أنك ستفعلين ما هو صحيح».

هل خطط لذلك فعلاً؟ هل كان يريد الهلاك هنا؟ الغريب في الأمر أنه لم يحاول حتى الهجوم، كان فقط يرد هجمات إيثان.

وفي طرفة عين، تزلزلت الأرض التي يقفون عليها، وعصفت الأجواء بقوة، حتى أن إيف لم تسمع إيثان وهو يصرخ نحوها، وفي هذه اللحظة ارتفعت عباءة فيلوم السوداء بخيوطها الذهبية، وطارت باتجاه إيف، ثم التفت حولها بحركة انسيابية.

انقلبت عندها الأرض إلى ماء، فابتلعت إيثان، ولكن إيف كانت ما تزال جاثيةً على ركبتيه، وكأن الماء رفض أن يبتلعها.

نظرت حولها، المكان مألوف بشكل كبير، وأينما التفتت كان هناك مساحات واسعة من الماء، وكأنه محيط، ما أثار دهشتها أنها لم تخف، بل كانت مبتهجة بالماء الأزرق الذي يعكس ضوء السماء...

صعد إيثان لسطح الماء أخيراً، وطفا في الهواء يقترب منها والقلق بادٍ على وجهه، يركز في عباءة فيلوم تحيط بها.
لكن إيف أدركت شيئاً واحداً... أن فيلوم لم يكن يحاول منعها من الوصول إلى الحقيقة، بل كان يحاول أن يجعلها مستعدة لها.

النهاية؟